

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

علاقات المغرب الأقصى السّياسية و الدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي.

(1578م – 1603م) / (1672م – 1727م)

دراسة مقارنة

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث.

إعداد الطالب:

جلول بن قومار

إشراف الأستاذ الدكتور:

عمّار بن خروف .

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د/صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة غرداية
أ.د /عمار بن خروف	أستاذ التعليم العالي	مشرفا مقررا	أكلي محند أولحاج /البويرة
أ.د/حميدة عميراوي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر
أ.د/فاطمة الزهراء قشي	أستاذة التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة قسنطينة 2
أ.د /حنيفي هلايلي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
د/سعيود إبراهيم	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 2

السنة الجامعية ***1436–*** **1437 هـ/ 2015 – 2016م**



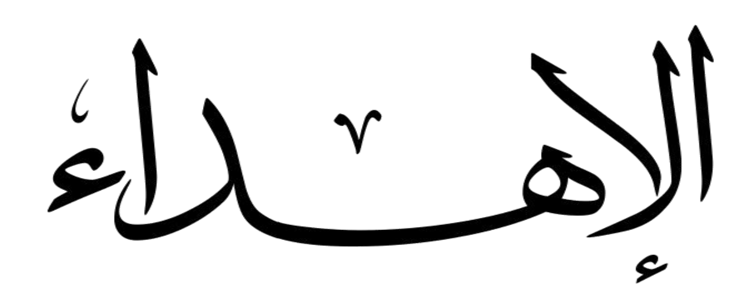


سورة طه الآية 114.



جاء في الأثر من لم يشكر الناس لم يشكر الله فإنه يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العظيم لأستاذي المشرف الأستاذ الدّكتور عمّار بن خروف حفظه الله ورعاه، وبارك في عمره والذي قبل الإشراف على أطروحتي، فكان نعم المرشد لي بنصائحه الثمينة، وملاحظاته القيّمة، وتشجيعه المستمر، وصدره الواسع، وصبره عليّ.

كما أشكر الدكتور عمر مونة - الأستاذ بشعبة العلوم الإسلامية- على مساعدته، وامتناني عظيم إلى كل من وقف بجانبي أو أرشدني أو نصحني خلال سنوات البحث وأنتهز هذه المناسبة لأشكر القائمين على المكتبة الوطنية للمملكة المغربية على التّسهيلات التي قدموها لي لجمع المادة العلمية لهذه الأطروحة، كما لا يفوتني أن أوجه شكري الخاص للمسؤولين على مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بمدينة الدار البيضاء المغربية على حسن الاستقبال وتوفير المادة العلمية الضّرورية لأطروحتي، وكذا القائمين على الأرشيف ودار الكتب في تونس، ثم الشّكر موصول لجامعة غرداية والمسؤولين فيها، الذين ذلّلوا لي كل الصّعوبات أسأل الله أن يحفظهم ويمتّعهم بالصحة والعافية، وأن يجازيهم عنّي خير الجزاء، وأن يجعل جهدهم هذا في ميزان حسناتهم يوم القيامة.



إلى الوالدين الكريمين بارك الله في عمرهما.

إلى الزوجة أم عبد المجيد.

إلى بناتي

إلى الصّغير محمد الهادي.

إلى الإخوة والأخوات.

إلى أساتذتي الفضلاء في كل مراحل دراستي.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل وأحتسب ثوابه عند الله.

لائحة الرموز والمختصرات المستعملة في البحث

بالعربية والفرنسية

المعنى	الرمز
مجلّة دعوة الحق المغربيّة	م د ح م
بدون تاريخ	د ت
طبعة	ط
جزء	ج
صفحات عديدة متلاحقة	صص
مجلد	مج
Revue	**R**
Numéro	**N^{O}**
Sans Date	**S.D**
Revue De L'occident Musulman Et De La Méditerranée	**R.O.M.M.**
Page	**P**
Tome	**T**
مجلد	**Vol**
Pages Continues	**pp**
Révue D'histoire Moderne	**R.H.M**

مقدمة

يندرج موضوع هذه الدراسة، في سياق دراسة تاريخ المغرب الأقصى السّياسي والدبلوماسي في عهدي أحمد المنصور السّعدي(1578م-1603م)، والمولى إسماعيل العلوي(1672م-1727م) وعلائقهما السّياسية والدبلوماسية المتشعبة مع دوّل ضفتي غرب البحر الأبيض المتوسط الشّمالية والجنوبية، والدراسة تبيّن الأداء السّياسي والدبلوماسي للسلطانين، بعقد دراسة مقارنة موضحا فيها هذه العلائق ومبرزا أوجه التّشابه والإختلاف بينهما في الأداء.

-دواعي إختيار الموضوع:

يرجع إهتمامي بموضوع العلاقات السّياسية والدبلوماسية بين المغرب الأقصى ودوّل غرب ضفتي المتوسط إلى مرحلة دراسة الماجستير، حيث قدمت مذكرة بعنوان "معركة وأثرها في العلاقات المغربية مع دوّل غرب أروبا- فرنسا-البرتغال-إسبانيا 1578م-1603م" هذه المعركة التي غيّرت مجرى العلاقات الدولية في المنطقة حينها.

وقد زدت إرتباطا بالموضوع عندما تبيّن لي مكانة هاذين السّلطانين وتأثيرهما في تاريخ المغرب الأقصى الحديث، ومما شدّ إنتباهي أكثر هي فكرة أستاذي المشرف الدكتور عمار بن خروف بإمكانية تقيّيم الأداء السّياسي والدبلوماسي لكل من السّلطان أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل العلوي في دراسة مقارنة، فالدراس لتاريخ المغرب الأقصى في القرن السّادس عشر والثّلث الأخير من القرن السّابع عشر لايسعه إلاّ أن يذكر شخصيتين كبيرتين حكمتا المغرب الأقصى وأثرتا فيه أيّما تأثير، ونقلتاه في فترة تاريخية حرجة، شديدة الصّراع بين القوى الدولية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في عصوره الحديثة نقلة نوعية، أقل ما يقال عنها، أنّهما جعلت المغرب بعد أن كان مفككا تنخره الصّراعات الداخلية، صار موحدا وقويا مؤثرا ومشاركا في صنع الأحداث التي مرت بها المنطقة في العصر الحديث.

فالشّخصية الأولى هي صدر الدولة السّعدية المولى أحمد المنصور السّعدي (1578م-1603) الذي استطاع أن ينهض بالمغرب الأقصى سياسيا وعسكريا واقتصاديا بعد نصر وادي المخازن،والشّخصية الثانية هي السّلطان المولى إسماعيل العلوي (1672م-1727م) والذي يعتبر المؤسس الفعلي للدولة العلوية الحديثة، بما قدمه من جهد في توطيد الملك، والقضاء على الصّراعات الداخلية، فأعاد للمغرب لحمة التّماسك والقوة من جديد.

ونظرا لما تتمتع به الشّخصيتان المذكورتان من مؤهلات وكفاءة مكنتهما من القيام بأدوار هامة في تطوير المغرب وتقويته في مختلف المجالات، وأبرزته كقوة إقليمية مهابة الجانب في فترة حكمها، إرتأيت أن تكون دراستي هذه حول الأداء السّياسي والدبلوماسي للسلطانين مع دوّل ضفتي غرب

البحر الأبيض المتوسط في أطروحة للدكتوراه موسومة بـ:**علاقات المغرب الأقصى السّياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل العلوي 1578–1603/1672–1727م دراسة مقارنة**[1].

حاولت أن أبرز فيها أوجه التشابه في سياستهما ودبلوماسيتهما وبيّنت أوجه الاختلاف مع القوى الدولية المعاصرة لهما،وأعني بذلك دوّل غرب البحر الأبيض المتوسط على ضفتيه الشّمالية والجنوبية ؛ وأقصد بها كلاً من إسبانيا وفرنسا والدويلات الإيطالية، هذه الأخيرة التي لم أجد لها علاقات كبيرة في عهدي هذين السّلطانين سوى إشارات قليلة تخص الأسرى بين البلدين،ثم الإيالات العثمانية الثلاث في الجهة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط مركزا دراستي على الجزائر، أمّا تونس فلم أعثر لها على وثائق تثري دراستي عند زيارتي لها و للمركز الوطني للأرشيف التّونسي سنة 2015، وتكاد الوثائق السّياسية والدبلوماسية تنعدم بين تونس والمغرب الأقصى في عهدي هذين السّلطانين.

وأنا أقدّر جيّدا حجم الصّعوبات التي تعترض الباحث في هذا النوع من الدّراسة للتاريخ؛لأنّ المقارنة في الأحداث التّاريخية تختلف عن المقارنة في علوم المادة؛ لما تتميز به العلوم الإنسانية من استحالة إعادة الحادثة التّاريخية كما حصلت في زمانها ومكانها، وصعوبة الحكم على مقاصد الشّخصيات التّاريخية و نواياها، لا سيما وأنّ الأحداث السّياسية والدبلوماسية كانت في عصرين مختلفين من حيث الأحداث والمميزات،لكنّ البحث المستمر، والاستقصاء والاستعانة بأستاذي المشرف،حفزني على خوض هذه المقارنة بين هاتين الشّخصيتين في الأداء السّياسي والدبلوماسي.

- **أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدّراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أذكر منها:

- التّعريف بالأوضاع السّياسية والدبلوماسية للمغرب الحديث في عصري أحمد السّعدي وإسماعيل العلوي، ومدى التّشابه والاختلاف في الأداء السّياسي والدبلوماسي.
- إبراز الثوابت التي بنيت عليها السّياسية والدّبلوماسية المغربية الحديثة في عهدي هذين السّلطانين.

---

[1]نوقشت هذه الرسالة في رحاب جامعة غرداية في قاعة الميدياتيك يوم السبت 21شعبان 1437هـ/28ماي 2016 بعضوية كل من الأساتذة، الأستاذ الدكتور بوسليم صالح رئيسا،والأستاذ الدكتور عمار بن خروف مشرفا مقررا،والأستاذ الدكتور عميراوي حميدة عضوا مناقشا،والأستاذة الدكتورة فاطمة الزهراء قشي عضوا مناقشا،والأستاذ الدكتور حنيفي هلايلي عضوا مناقشا،وغاب الدكتور سعيود إبراهيم عن المناقشة .

- دراسة عوامل النجاح والقصور في الدبلوماسية المغرّبية الحديثة، ومدى مساهمة السّلطانين أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي في ذلك.
- إلقاء الضوء على شخصيتي أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي،ومعرفة مؤهلاتهما السّياسية وملكاتهما الدبلوماسية التي ساهمت في تحقيق النهوض بالمغرب الأقصى في عهديهما.
- ما مدى الإخفاق والنجاح الذي يتحملانه في مجال السّياسة والدّبلوماسية الدولية آنذاك.
- إثراء المكتبة التّاريخية بهذا النوع من الدراسات المقارنة والتي يعقد فيها الباحث مقارنة بين شخصيتين سياسيتين مشهورتين في حقبتين حرجتين من الحقب التي مرّ بها المغرب الأقصى.

-الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

ينحصر المجال الزماني لهذه الدراسة في فترتي حياة السّلطانين، من سنة 1549إلى سنة 1603م وهو تاريخ ميلاد ووفاة السّلطان المولى أحمد المنصور ومن سنة 1654م إلى سنة 1727م وهي تاريخ ميلاد ووفاة السّلطان المولى إسماعيل مع التركيز في الدراسة على فترة حكمهما للمغرب، أما الإطار المكاني فينحصر في دول ضفتي غرب البحر الأبيض المتوسط الشمالية منها والجنوبية.

-الإشكالية المطروحة في الدراسة:

ينطلق موضوع هذه الدراسة من سؤال جوهري ألا وهو:

- ما المحاور التي بنيت عليها الدبلوماسية أو السّياسة الخارجية المغربية الحديثة، على عهدي أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي ؟

وانبثقت عنها أسئلة فرعية وهي:

- ما مواضع الاختلاف بينهما في الدبلوماسية،والسّياسة الخارجية ؟
- ما مواطن التّشابه بينهما في الأداء السّياسي والدبلوماسي،مع قادة دول ضفتي غرب المتوسط؟
- أين تكمن نقاط القوّة،ونقاط الضّعف،في أدائهما السّياسي والدبلوماسي ؟

- الدراسات السّابقة للموضوع :

لاشك أن دراسة التاريخ السّياسي والدّبلوماسي للسّلطانين أحمد المنصور السّعدي(**1578م – 1603م**)، والمولى إسماعيل العلوي(**1672م– 1727م**) قد استرعى اهتمام الكثير من المؤرخين والدارسين، وقد أُلّفت في هذا المجال الكثير من الكتب والموسوعات التي تناولت تاريخ المغرب السياسي والدّبلوماسي ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر موسوعة الأستاذ عبد الهادي التّازي في(**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**)، وهو مجهود جبار جاء في عشرة

أجزاء،تناول فيه علاقات المغرب الدبلوماسية منذ القديم إلى اليوم، وأفرد المجلدين،الثّامن للفترة السّعدية، والمجلد التّاسع والعاشر للفترة العلوية على التّوالي.

ثم الدراسة التي قام بها الأستاذ أحمد الأزمي في كتابه(**العلاقات السّياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السّلطان المولى إسماعيل**)،إضافة إلى الدراسة القيّمة التي أصدرها الأستاذ محمد جادور سنة 2011م في كتابه(**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**)[1] تحت إشراف الدكتور عبد المجيد قدوري،عقد فيها الباحث مقارنة بتخصيص فصل كامل عن النشاط السّياسي والدّبلوماسي للسلطانين مبرزا نقاط التلاقي والتقاطع في عملهما ، ثم مقاله الذي نشره في كتاب التاريخ والدبلوماسية، تحت عنوان (**الدبلوماسية السّعدية والدبلوماسية العلوية استمرارية أم قطيعة أحمد المنصور والمولى إسماعيل نموذجا**)،والذي أفادني كثيرا في استخلاص أوجه التشابه وعوامل التقاطع في الأداء السّياسي والدبلوماسي بينهما.

ثم دراسة الأستاذ الباحث عمار بن خروف في كتابه (**العلاقات السّياسية بين المغرب والجزائر في القرن السّادس عشر**)[2] وقد ركّز في باب كامل على علائق أحمد المنصور السّياسية والدبلوماسية مع معاصريه .

إلى جانب ما قام به الأستاذ إبراهيم شحاتة حسن في كتابه الموسوم بـ (**أطوار العلاقات المغربية العثمانية (قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون 1510–1947**) والدراسة التي أنجزها الأستاذ إبراهيم سعيود بخصوص الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني وهي رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث قسم التاريخ جامعة الجزائر 2010-2011 باعتبار أن قضية الأسرى بين الضفتين،كانت مظهرا من مظاهر النشاط السّياسي والدّبلوماسي بين المغرب ودوّل غرب المتوسط المسيحية،ودراسة الأستاذ عبد المجيد قدوري:**التاريخ الدبلوماسي قضايا المصطلح والمنهج**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،تضمن مجموعة أبحاث ألقيت في مائدة مستديرة حول التاريخ والدبلوماسية، بالإضافة إلى العديد من المقالات والبحوث لباحثين تعرضوا لموضوع السياسة والدّبلوماسية في علاقات المغرب الأقصى في العصر الحديث لا يسع المجال لذكرها جميعا،ولا يعني ذلك من أنّ الدراسة التاريخية للجوانب السّياسية والدبلوماسية للمغرب الأقصى قد تمت الإحاطة بكل جوانبها، بل هناك من الجوانب ما يحتاج إلى تجلية وبحث في تفاصيل وعناصر أخرى، وهو ما

---

[1] هي في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ نوقشت يوم 06 جويلية 2004 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

[2] هي رسالة ماجستير في التاريخ،قسم التاريخ جامعة دمشق 1983.

شجّعني على البحث في هذا الموضوع بعقد مقارنة بين هاتين الشّخصيتين في المجال السّياسي والدّبلوماسي واللّتين عاشتا في ظروف سياسية مختلفة، وقد أضفى ذلك على هذه الدّراسة جانبا من الجدّة في الموضوع والتّناول للسياسية والدبلوماسية المغربية، بعدما أكّد لي أستاذي المشرف أنّني بعقد هذه المقارنة لا أجتر قديما،ولا أكرر ما قيل حول هذا الموضوع ،وأحاول أن أصل إلى نتائج فيها نوع من التميّز بعد التّحليل والتّمحيص والفحص والمقارنة .

– المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدت في إنجاز هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التركيبي التحليلي، والمنهج المقارن حيث وظفت المنهج الأوّل والثاني في تتبع مراحل الدبلوماسية الخارجية لكل من أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي مع القوى المعاصرة لهما في غرب المتوسط،مبرزا مظاهرها ومميزاتها في فصلين كاملين، وهو تتبّع أحوجني إلى وصف الأوضاع السّياسية والدّبلوماسية لهذين السّلطانين من أجل تجليتها في سبيل الوصول إلى فهم أعمق لسياستيهما المؤثّرتين في عصريهما، كما استعنت بالمنهج المقارِن في الفصلين الأخيرين لأنّه المنهج الأمثل لإجراء المقارنة،موضحا أوجه التّشابه، ومظاهر الاختلاف بينهما في الأداء السّياسي والدّبلوماسي،وقد فضلت طريقة المقارنة المتعارف عليها في هذا النوع من الدراسات،والتي تعمدّت أن تكون واضحة من النّاحية المنهجية، وابتعدت عن الطريقة التي تدرج المقارنة في طيّات البحث دون تفصيل أو توضيح، مما يتعب القارئ في الوصول إلى أغراضها ومراميها.

–الخطة المعتمدة في الدراسة:

إشتملت الدراسة على خطة تضمنت مقدمة وستة فصول وخاتمة بحيث خصصت **الفصل الأول** التمهيديّ للتعريف بأحمد المنصور السّعدي و المولى إسماعيل العلوي، والظروف السّياسية والدبلوماسية التي أحاطت بكليهما في الوصول لسدّة الحكم في المغرب الأقصى،ومكانة هاتين الشّخصيتين في تاريخ المغرب الأقصى.

أمّا **الفصل الثاني**:فقد تناولت فيه الإرهاصات الأولى للعلاقات االسّياسية والدّبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط قبل عهدي أحمد السّعدي و إسماعيل العلوي .

وأعني بذلك تلك العلائق السّياسية والدبلوماسية التي ربطها أوائل السّلاطين السّعديين، وأوائل السّلاطين العلويين مع كلٍّ من فرنسا وإسبانيا والإيالات العثمانية في غرب المتوسط، مركزا على المناحي السّياسية والدبلوماسية لهذه العلاقات.

أما **الفصل الثالث**:فتطرقت فيه للعلاقات السّياسية والدّبلوماسية في عهد أحمد المنصورالسّعدي(1578م-1603م) مع كل من فرنسا، وإسبانيا، والإيالات العثمانية في الفترة الحديثة موضحا فيه المحاور الكبرى، التي غدت ميدانا لهذه العلاقات، كالأسرى والتّجارة والجهاد البحري، وتبادل السّفارات وغيرها.

و أفردت **الفصل الرابع** لعلاقات السّلطان مولاي وإسماعيل العلوي(1672م-1727م)،فتتبعت علائقه السّياسية والدبلوماسية مع دوّل غرب المتوسط على ضفتيه الشّمالية والجنوبية،والتي كان يسعى من ورائها للحصول على تحالف فرنسي أو إنجليزي للاستعانة به على طرد الإسبان من الثّغور المغربية، وإيجاد حلول ناجعة لمشكل الأسرى بينه وبين الدول الأروبية أو التزود من الإنجليز بالسّلاح.

أما **الفصل الخامس** من هذه الدّراسة فخصصته لبيان أوجه الاختلاف في هذه السياسية والدّبلوماسية ،وأظهرت نقاط التّقاطع، وأوجه التباين فيها، إنطلاقا من أنّ المقارنة كانت في فترتين مختلفتين من حيث الأحداث السّياسية والاهتمامات الدولية آنذاك،إضافة إلى أوضاع المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي.

و بيّنت في **الفصل السّادس** نقاط التّلاقي وسمات التّوافق وأوجه التّشابه في علاقاتهما الخارجية في السّياسة والدّبلوماسية التي اعتمدها كل من أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي في تعاملهما وتفاعلهما مع الأحداث السّياسية والدبلوماسية التي شهدها المغرب في عصريهما.

أما **الخاتمة**، فضمّنتها النتائج التي توصّلت إليها ،وذيلتها ببعض **الملاحق** التي رأيت أنّها تخدم الموضوع، وتعتبر توثيقًا لعدد من القضايا التي وردت في ثنايا الدراسة.

- عرض نقدي لبعض المصادر والمراجع:

يطرح البحث في التاريخ الدبلوماسي للمغرب الأقصى في العصر الحديث، جملة من المشاكل والصّعوبات،لها علاقة بالخلفية المصدرية والمرجعية التي يمكن الإعتماد عليها، وبنوعية وطبيعة المنهج الذي يمكن في إطاره توظيف ما تيسر ضبطه والوقوف عليه من المعلومات، وتزداد المسألة تعقيدا حينما يتطرق الباحث لمظاهر العلاقات الدبلوماسية بين المغرب ودوّل ضفتي غرب المتوسط من زاوية المقارنة بين أداء السّلطانين أحمد المنصور السّعدي ،والمولى إسماعيل العلوي، والمصادر التي ستعرض فيمايلي لا تمثل إلاّ جزءا يسيرا مما تمّ الإعتماد عليه، لكنّها تعطي نظرة أولية على أهميتها ونوعية

المعلومات الواردة فيها ،وقد درستها حسب التسلسل الزمني لوقائعها السّياسية ،وأحيانا أخرى حسب وفاة مؤلفيها، مع التّأكيد على تداخل موضوعات بعضها.

–مصادر الدراسة:

–المؤلفات التّاريخية التقليدية وكتب التراجم

–الوثائق الرسمية الصّادرة عن السّلطانين أو عن حكام الدوّل الأروبية.

1–المصادر التاريخية لفترة أحمد المنصور السعدي :

أ) **المصادر العربية:**

– "مناهل الصّفا في مآثر موالينا الشّرفاء":

لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي(ت1032هـ/1622م) الذي يعتبر المؤرّخ الرّسمي للدّولة السّعدية،وقد عاصر أحمد المنصور، و وضع كتابه هذا وفقا لتعليماته، وتعرّض لموقعة وادي المخازن في مؤلفه، ووصف الانتصار الكبير للمنصور، و بيّن كيف علت همّته بين الأمم ؟

وقد أورد بعض التفاصيل عن دبلوماسية أحمد المنصور وسياسته الخارجية، سواء مع بعض الدول الأوروبية كإسبانيا أوعلاقاته مع الباب العالي والجزائر العثمانية.ومن المآخذ على هذا المصدر التاريخي الهام، هو تركيز صاحبه على إيجابيات السّلطان وإغفال السّلبيات، وهذا يعود إلى أنّ المؤلف محسوب على رجال البلاط السّعدي.

– "النفحة المسكية في السّفارة التركية للتمجروتي":

كتبها أبو الحسن التمجروتي في أواخر سنة 999هـ/1594م بعدما رجع إلى مسقط رأسه بدرعة وتعتبر الرحلة من المصادر الهامة لتاريخ المغرب السّياسي والدبلوماسي في الفترة الحديثة، وقد ولد علي بن محمد التمجروتي سنة 941هـ/1534م بتمجروت من بلاد درعة في المغرب، وتربى في أسرة عرفت بالورع والصّلاح، فطلبه أحمد المنصور السّعدي ليحمل رسالة إلى السّلطان العثماني مراد الثالث حكم ما بين982هـ–1032م /1574–1595م،وقد حرر التمجروتي رحلته قبل وفاته سنة 1003هـ/1594م، وسمّاها النفحة المسكية في السّفارة التركية، وقد أورد فيها معلومات تاريخية قيّمة عن مهمته الدبلوماسية لدى الباب العالي.

– "تاريخ الدولة السّعدية التاكمدراتية" :

يجهل مؤلف هذا الكتاب،والذي قد يكون مكناسي الأصل،أو ممّن سكنوا مكناس مدّة طويلة، ويرجّح أنّه من بقايا الوطاسيين، نشره جورج كولان سنة 1934م، كما قدّمه وحققه عبد الرحيم

بنحادة سنة 1994م، و يزوّدنا صاحب الكتاب بتفاصيل تاريخيّة، كثيرا ما أهملها غيره، ومعلومات عن سياسة المنصور مع معاصريه،وإن كان البعض يقول أنّ مؤلفه كان حادا في نقده للمنصور، وكان بعيدا عن الموضوعية،إلاّ أنّ الكتاب له قيمته التاريخية .

-"رسائل سعدية":

كاتبها مجهول حقّقها ونشرها عبد الله كنون سنة 1954م،وهي عبارة عن اثنتين وستين رسالة، أغلبها صادرة عن السّلطان السّعدي أحمد المنصور الذهبي،استعنت بها في تتبّع العلاقات الدبلوماسية والسّياسية بين أحمد المنصور السّعدي والأتراك العثمانيين في الجزائر،فتعتبر بذلك وثائق أرشيفية جد هامة في العلاقات السّياسية والدبلوماسية.

-"المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور"[1]:

ألفه أحمد بن القاضي(960هـ/1553م -1025هـ/1616م)، شكرا للسلطان أحمد المنصور الذي أعتقه من أسر المسيحيين له سنة 995هـ/1587م، فأشار إلى إهتمام هذا السلطان بالشرفاء السعديين وإنعامه عليهم.

-"روض الآس العاطرة الأنفاس":

لأبي العباس أحمد بن محمد المقري (ت سنة 1041هـ/1631م) يشتمل على تراجم لعدة شخصيات علمية وأدبية، عملت في بلاط أحمد المنصور الذهبي ،أو ترددت عليه ،ويأتي بتفاصيل وافية عن منجزات هذا السلطان.

-"مجموعة ظهائر ورسائل السّعديين":

دراسة وتحقيق الدكتور مصطفى بنعلة ،طبع في جويلية 2011م وهو جهد كبير قام به المحقق في إخراج ظهائر السّعديين ورسائلهم السّياسية من دور الأرشيف ومحاولة قراءتها وترجمتها، مما أتاح للباحثين الإطلاع على هذه الوثائق، يحتوي الكتاب على مائة وخمسة رسالة(105)، موجهة إلى عدة جهات سياسية، كالإنجليز والإسبان والعثمانيين وبعض الرسائل موجهة إلى أبناء المنصور،إستفدت منها في سياسة المنصور ودبلوماسيته مع معاصريه.

---

[1]ينظر،رزوق محمد: دراسة وتحقيق مخطوط **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور** لأحمد بن القاضي،دبلوم الدراسات العليا لكلية الآداب والعلوم الإنسانية ،إشراف محمد حجي،جامعة محمد الخامس الرباط 1980.

– **"نزهةِ الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"**:

لعبد الله محمد بن أحمد الأفراني، الملقب بالصّغير (ت حوالي1156هـ/1743م)مؤرخ مغربي،ومن مصنفي التراجم،ولد بمدينة مراكش نحو 1669م وتوفي نحو1744م، اشتهر بتأريخه للدولة السّعدية في المغرب، وإن كان عنوانه يدل على أحداث القرن الحادي عشر أي قرن الدولة العلوية والتي لم يفرد لها إلاّ فصلا صغيرا من هذا الكتاب الذي يعتبر من أهم المصادر وأوفاها عن تاريخ الشّرفاء السّعديين وأكثرها موضوعية، وأورد معلومات جيّدة عن علاقات أحمد المنصور السّعدي الخارجية،وقد صححه هوداس،وترجمه إلى الفرنسية، ونشره سنة 1889م تحت عنوان (نزهة الحادي تاريخ السّعديين في المغرب من سنة 1511م إلى 1670م).

– **"درّة الحجال في أسماء الرجال"**:

لابن القاضي المكناسي، وهو مصدر في التراجم للشخصيات الدينية والعسكرية في المغرب،سواء التي عاصرت المنصور،أو لم تعاصره، وأورد معلومات هامة عن حياة أحمد المنصور السعدي،وذكر غزوه لبلاد السودان الغربي الذي سمّاه فتحا،وقد حقق الكتاب محمد الأحمدي أبو النور في جزأين، وأصدرته دار التراث بالقاهرة سنة 1970م.

ب– المصادرالتاريخية الأجنبية لفترة أحمد المنصور السّعدي:

وثائق هنري دوكاستري:

sources inédites de l histoire du Maroc,1530-1845, dynastie Saadienne

(المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب)

إبتداء من العصر السّعدي، وتضم تقارير ورسائل ورحلات وتفاصيل دقيقة عن التاريخ السياسي والدبلوماسي والإقتصادي والإجتماعي جمعها هنري دوكاستري ***(Henry de Castries)*** وواصل العمل من بعده آخرون.

وهي مجموعة وثائق أروبية مختلفةتتعلق بتاريخ المغرب وعلاقاته مع هذه الدول تبلغ سبعة وعشرين مجلدا ضخما خاصة بتاريخ المغرب في عهدي الدولتين السّعدية والعلوية،والمستخرجة من الخزانات ودور المحفوظات الأوروبية، و ركزت بصفة خاصة على السّلسلة الأولى المخصصة للدولة السّعدية،وهي الوثائق الفرنسية والإسبانية والإنجليزية ، ومنها :

–الوثائق الفرنسية ثلاثة مجلدات.

–الوثائق الإنجليزية ثلاثة مجلدات.

–الوثائق البرتغالية خمسة مجلدات.

-الوثائق الهولندية ستة مجلدات مع إضافة المجلدات الخاصة بالفهارس.

-"أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب":

لأنطونيو ديصالدانيا(*Antonio de Saldanha*) الذي ينحدر من أسرة برتغالية نبيلة، ولما عيّن والده سنة 1591م حاكما لمدينة طنجة رافقه إليها بصفته فارسا من فرسان الحامية، وبعد سنتين ونصف، أي في غضون 1593م،أسره المغاربة في إحدى غارات البرتغاليين خارج أسوار المدينة،ونقل إلى مراكش عاصمة المنصور، وامتد أسره ما يزيد عن أربع عشرة سنة ،ويتضمن الكتاب حقيقة ما شاهده هذا الأسير من أحداث في المغرب حيث كان شاهد عيان على سياسة أحمد المنصور الداخلية ودبلوماسيته الخارجية ، وقد صدر هذا الكتاب بلشبونة سنة 1997م وترجم إلى اللغة الفرنسية والبرتغالية، ليعربه الأستاد إبراهيم بوطالب وآخرون .

- إرنست شاريار (***Ernest charrière***)صاحب كتاب"**مفاوضات فرنسا مع الشرق**" :
Négociations de la France dans le levant.

فرنسي الجنسية،ولد سنة 1805م، وتوفي سنة1865م، كاتب ومترجم، كتابه عبارة عن أربعة مجلدات ضخمة هامة في تاريخ العلاقات الدولية والعلاقات العثمانية الفرنسية من خلال الأرشيف القنصلي،والدبلوماسي الفرنسي،به رسائل وتقارير من القناصل الفرنسيين، وقراءات وتحليلات للكاتب،مأخوذة عن سفراء ودبلوماسيين وملوك فرنسيين، في الفترة ما بين(1515م- 1589م)،وقد أفدت كثيرا منه في الوثائق،خاصة عند تناول تداعيات الأزمة البرتغالية،والصّراع الدولي حولها ودور المغرب الأقصى فيها.

2) المصادر التاريخية لفترة المولى إسماعيل العلوي :

أ) المصادر العربية:

- **"رحلة الوزير في إفتكاك الأسير"** 1690م-1691م:

لمحمد بن عبد الوهاب الغساني وهي من الرحلات السفارية الهامة، لا نعرف عن صاحب الرحلة إلاّ القليل سوى أنّه ينتمي إلى أسرة أندلسية، استقرت بمدينة مراكش،شغل منصب كاتب السّلطان ببلاط مكناس على عهد السلطان المولى إسماعيل،وقد كلفه هذا الأخير بسفارة دبلوماسية إلى إسبانيا بعد أن افتكّ المولى إسماعيل مدينة العرائش من يد الأسبان سنة 1684م[1].

---

[1] تعتبر الرحلة من المصادر الأولية التي تؤرخ للدبلوماسية والسّياسة الخارجية المغربية مع إسبانيا في عهد السّلطان مولاي إسماعيل.

- **"روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف"**:

لمحمد الصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني،فقيه وأديب ومؤرخ كبير تعود أصوله إلى قرية يفرن من ناحية سوس،ولد بمراكش سنة 1080هـ/1660م، وتوفي سنة 1155هـ/1742م، يعتبر كتابه مصدرا هاما لسيرة وتاريخ السلطان المولى إسماعيل، وقد أفادني كثيرا عندما تطرقت في رسالتي للتعريف بهذا السلطان، وللمعارك التي خاضها مولاي إسماعيل في تحريره للثغور المغربية.

-**" تاريخ الدولة السعيدة"**:

لأبي عبد الله بن محمد بن عبد السلام الرباطي، لم يعرف مكان وفاته ولا تاريخها على التحقيق، يعتبر كتابه من المصادر الهامة لتاريخ الدولة العلوية،ترجم له ابن سودة في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى،حيث ذكر أنّه ولد سنة 1165هـ/1751م،وأفدت من هذا الكتاب عند تناول الأحداث التي واجهت المولى إسماعيل في بداية عهده، وعند استرجاعه لمدينة العرايش،وعقد الصلح مع الأتراك العثمانيين في الجزائر.

- **"نزهةِ الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"** :

لعبد الله محمد بن أحمد الأفراني الملقب بالصغير مؤرخ مغربي، ومن مصنفي التراجم، ولد بمدينة مراكش نحو 1669م، وتوفي نحو1744م،أشتهر أنه أرخ للدولة السّعدية في المغرب،وإن كان قد عاصر السّلطان مولاي إسماعيل إلاّ أنّه أفرد مبحثا واحدا قيما عن تاريخ الدولة العلوية وفترة مولاي إسماعيل، حيث تطرّق فيه إلى نقطة هامة في علاقات المغرب الدبلوماسية والسياسية، وهي فتح مدينة العرايش الإستراتيجية [1].

- **"مخطوط الروضة السليمانية"**:

لأبي القاسم الزياني،وزير مؤرخ الدولة العلوية،من مواليد سنة 1147هـ-1249هـ/1734م-1833م،له عدة مصنفات[2].

- **"الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب"**:

لأبي القاسم الزياني (ت1249هـ/1833م)يعتبر الكتاب من المصادر الهامة لفترة مولاي إسماعيل،

---

[1] الكتاب من أهم المصادر وأوفاها عن تاريخ الشرفاء العلويين،وأكثرها موضوعية، صححه هوداس،وترجمه إلى الفرنسية، ونشره سنة 1889م تحت عنوان (نزهة الحادي تاريخ السّعديين في المغرب من سنة 1511م إلى 1670م) إلاّ أنني اعتمدت على النسخة العربية.

[2] توجد نسخة من هذا المخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض،وكذلك في الخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 7159.

وخاصة في العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع الأتراك العثمانيين في الجزائر، حقّقه وترجمه إلى الفرنسية هوداس، وطبع في باريس في المطبعة الجمهورية سنة 1886م.

– المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف:

لأبي عبد الرحمان بن زيدان توفي يوم السبت 21 ذو الحجة 1365هـ/16نوفمبر1946م مؤرخ الدولة العلوية،من مواليد مكناس في ربيع الثاني 1295هـ/ماي 1878م، عينه السلطان محمد بن عبد الله نقيبا للشرفاء العلويين، له مؤلفات كثيرة في تاريخ الدولة العلوية، يعتبر كتابه ذو أهمية كبيرة في تاريخ فترة مولاي إسماعيل لما يحتويه من وثائق أفادتني في مجال دبلوماسية وعلاقات مولاي إسماعيل.

– "رحلة الأسير مويط" *Germain Moüette*:

ترجمها إلى العربية كل من محمد حجي ومحمد الأخضر، وهي من المصادر التاريخية الهامة في الفترة المدروسة، تعرض مويط "*Germain* Moüette" للأسر من طرف القراصنة السّلاويين حوالي سنة 1670م في معركة بحرية، ونقل إلى مراكش ليقضي مدة أحد عشر سنة في الأسر، ذكر الأسير مويط معلومات تاريخية قيّمة عن الأسرى الأروبيين في المغرب في عهدي المولى الرشيد والمولى إسماعيل وأطلق سراحه بعد أن إفتداه الرهبان الفرنسيين ليعود إلى فرنسا في جويلية 1681م.

ب– المصادر التاريخية الأجنبية لفترة المولى إسماعيل العلوي:

وتشمل السّلسلة الثانية من مجموعة الوثائق غير المنشورة لتاريخ المغرب المخصّصة للدولة العلوية وهي:

–الوثائق الفرنسية ستة مجلدات تغطي الحقبة ما بين(1661إلى 1718م)

–الوثائق الفرنسية ستة مجلدات تغطي الحقبة ما بين (1718إلى 1970م).

–مجلد واحد يخصّ حقبة 1725م،وقد اتخد هنري دوكاستري باريس مقرا لأبحاثه وخصصت له المملكة المغربية جزءا من الميزانية للقيام بهذا الجهد القيّم تحت اسم القسم التاريخي المغربي في باريس. (المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ الفلاليين)

(Section Historique du Maroc a ***Paris) sources inédites de l histoire du Maroc, dynastie filalienne, deuxieme série, Archives et Bibiotheques de France, tome*** *II*, ***Paris ,1924.***

ثم ما جمعه خليفته عند وفاته سنة 1927م،بيارجونيفال (Pierre Génival)المولود في 20نوفمبر 1888م،من عائلة نورمندية، بدأ يعملان معا سنة 1925 لجمع الأرشيف المغربي من الخزائن الفرنسية، ودواوين وزارة الخارجية، وأرشيف المراسي.

sources inédites de l histoire du Maroc,dynastie filalienne ,deuxieme série, Archives et Bibiotheques de France ,tome*IV*, ***Mai 1693-Novembre1698.***

-Henry de Castries :Moulay Ismail et Jacques II une Apologie de Lislam par sultan du Maroc.

وهذا الكتاب تعرض لدبلوماسية مولاي إسماعيل التي انتهجها مع ملوك أوروبا في دعوتهم لاعتناق الإسلام والدفاع عنه.

–ومن المقالات القيّمة التي وضحت لي جيّدا حياة السّلطان مولاي إسماعيل من وجهة النظر الغربية مقال: *Chantal de la verronne* ***:Vida de Moulay ismail rey de fes, <u>in Ecole pratique des hautes etudes 4^e^ section, sciences Historiques et philologique</u> Annuaire 1967-1968.***

وكذلك مقال حول دموية مولاي إسماعيل والأسرى المسيحيين.

*Henré cutions**: sanglantes de Moulay ismail et les Captifs Chretiens d'àprés** y koehler:* ***Ev un Manuscrit inedites de son Temps in <u>Bulletins Hispanique</u>, tome 35, N⁰ 4 . 1933.***

وما كتبه يونس نكروف عن العلاقات الفرنسية المغربية من خلال كتابه المعنون بصداقة وأخوة مولاي إسماعيل ولويس الرابع عشر.

Une Amitie Orageuse Moulay ismail et Louis XIV

ج- الصّعوبات التي واجهتني في إعداد الدراسة:

لايخلو أي عمل جاد من صعوبات وعراقيل منها:

– صعوبة الإحاطة بكل المادة العلمية واستخراجها من مصادرها العربية والأجنبية، وهذا تطلب مني قراءة متأنية مستمرة،وواعية للمادة الخبرية التي أخذت مني وقتا طويلا، إلى أن تمكنت من الإلمام بمواطن التشابه،و أوجه الاختلاف في سياسة ودبلوماسية كل من أحمد المنصور السّعدي،وإسماعيل العلوي،كما لا يخفى صعوبة الدراسات المقارنة من حيث المنهجية،واستنباط الأحداث،واستخلاصها،ومقارنتها،مع الكم الهائل للنشاط السّياسي والدبلوماسي عند السّلطانين في عهدين مختلفتين، والذي يتطلب الكثير من الدقة والتركيز.

ولا يفوتني قبل الختام أن أذكر مقولة العماد الأصفهاني حين قال:

« إنّي رأيتُ أنّه لا يكْتُبُ إنْسَانًا كِتاباً في يَومِهِ إلاّ قالَ في غَدِهِ، لو غُيِّرَ هذا لَكانَ أَحسن ولَو زِيدَ كَذَا لَكانَ يُستَحسنْ، ولَو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضل، ولو تُرِكَ هَذَا لَكانَ أجمل، وهذا مِن أعظَمِ العِبر، وهو دَليلٌ على استيلاءِ النّقْصِ على جُملَةِ البَشر... »

والله الموفق والمستعان.

الطالب: بن قومارجلول ***غرداية في 2016/05/28***

الفصل الأوّل

مكانة السّلطان أحمد المنصور السّعدي والسلطان إسماعيل العلوي في تاريخ المغرب الحديث(1549م – 1603م– 1654م – 1727م)

المبحث الأول: السلطان أحمد المنصور الذهبي1549/1603م.

1- المولد والنشأة.

2- نسبه.

3- ثقافته.

4- انتصاره في وادي المخازن.

5-غزوه لبلاد السودان الغربي.

6- مظاهر قوة أحمد المنصور السعدي بعد معركة وادي المخازن سنة 1578م.

7- وفاته.

المبحث الثاني:السّلطان مولاي إسماعيل العلوي 1654–1727م.

1-المولد والنشأة:

2- نسبه.

3- صفاته.

4- بيعته.

5- أقوال المؤرخين فيه.

6- جهوده في توحيد المغرب.

7-وفاته.

المبحث الأول:

السّلطان أحمد المنصورفي تاريخ المغرب المغرب الأقصى(1549م-1603م).

يُعَدُّ السلطان أحمد المنصور الذهبي من أعظم سلاطين دولة الأشراف السّعديين بالمغرب، وقد سُمي بالمنصور بالله تيمنا بالإنتصار السّاحق الذي حققه المغاربة على البرتغال في معركة وادي المخازن عـام 986هـ/1578م فمـاهي مكانـة هـذا السّـلطان في دولـة الأشـراف السّـعديين؟

1- المولد والنشأة:

هو أبو العباس أحمد المنصور السعدي بن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني، ولد بفاس سنة 956هـ/1549م في أسرة مالكة لعرش المغرب، وأمه الحرة مسعودة بنت الشّيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي،التي تبوأت مكانة سامية في قلوب المراكشيين، بما قدمته لهم من معروف وإحسان وما شيدته من مؤسسات خيرية كبرى نذكر منها المسجد الكبير الذي خصّصت له الكثير من الأوقاف[1]كان أبوه محمد الشّيخ يرعاه ويعدّه، فتربى تربية العفاف والصّلاح وفق التقاليد العربية الإسلامية في المغرب،كان أصغر إخوته وعلامات الذكاء ومخايل الفطنة بادية عليه، وقد وصفه صاحب الاستقصاء بقوله:

« كان المنصور طويل القامة ممتلئ الخدين واسع المنكبين تعلوه صفرة رقيقة،أسود الشعر أدعج أكحل ضيق البلج[2]براق الثنايا حسن الشكل جميل الوجه ظريف المنزع لطيف الشمائل »[3]،كما وصفه ابن القاضي:

« وهو أيده الله من أهل العقل والفضل وحسن السيرة وبعد الهمة وانتقاء واصطناع الرجال له آثار جليلة وأعمال جميلة [...] وهو إمام عادل همام باسل وملك فاضل ماضي العزيمة نافذ

---

[1] محمد بن عثمان:"**المنصور الذهبي**"،في مجلة المغرب، السنة الخامسة، عدد خاص، عدد 5 ،جوان جويلية ،الرباط 1936 ، ص ص 10-11.

[2] البلج في الحاجبين هو تباعدهما عن رأس الأنف،ينظر عن هذه الكلمة محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**،دار صابر،15مج ،بيروت 2003، مج 1،ص339.

[3] أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،9ج،تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء 1955،ج5، ص 91.

الصريمة ... »[1]، أما المجهول فقد ذكر من صفاته الخلقية:« **أنه أسمر اللون غائر العينين وافر اللحية له شرطات على خده الأيسر،غليظ الجسم جهير الصوت له لثة في كلامه، يبدل الشين سيناوافر الثياب يسحبها بالأرض...**»[2].

2- نسبه:

يعود أصل أحمد المنصور السّعدي الذهبي إلى أشراف سجلماسة،وأصلهم من شرفاء ينبع[3]وقد ذكر ابن القاضي شجرة نسبه بقوله : «**هو أبو العباس أحمد أمير المؤمنين المنصور ابن مولانا الإمام أمير المؤمنين أبي عبد الله المهدي بن مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله تعالى ابن أبي زيد عبد الرحمان بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القائم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن فاطمة**»[4].

في حين ينفي البعض عنه النّسب الشّريف ويرفعه إلى بني سعد بن بكر بن هوازن الذي منهم حليمة السّعدية[5]،ومنهم من قال أنّه ينتسب إلى أبناء العباس بن عبد المطلب، ومن النّاس من ذهب أنّهم سُمُّوا بالسّعديين لسعادة النّاس بهم[6]،ومنهم من أثبت له النّسب الشّريف وأقرّه.

---

[1] أحمد بن محمد بن القاضي: **درة الحجال في أسماء الرجال (960هـ/1025م)**،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط1،دار التراث،3ج،1970 القاهرة،ج1،ص 108.

[2] مجهول: **تاريخ الدولة السعديةالتكمدارتية**،تقديم وتحقيق، عبد الرحمان بنحادة،ط1،دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش 1994،ص63.

[3]مجموعة قرى بأرض الحجاز،وهي موطن شرفاء بني علي كرم الله وجهه ،ينظر هامش أبو القاسم الزياني: **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية 1429هـ/2008م،ص 72.

[4]أحمد بن محمد بن القاضي: **المنتقى المقصور على ماآثر الخليفة المنصور**،دراسة وتحقيق محمد رزوق، 2ج، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الرباط، دت، ج1، ص ص 242، 243.

[5]محمد بن الطيب القادري: **نشرالمثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، 3ج ،تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق (موسوعة أعلام المغرب)،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1996، ج3،ص1125.

[6]محمد بن عبد الله الصغير اليفرني:**نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**،تحقيق هوداس، مطبعة أنجي، باريس 1888،ص 07.

3– ثقافته:

عُرِف المولى أحمد المنصور بثقافته الواسعة ،حيث أخذ من كل علم نصيبا، فقد تعهده أبوه في كل مراحل حياته وأنشأه نشأة سويّة، بعدما أُوكل أمر تأديبه إلى الشّيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف الدرعي المراكشي، فكغيره من أبناء الأمراء حفظ القرآن الكريم في صباه[1]وأخذ علوم اللّغة والنّحو على يد الشّيخ أبي "العباس القدومي"،وأصول الدين على أبي العباس المنجور والحساب (الرياضيات) على يد أبي محمد عبد العزيز المراكشي، وعلوم التفسير،والحديث وعلم الكلام على يد الشيخ شقرون بن هيبة الله الوهراني،وقد أجازه علماء مصر أمثال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يحي القرافي والشيخ أبو عبد الله محمد البكري[2] وقال عنه ابن القاضي:« **له نظم راق وشعر فائق معدود من العلماء [...] بارع الخط مشارك في الحساب والآداب والنحو له معرفة بأيام الملوك الماضية وسياساتها وقد ألف في ذلك** ... »[3]وتحدث عنه المقري بقوله:

«**وفتح الله عليه أيده الله في فهم كتاب إقليدس من غير شيخ لعزة وجوده في المغرب [...]أخبرني شيخنا الإمام أبو العباس أحمد بن أبي العافية وكان يتناول معه كتاب إقليدس قال:رأيت من قوة إدراكه نصره الله ما لا يمكن وصفه** ... »[4].

وفي عهده ازدهرت الزوايا،وتخلصت من المضايقات، التي كانت في عهد والده محمد الشيخ السّعدي، من سجن مشايخ الصوفية وهدم بعض الزوايا [5]،وإن كان قد استعمل القوة والبطش في بداية حكمه، ضد بعض القوى الدينية، حيث تذكر المصادر أنّه ضيّق على الشّيخ ابن أحمد بن موسى الجازولي،حتى توفي في سجن تارودانت[6].

---

(1)محمد بن عثمان:المرجع السابق،ص 11.

(2)أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق،ج5، ص115.

(3) أحمد بن محمد بن القاضي:**جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص 115.

(4)أحمد بن محمد المقري: **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**،ط2، المطبعة الملكية، الرباط 1983،ص 35.

(5)محمد بن عثمان:المرجع السابق، ص6.

(6)*Justinard:* **Carnet d'un lieutenant *à* El Mansour**,*Archives Marocaines,Vol 29,Paris1933,p131.*

وينظر كذلك،إدريس أبو إدريس:"**علاقة الدولة المركزية بالزوايا (دولة أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل العلوي نموذجا**"،في مجلة أمل.التاريخ .الثقافة.المجتمع،مطبعة النجاح الحديثة،الدارالبيضاء، المغرب،2000،عدد19-20،ص89.

4-انتصاره في وادي المخازن:

كان الإنتصار الذي أحرزه المولى أحمد المنصور على البرتغاليين و محمد المتوكل في موقعة وادي المخازن سنة 1578م، قد أتاح له مكانة عظيمة بين ملوك تلك الفترة، وأصبح الشّخصية السّياسية المرموقة التي تسعى القوى الإقليمية لكسب ودّها،والتّحالف معها،[1]وإغراقها بالهدايا القيّمة والنّفيسة، وقد قال الفشتالي في وصف هدايا الإسبان إليه :« **فاحتوت على كل نفيس من حجر الياقوت الكبيرالحصيات المخصص والمنتقى للملوك ... من ذخائر ملوك اسبانيا العظام**»[2]

5-غزوه لبلاد السّودان الغربي[3]:

يعتبر غزو بلاد السّودان من قبل المولى أحمد المنصور أثرا من آثار موقعة وادي المخازن، إذ وفرت هذه الأخيرة للمنصور سبل القوّة والمكانة، وحوّلت المغرب من بلد كان بالأمس القريب مطمعا لأعدائه، تهاجم أراضيه وتحتل ثغوره من البرتغاليين والأسبان، والأتراك،إلى بلد يجيّش الجيوش، ويبعث الحملات العسكرية للتوسع جنوبا، ويضايق أعداءه الأوروبيين،ففي سنة 989هـ/1582م، استنجد "أسكية بن داود" بالمنصور لإخضاع بعض القبائل الثائرة عليه[4]، بعد أن يئس من الأتراك في الجزائر، فاشترط عليه المنصور الدخول في بيعته، وبعد وفاة " أسكية بن داود "[5]خلفه في الحكم ابنه "الحاج محمد" الذي رفض الخضوع للمنصور وأعلن الحرب عليه،وجرّد له حملة عسكرية عام

---

[1]سعيد أعراب:"**موقعة وادي المخازن واندحار الصّليبية بالمغرب**"،في مجلة دعوة الحق،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب 1978،عدد 96، ص8.

[2] عبد العزيز الفشتالي:**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**،تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط1974،ص 50 .

[3] إقليم السّودان الغربي، يحدّه شمالا الصّحراء الكبرى ،وغربا المحيط الأطلسي وشرقا مرتفعات تشاد، ومن الممالك التي نشأت في بلاد السّودان الغربي، هي غانا، ومالي والسنغال، ويُطلق سكان شمال إفريقيا كلمة سوداني على أيّ فرد قادم من جنوب هذه الأقاليم، ينظر فيصل محمد موسى :**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،مراجعة ميلاد أ.المقرحي،منشورات الجامعة المفتوحة،1997، ص ص45، 46.

[4]إبراهيم حركات:"**أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة**"، في م د ح، المغرب عدد خاص بمناسبة الذكرة الأربعائة لمعركة وادي المخازن،السنة 19،العدد 8، رمضان 1398هـ/غشت 1978،ص57 .

[5] تولى حكم مملكة صنغاي،إسكيا إسحاق عام 950هـ/1543م، وخلفه إسكيا داود عام 956هـ/1549م واستمر في الحكم حتى عام 990هـ/1581م ،فساءت العلاقات بينه وبين أحمد المنصور السّعدي، فخلفه ابنه إسكيا الحاج محمد الثاني، والذي عزله إخوته عن الحكم عام 995هـ/1588م. للمزيد ينظر محمود شاكر:**التاريخ الإسلامي(العهد المملوكي)**،ط05،المكتب الإسلامي،2000،بيروت،ج7،ص309.

990هـ/1583م مكونة من عشرين ألف مقاتلا بقيادة "محمد بن سالم" "وعبد المولى بن عيسى"؛ لكن الحملة فشلت وهلك معظم الجيش عطشا وجوعا، وقد عارض العلماء هذه الحملة،واعتبروها ليست بفتح؛ لأنّ بلدان المسلمين لا تفتح، ثم هيّأ المنصور حملة ثانية سنة 998هـ/ 1590م بقيادة "جؤذر باشا" [1].

وقد جلب المنصور معظم الأسلحة من إنجلترا،التي زوّدت المغرب أيضا بمقادير كبيرة من القماش الصالح للخيام،و لاشك أنّ إنجلترا لم تكن خاسرة بهذه الصفقة،ما دام المغرب يواجه بلدا غير مسيحي،فضلا أنّ هناك صفقة بين البلدين ناتجة في الواقع عن عداء مشترك لإسبانيا، وقد بلغ الجيش المغربي في هذه الحملة اثنين وعشرين ألفا،ووجه المنصور خطابا إلى قاضي تنبكت"أبي حفص عمر بن محمود"،طالبا منه إستعمال نفوذه لدى سكان السّودان،من أجل الدخول في طاعة سلطان المغرب[2] أمّا مؤرخ المنصور عبد العزيز الفشتالي فقد هلل للفتح ورحب،وهو موقف طبيعي لأنه محسوب على رجال البلاط السّعدي وقد أورد القاضي محمود كعت[3]صاحب كتاب "الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس وذكر وقائع التكرور[4]وعظائم الأمور"،إحتلال المغاربة لقسم من بلاد السّودان الغربي بالقوة،يعود ذلك في نظره إلى فساد أخلاق السّكان،واستهتار المتأخرين بملوكهم، وبالقيّم الأخلاقية،ويمكن حصر الأسباب التي أدّت بالمنصور إلى غزو السّودان الغربي فيما يلي:

أ– عامل التّوسع السّياسي :

---

[1]ذو الأصل الأندلسي من نواحي غرناطة انضم إلى الجيش مع أخيه محمود في عهد المنصور ينظر، شارل أندري جوليان:**تاريخ إفريقيا الشمالية**،تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة،2ج، الدار التونسية للنشر،ج2، أوت 1985، ص275 .

[2] والملاحظ أن غزو المنصور للسّودان لم يكن عليه توافق من العامة والعلماء، فهناك من اعتبره تعديا على شعب مسلم لا يرقى للفتح، لأن المسلم لا تفتح بلاده،وهو الرأي الذي عبر عنه مجهول صاحب كتاب تأريخ الدولة السّعدية الدرعية التّكدمارتية ينظر مجهول:المصدر السابق،ص ص67، 68.

[3] توفي حوالي سنة 1002هـ/1593، حضر احتلال السّودان، يعتبر كتابه تاريخ الفتاش مصدرا من مصادر القرن السادس عشر، ينظر عنه ،عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية وجنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص 56 .

[4]شعب زنجي يسكن الجزء الأكبر من بلاد السنغال، ومدينة تكرور تعرف عند ابن خلدون بمدينة زغاية، وأهل التكرور يعيشون على الزراعة،كما عرفوا بالشجاعة في العصور الحديثة، ينظر عن هذا الشعب الإفريقي إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 171.

كان المولى أحمد المنصور السّعدي يعتبر نفسه خليفة للمسلمين،ويستمد سلطة خلافته من نسبه الشّريف، وشجعه في ذلك سيطرته على تيكورارين،وتوات، فتمادى في الغزو جنوبا،لأنه أَمِن من كلّ مضايقة قد تصيبه من الخارج، بسبب الهيبة التي اكتسبها بنصره في القصر الكبير[1].

ب – العامل الاقتصادي :

كانت موارد المغرب،أقل من أن تتسع لسد حاجيات الدولة من نفقات عسكرية،ومنشآت عمرانية،واجتماعية، وكان معروفا عن السّودان،أنّه يتوفر على كميات معتبرة من الملح،الذي كان يباع بالذهب،ويستعمل كعملة صعبة في تجارة الصّحراء[2]،لذلك طمِع أحمد المنصور في استغلال خيرات السّودان الغربي،بالرغم من أنّ بلدان السّودان لم تكن معروفة معرفة جيّدة لدى البلاط السّعدي، وذلك أن التّجارة مع السّودان،كان يقوم بها أشخاص لحسابهم الخاص، ويتحملون وراءها المشاق الكثيرة،وهذا ما يفسر فشل حملة المنصور العسكرية الأولى على بلاد السّودان[3].

ج– العامل العسكري:

لم تكن بلاد السّودان تتوفر على قوّة عسكرية حديثة التنظيم والتّسليح،فليست للجيش مدافع ولا بنادق وعلى العكس من ذلك، فإنّ الجيش المغربي كان مجهزا على أحدث طراز بالنسبة للقرن العاشر الهجري /السّادس عشر الميلادي[4].

6– مظاهر قوة المولى أحمد المنصور بعد معركة وادي المخازن 1578م.

إهتم المولى أحمد المنصور بعد انتصاره السّاحق في وادي المخازن، بإنشاء جهاز إداري وسياسي قوي، وكانت حكومته تضم وزراء على مستوى ثقافي عال،كأبي فارس عبد العزيز الفشتالي،وعبد العزيز المزوار، وإبراهيم السّفياني واستطاع أن يكوّن دولة قوية،بمقاييس القرن 10هـ/16م رغم السّنوات القليلة نسبيا التي قضاها في الحكم،والتي تقدر بخمسة وعشرين سنة،وعن هذه المعركة وأهميتها قال الفشتالي: «**خاطب لحينه صاحب القسطنطينية العظمى، وسائر ملوك الإسلام المجاورين، للمغرب وعرفهم بالفتح وظهور حزب الله، على حزب الشيطان** »[5] ومن هذه المظاهر أذكر:

---

[1] ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق،ج5، ص69.

[2] عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص 48.

[3] *Brahim Harkat : **le Makhzen Saàdien** , IN R. O.M .M. 1973 , vol 15-16 , P 49.*

[4] نفس المرجع ،ص 64.

[5] ينظر عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ط2،ص48.

– إعتناء المنصور بالجيش[1]:

تمكن المنصور من إنشاء جيش مغربي قوي،تكونت نواته الأولى منذ عهد محمد الشّيخ، واكتملت هيكلته في عهد قائد معركة وادي المخازن عبد الملك السّعدي،وقد ضمّ هذا الجيش عناصر من المرتزقة الأتراك، والعلوج،بالإضافة إلى وحدات أندلسية، وعناصر محلية من البربر والقبائل العربية وقد جعل أحمد المنصور من الأتراك وحدة عسكرية مستقلة، بعد أن كانوا أيام سلفه ضمن فرقة خاصة بها أعلاجا من أجناس مختلفة، واستطاع المنصور أن يدمج الوحدات الأندلسية، والعلوج[2] في فريق واحد مع سائر الوحدات الوطنية،التي تساهم في العمليات الحربية، وقد زودنا أبو فارس عبد العزيز الفشتالي،بمعلومات دقيقة عن الحرس الخاص،الذي كوّنه المنصور من الأتراك، ولذلك يمكن الرجوع إليه في هذا المضمار،وقد حظي الجيش المغربي في عهد أحمد المنصور بقادة ذوي كفاءة عسكرية عالية، تتميز بالوطنية ومنهم "إبراهيم بن محمد السفياني" الذي قاد الجبهة الأمامية في معركة وادي المخازن، كما قام بدور كبير في ردع القبائل الثائرة وقطاع الطرق[3]و اهتم المنصور بصناعة المدافع كما بلغ في عهده الأسطول البحري تطورا كبيرا،بعدما كانت قطع الأسطول في عهدي السلطانين "عبد الله الغالب" و"عبد الملك" المعتصم أربعين قطعة [4].

– القضاء على الثورات والتّمردات :

تمكن المنصور من تكوين قوة عسكرية كبيرة،إلاّ أنّ هذه القوة لم تمنعه من قيام حركات تمردية مسلحة ضد حكمه،كادت أن تأخذ الدولة إلى ما لا تحمد عقباه،حيث كانت هذه التمردات في غالبها من أفراد أسرته ونذكر منها: [5].

أ– ثورة داود بن عبد المؤمن وأهل السوس 987هـ–988هـ/1579م–1581م:

---

[1]جلول بن قومار:"**المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السّعدي 1578–1603م**"،في مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،جامعة غرداية ،عدد20،جوان 2014،ص ص177، 178، 179.

[2] وهم على العموم أسرى مسيحيون من أوروبا يدخلون غالبا في دين الإسلام يطلق عليهم اسم المهتدون.

[3] إبراهيم حركات:المقال السابق،ص64.

[4]عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص ص 93، 94.وينظر أيضا عمار بن خروف:**العلاقات السّياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشرالميلادي**، ط1،دار الأمل للنشر والتوزيع،ج1،الجزائر 2006،ص 129.

[5]جلول بن قومار:**معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أروبا–البرتغال–إسبانيا–فرنسا**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ،غير منشورة ،المركز الجامعي،غرداية 2010،ص114.

كانت في أعقاب تعيين أحمد المنصور ولده "محمد الشيخ وليا للعهد، فثار داود ضدّ عمه المنصور في السوس جنوب المغرب،حيث كان داود يمنيّ نفسه بولاية العهد،وقد وجد في أهل السوس أنصارا لثورته،فأسرع المنصور بتوجيه حملة استطاعت سنة 988هـ/1580م من محاصرة داود في"واد هرغة"،لكن داود استطاع الفرار إلى عرب"الودايا" ليموت هناك[1].

ب- ثورة الحاج قرقوش997ه/1588م:

بدأت ثورة المرابط "الحاج قرقوش"في شمال المغرب بمقاطعة الهبط، حيث دعا لنفسه بالملك، وقد عبّر على ذلك الفشتالي بقوله«**ولبس شارة الملك واتخذ الآلة وتسمى في كتابه بأمير المؤمنين**»[2]، وادّعى أنه من الأشراف،وجمع حوله خلقا كثيرا،واشتعل لهيب ثورته في 16صفر سنة996ه/15جانفي1588م، فحرك له المنصور قوات من حملة البنادق،قوامها 6000 مقاتل،فهزمه وتوارى"قراقوش"على الأنظار،ثم ألقي عليه القبض،وأعدم في فاس في28رجب997ه/1596/6/12م[3].

ت – ثورة الناصر بن عبد الله :1003هـ-1004هـ/ 1595م-1596م، والتي وجدت دعما قويا من إسبانيا[4] .

ث- تمرد محمد الشيخ :

بعدما استطاع المنصور أن يقضي على ثورة الناصر؛ التي كانت قوية جدا،عاش المغرب وباء الطاعون؛ الذي فتك بالكثير من الناس،واستمر سائدا فيه سبع سنين .لكن ما أثّر كثيرا في نفسية المنصور، هو تمرد ابنه محمد الشيخ عليه،وسوء سيرته فقد قال المجهول في هذا الصّدد ما نصه:« ... **قبيح الذات والأفعال غدارا لمن خدمه، ونصحه، مسرعا إلى الفساد في القينات ... مصرا على الخمر والحشيش...** »،وقد جمع حوله أعداء أبيه كعرب أولاد حسين،وبعض الموالين للأتراك،كعرب أولاد طلحة،وفي أكتوبر وجه المنصور حملة قوامها اثنين وعشرين ألف فارسا[5] لتعقب ابنه "محمد الشيخ"،فلم يكن أمام ابنه المتمرد إلا التوجه إلى إحدى الزوايا، ليتم القبض عليه بعد معركة عنيفة.

---

[1] عمار بن خروف: المرجع السابق، ج1،ص129.

[2] نفس المرجع ،ص 129.

[3] نفسه ،ص ص 129، 130.

[4] ينظر مجهول: المصدر السابق،ص73.

[5] عن تمرد محمد الشيخ ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق،ج5، ص169.

– غزو المنصور لإقليمي توات وتيكورارين 991 هـ –992هـ/1571–1572م :

كانت ناحيتا "توات"[1] و"تيكورارين"[2] الواقعتان في الجنوب الغربي للجزائر تشكلان إمتدادا طبيعيا لتلمسان و ورقلة التابعتين للجزائر[3] فعزم أحمد المنصور بعد ثلاث سنوات من توليته، وبعد أن اكتسب زمام القوة العسكرية،بأن يغزو الإقليمين المذكورتين–اللتين لم يكن الأتراك يعيرونهما اهتماما، غير أنّ بعدهما عن المغرب لم يساعد على التعجيل بدخولهما،ولم يتمّ له ذلك إلاّ في سنة 990هـ /1583م، بعد حملة عسكرية أسندت قيادتها إلى القائد "أحمد بن بركة"، و"أحمد الحداد العمري"، وقد تطلب الوصول إلى هذه الجهات شهرين ونصف من السّير انطلاقا من مراكش، والغريب أنّ الأتراك لم يقوموا بأي ردّ فعل ضد هذه الحملة؛ التي كانت لها نتائج إيجابية من الناحية الاقتصادية؛ أتاحت للمنصور الذهبي أن يتهيأ ويستعد لفتوحات أوسع نطاقا من الجهات المجاورة[4].

– الرخاء الإقتصادي :

تغيّر وضع المغرب الأقصى الإقتصادي بعد نصر معركة وادي المخازن 1578، فأصبح يعيش في انتعاش اقتصادي كبير، ورفاهية اجتماعية حسنة،بسبب ما تحصل عليه المنصور من ذهب بلاد السّودان، وتبره وعبيده [5]،وما نتج من أموال نتيجة مفاداة الأسرى المسيحيين والهدايا، التي قدمت له من الملوك والقناصل،وقداستغل المنصور هذه الإمكانات في تقوية وتطوير قوته العسكرية البرية والبحرية،بصناعة السفن،والأسلحة،مستعملا بعض الأسرى،ممن لهم معرفة وخبرة علمية واقتصادية، وقام بتطوير صناعة السّكر؛التي أصبحت من الصناعات الأولى في المغرب[6]،فهذا الثراء الكبير للمغرب، دفع بالكثير من الدول أن تتقرب إليه، وترغب في التعاون معه فسيطرته على التجارة،

---

[1] واحة كبيرة بالجنوب الجزائري ،تضم عدة قرى وقصور، من أشهر مدنها تيميمون وقراره. ينظر محمد الصالح حوتية :**توات والأزواد**،2ج،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القبة الجزائر 2004،ج1،ص32. وينظر مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1981،ص 67.

[2] معناها بالبربرية المعسكرات، للمزيد من الإطلاع ينظر، هامش رقم 39، الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا** ، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر ،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،د ت ،ج2، ص 133.

[3] ينظر عمار بن خروف :المرجع السابق ،ج1،ص229.

[4] أحمد بن القاضي:المصدر السابق ،ج1،ص 119.

[5] كان الملح يباع بالذهب، ويستعمل كتجارة رائجة في الصحراء، لمبادلته بكل ما يباع ويشترى.ينظر إسماعيل العربي:المرجع السابق،ص 329.

[6] *Paul Berthier : **la canne à Sucre richesse de l ancient Maroc** , IN R.O .M .M ,1964 , N^{O}2 , P 386.*

ومناجم الذهب، رفع من قيمة دولته إقليميا، وجعل لنفسه وزنا خاصا في العالم الخارجي،حتى بدأت إسبانيا تخشى من سطوته، وتخاف من قوته المتنامية، التي قد يستعملها ضدها، فسعت محاولة أن تعقد تحالفا عسكريا معه[1].

– تحكم المنصور في طرق التجارة الصحراوية :

أصبح المنصور سلطانا تدين لطاعته بلاد واسعة من بلاد السّودان الغربي ،نظرا للسواحل الواسعة التي سيطر عليها،والتي تمتد مئات الكيلومترات على ضفاف المحيط، الأمر الذي جعل المنصور يشرف على أعظم طرق المواصلات البرية بين بلاد السّودان والمغرب من جهة، وبين إفريقيا الشّرقية ومصر من جهة أخرى، وقد شجعه على التّمادي في فتوحاته في الصّحراء الإفريقية وبلاد السّودان، ضعف الطريق البحرية المتوسطية، غداة التوسع العثماني التركي في شمال غرب إفريقيا هؤلاء الذين أعلنوا الجهاد البحري ضد الدول الأوروبية، التي لم يوقعوا مع معظمهامعاهدات واتفاقات سلم[2].

– المنصور وحلم استرداد الأندلس :

كانت السّنوات الأخيرة من حكم "فيليب الثاني"[3] ملك إسبانيا قلقة جدا،إذ الفشل والخيبة وتوالي الهزائم بعد أن تكبّد خسائر جسيمة في معركة الأرمادا في 10 أوت 1588م[4]، ظلت تلاحقه،فتوجه أحمد المنصور إلى التعاون مع المعسكر "البروتستانتي"،تحدوه رغبة العمل ضد فيليب الثاني، كرد فعل لما قام به من تأييده لثورة الناصر،ولأن احتلال الإنجليز لمدينة قادس سنة 1596م،

---

[1] عبد الكريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السعديّة**،جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب 1978 ، ص 176. وينظر أيضا عمار بن خروف،ج 1،ص230.

[2] عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص 174.

[3] فيليب الثاني ملك إسبانيا من سنة 1556م إلى سنة 1598م،ولد بمنطقة بلد الوليد في 21ماي 1527م ،أبوه شارل الخامس وأمه تسمى إيزابيلا من البرتغال،عمل على تعزيز مكانة إسبانيا السياسية والعسكرية،كانت له علاقات متشعبة مع المولى أحمد المنصور للمزيد من الإطلاع ينظر:

*M.Watson :**PhillipeII Roi d éspagne** ,vol1,Mesterdam,p 1.*

[4] تعني الجيش الكثير ، وهي اسم معركة بين الإنجليز والإسبان دارت رحاها في أوروبا، وانتهت في 10 أوت 1588م،انهزم فيها أسطول فيليب الثاني، للمزيد من الإطلاع والتوسع عن مجريات المعركة، ينظر جفري براون:**تاريخ أوروبا الحديث**، تعريب علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع ،الأردن، د، ت، ص202.

أبطل أسطورة إسبانيا القوية المنيعة،وأظهر حقيقة أوضاعها المضطربة،فحرك ذلك في نفس المنصور،حلم استرداد الأندلس،حظيرة المسلمين المفقودة،حيث ذكر الفشتالي ما نصه:« **إن يريدنا على عدو الدين بفضله ،وينجز لنا وعده الصادق في إظهار دين الحق كله، ويسهل علينا بفضله ومعونته أسباب فتح الأندلس،وتجديد رسوم الإيمان بها،وإحياء أطلاله الدرس حتى ينطلق لسان الدين فيها بكلمة الله التي طالما سكت عنها بدائه وخرس وشرق بريقه فغصّ و احتبس**... »[1]وقد ظهر هذا العزم في توجيه المنصور ثلاث سفن مسلحة، ومحملة بالمؤونة انضمت يوم 25 جوان 1596م إلى الأسطول الإنجليزي والهولندي، الذي كان يحاصر مدينة قادس الإسبانية تحت قيادة(*Charles Haward*)، ليؤكد للإنجليز والهولنديين،مدى حرصه على محاربة الإسبان، وأعرب المنصور عن أمله في فتح الأندلس، إذ أنّ احتلال قادس قد أعطى الدليل على إمكانية فتح إسبانيا متى توحدت الجهود، واتخذت كل الإمكانات، وفي شهرمارس1597م،وصلت للمنصور رسالة من الملكة ايليزابيت،تطلب فيها من المولى أحمد أن يقوم بتخريب المناطق الزراعية الموجودة حول مراكز الاحتلال الإسباني بالمغرب،وأنّ يفرض المنصور حصارا اقتصاديا شديدا [2] فلم يلب المنصور هذا الطلب لتخوفه من ردة فعل الإسبان، ولأنّه كان لعوبا مراوغا سياسيا حاول أن يربح الوقت وأن لا يقدم على فعل قد يغضب الملك الإسباني، وأمام هذه الأوضاع الخطيرة التي تمر بها إسبانيا، بات فيليب الثاني متخوفا وغير مطمئن من ناحية المنصور، فكان يبحث له عن نقاط ضغط، قد تدفع به للتراجع عن نياته ضده، وتحالفه المرتقب مع الإنجليز، فوجد في الثورة القائمة ضده في جبال غمارة وسيلة لإستغلالها ضده، لعل المنصور يفضل مصالحه السياسية في المغرب،أكثر من أن يتورط في مشاكل سياسية بعيدة عنه، تخصّ الإنجليز وافسبان على حدّ سواء[3].

– علاقات المنصور التجارية مع الإنجليز :

بعثت الملكة إليزابيث خطابا للمنصور في أبريل 1585م،تقدم فيه شكرها لما أبداه من رعاية للإنجليز، الذين وصلوا للمغرب للتجارة وفي 05 جويلية من نفس السنة، وقدأصدرت الملكة قرارا بتأسيس شركة "بلاد البربر" لاحتكار التجارة المغربية لمدة اثني عشر عاما، وتدين هذه الشّركة بوجودها للجهود، التي بذلها لدى البلاط الإنجليزي كل من "إيرل أوف ليستر" وأخوه "إيرل أوف

---

[1] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 191.

[2] *Henry de Castries :* ***les sources inédites de L histoire du Maroc*** *,1serie dynaste saadienne , Archives bibliothèques D'Angleterre , T2 , Paul geuthner , paris et Luzace , londre , p 121.*

[3] عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص 126.

أرويك"،حيث كانا يسيطران تماما على تجار لندن الأربعين؛الذين كوّنوا هذه الشّركة [1]،وكان الهدف من الشّركة أن يقف تجار لندن حائلا في مواجهة من أسموهم بالتجار المتطفلين.

هذه ما أدّى إلى تدمير السّوق،و وقوع أضرار بالتجارة، والتجار الشّرعيين وكان أول قرارات الشركة الجديدة، هو إرسال وكيل لها إلى البلاط السّعدي، ليحافظ على العلاقات الودّية بين البلدين، وقد وصل هذا الوكيل المدعو "هنري روبرتس" إلى آسفي في 04 سبتمبر 1585م، واستقبله المنصور بحفاوة عظيمة،ومنحه دارا في الحي اليهودي،ليقيم فيها، وقد انعكس تحسين العلاقات بين المملكتين في الأمر الذي أصدره أحمد المنصور في 03 ربيع الآخر عام 996هـ/ أول مارس 1588م، والذي قدم فيه الحماية والرعاية الخاصة للتجار الإنجليز[2]

7-جهود المنصور في المجال الإداري والتنظيمي:

بنيت الدولة السّعدية منذ تأسيسها على نظام حكم وراثي، يمثل فيه السّلطان الركيزة الأساسية في تسيير شؤون البلاد، و يتكون الجهاز الإداري للمنصور من:

-الحاجب:

الذي يعتبر الشّخصية الهامة في جهاز الدولة بعد السّلطان، وهو الواسطة بينه وبين الوزراء، ينفذ تعاليم السّلطان ويبلغ قراراته للوزراء [3].

-كاتب السّر:

وهو الشّخصية الثانية بعد الحاجب و من المقربين للسّلطان حيث يطلع على أسرار الدولة ويحافظ عنها[4].

-أصحاب المشورة:

هو المجلس الإستشاري الذي يتكون من أصحاب الرأي والمشورة والقادة قال عبد العزيز الفشتالي في هذا الصدد ما نصه : « **فحمع الملأ من طبقات الأجناد وذوي الحل والربط وأولي**

---

[1] ف ج روجرز: **تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900**،تعريب يونان لبيب رزق ، ط1، دار الثقافة، دار البيضاء ، المغرب 1981،ص46.وينظر عبد الهادي التازي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،10مج،مطابع فضالة المحمديةالمغرب،مج 8، ص193.

[2] ف ج روجرز:المرجع السّابق،ص 47.

[3] عبد الكريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السعديّة**، ج2،ص230.

[4] نفس المرجع.

البصيرة والحنكة وخبرة الأمور لم يستثن مشار إليه ولا مشاور وصدع لهم أيده الله بذات صدره وفاتحهم بعزيمته وما أجمع عليه من تجهيز العساكر إلى هذه الأقاليم السودانية والأصقاع الجنوبية »[1].

–صاحب المظالم:

هو الذي يتلقى شكاوى المظلومين، ويرفعها للمنصور الذي يجلس للنظر فيها بعد صلاة الجمعة[2].

– القيادة العسكرية:

تتكون قيادة المنصور العسكرية من قادة من أصول عربية وآخرون من أصول أجنبية،كالأعلاج والأتراك وعناصر أخرى تواجدت بقرب المنصور قال عبد العزيز الفشتالي: «**فاختص رؤساء العرب وأكابر الدولة منهم بالمشورة والتدبير وقيادة عساكر الخيل اليزنية واصطفى من العجم موالي أنبتتهم نعمته ودربتهم تربيته فنجبت طوائف عديدة ليس فيهم فتى أضخم حالا وأعظم شأنا**»[3]،وقد برز هؤلاء القادة العسكريين في حروب أحمد المنصور في جنوب المغرب والسّودان الغربي بحيث إضطر أن يخضع هذه الأقاليم البعيدة عن مركز سلطة السّعديين إلى القيادات العسكرية[4].

–أيام الديوان:

يعتبر من مظاهر التنظيمات التي أحدثها المنصور لتسيير شؤون الدولة وقد حدّد بأيام معينة وفي هذا الصدد قال عبد العزيز الفشتالي: « **وحمدت طريقته تقسيم زمانه إلى أيام الديوان وهي التي يجلس فيها للجمهور والوفود وأحكام الجند ومناولة أمور المملكة بالنقض والإبرام وخصّ بذلك يو السبت والإثنين والأربعاء وكذا سيرته الكريمة أيده الله**»[5].

---

[1] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 126.

[2] عبد الكريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السعديّة**، ج2،ص230.

[3] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 201.

[4] عبد الكريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السعديّة**، ج2،ص231.

[5] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 205 وينظر عمار بن خروف :المرجع السابق ، ج1،ص 126.

8- الوضع الصّحي بالمغرب[1] في عهد المنصور السّعدي:

عرف المغرب في عهد المولى أحمد المنصور إزدهارا إقتصاديا وإجتماعيا كما شهد أوبئة ومجاعات مثلما حدث مرارا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر فعرف المغرب بتدهور الأحوال الصّحية كثيرا والتي نجمت عن المجاعات والفيضانات، فظهرت أوبئة معدية كمرض(السّعال) الذي انتشر لمدة سنتين متواليتين في أقصى جنوب المغرب منذ سنة 978هـ/1579م ثم شهد المغرب سنة 1004هـ/1595م وباء هلك منه خلق كثير وبعده بسنتين انتشر وباء آخر مات من جرائه المئات منهم فقهاء وشخصيات في المدينة، وتوالت الكوارث على المغرب عدة سنوات هلك من جرائها خلق كثير ومنهم المنصور نفسه[2].

9- شخصية المنصور من خلال أعماله:

لقد سبق وأن وصفت المنصور من ناحية الملامح الجسمية ،لكن يبدو أنّ المنصور يتميز بشخصية كاملة تتخللها بعض الصّفات الكامنة وراء مظهره ومن أبرزها:

–الخضوع للتأثير العاطفي، ويتجلى ذلك في عدم فصله نهائيا في ولاية العهد إنتظارا لتوبة ولده المأمون كما يعتقد الباحث إبراهيم حركات [3].

–تهويل وتضخيم بعض المواقف السّياسية مثلما حدث مع الفقيه أحمد بابا التنبكتي وكذلك حروبه وسياسته تجاه السّودان الغربي.

–يتميز بروح التّعاون والإمتثال، مثلما فعل مع أخيه عبد الملك ، حيث وقف معه في العديد من المواقف الصّعبة ومنها حروبه مع المتوكل، وقتاله معه في معركة وادي المخازن، ولم تذكر المصادر التّاريخية أنّ المنصور حاول التمرد على أخيه أوالإنقلاب عليه، وكانت الفرص متاحة لتحقيق ذلك.

---

[1] للتوسع ينظر محمد أمين البزاز أطروحة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ جرمان عياش موضوعها، **الأبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس ،أكدال الرباط 1992م، ص126. وينظر محمد استيتو:**الفقر والفقراء في المغرب خلال القرن السادس عشر والسابع عشر** ،وهي أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ تحت إشراف محمد مزي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ،وجدة 2002، وينظر رسالة محمد استيتو:**الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن السادس عشر**، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ،ظهر المهراس،دبلوم الدراسات العليان إشراف محمد مزين،فاس 1988.

[2] في دراسته بمجلة دعوة الحق تحت عنوان"**أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة**"،ص74.

[3]نفس المرجع ،ص79.

–الذكاء الوقاد والمحافظة على أسرار الدولة ويتضح لنا ذلك من موقفين اثنين هما إخفاؤه موت أخيه أثناء المعركة(وادي المخازن) وابتكاره لحروف الشّفرة [1].

–الطّموح والتّطلع بحيث كان يسعى لإقامة دولة قوية اقتبس مظاهر الملك فيها من الأتراك العثمانيين ووسّع ملكه ليكوّن إمبراطورية مغربية تجاه مناطق السّودان الغنية.

– إتزان شخصيته التي استطاع من خلالها حل مشكلات سياسية ودبلوماسية صعبة مع الأتراك العثمانيين ودولة إسبانيا بحنكة ومقدرة كبيرة، مما يدل على أنّ هذه الشّخصية غير معقدة تمكنت من تعيين قادة أكفاء في مناصب هامة[2].

– التّشبع بالروح النظامية التي أخذها من النظم التركية ثم إقراره للأمن للسكان ومراقبة تصرفات المسؤولين في دولته.

– الحرس على توطيد العدل في مملكته وهذا ما جعل المنصور يعين قضاة أكفاء في جهاز العدالة وينشئ "أيام الديوان"[3].

10–موقفه من القوى الدينية والعلمية:

إتبع المنصور مع القوى الدينية أسلوب الشّدة والصّرامة مع زعماء الدين ومنهم أحمد بن موسى الجازولي الذي مات وهو في سجن تارودانت [4] مما جعل القوى الدينية الصّوفية ترهبه وتستكين له وقد اتخذ المنصور سياسة الإرضاء بتقريب بعض القوى الدينية وإكرامهم حتى يكسبهم لصفه،ومنهم الشيخ "أبو عبد الله البصري المكناسي" –وهو من أولياء الله الصّادقين– قال عبد العزيز الفشتالي في هذا الصّدد ما نصّه:

« **وكان يخفض له جناح الذل من الرحمة ويلين له في القول حتى ينصرف راضيا ويمضي شاكرا داعيا**»[5].

وكان المنصور يقرب العلماء والأدباء ويكرمهم بالمال فيعودون إلى ديارهم شاكرين له، ويديعون ذلك بين النّاس، حتى يغضوا الطرف على شدة المنصور في رسم الضرائب عليهم[6].

---

[1]إبراهيم حركات :المقال السابق،ص79.

[2]نفس المرجع. وللمزيد من الإطلاع ينظر عمار بن خروف:المرجع السابق، ج1،ص 135.

[3] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 205.

[4] عمار بن خروف:المرجع السابق، ص127.

[5] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 224

[6] ينظر مجهول: المصدر السابق،ص65. وللمزيد من الإطلاع ينظر عمار بن خروف:المرجع السابق، ج1،ص128.

11-موقفه من القوى القبلية:

تعامل المنصور بشدة وحزم مع بعض القبائل التي كان يشكّ في ولائها له، فقد قام بنقل قبائل عربية من جنوب المغرب إلى شماله ،كأولاد مطاع وأنزلهم بين قبائل الخلط، وكان يخشى من أولاد الحسين الذين لم يكن ولاءهم واضحا تجاه المنصور وجذب قبائل الغلط واستخدمهم في الجيش، كما بنى في الجنوب الغربي بعض القلاع والحصون، حتى يتحكم في الطّرق والمسالك وتسمح له بالسّيطرة على تلك القبائل[1].

وبالرغم من كل هذه الإحتراسات التي أقامها المنصور تجاه هذه القبائل والممالك إلاّ أنّ الأمر لا يخلو من بعض التّمردات من بعض القبائل غير الرّاضية على حكم المنصور ومنها ما ذكره عبد العزيز الفشتالي عن خروج أحمد المنصور لتأديب القبائل المتمردة حيث قال:« **في جيش عرمرم من الأسل والنار إلى بلاد الريف والهبط وجبال غمارة لإقتفاء خراجها وتجديد العهد فيها بقواعد الطاعة لإستيحاش طباع أهلها وسرعة إستيحالتهم فسارت العساكر في تلك الجهات مسير الشمس حتى استوعبوها سلوكا سهلا وجبلا واقتضى خراجها وبثّ فيها الطاعة** »[2]،وعندما توجه المنصور لإرجاع قبائل أولاد الحسين إلى طاعته قال الفشتالي ما نصّه :«... **في حصة أخرى من الجيش إلى قبائل أولاد الحسين من العرب المعقل لإنتزاع خيلهم لما أشتهر عنهم من قطع السبيل والعبث في الأوطان فارجلوا كافة وستقصيت خيلهم**»[3].

12-تمرد محمد الشيخ ووفاة المنصور:

تميزت السّنوات الأخيرة من حكم المنصور بالإرتباك، فقد انتشر الطّاعون واستمر يعصف بالبلاد لسبع سنوات هلك من جرائه الكثير من السّكان،وأقفرت المدن والأرياف،ولجأ معظم السكان إلى الجبال، وتعطلت الزراعة ورافق الطّاعون القحط الذي استمر ثلاث سنوات،جفت خلالها الأنهار ونضبت الينابيع،وتلا ذلك مجاعة مخيفة والجدير بالذكر أنّ اختيار المنصور لأبنه محمد الشّيخ المأمون وليا للعهد، لم يكن اختيارا موفقا إذ لم يلق أي ارتياح من السّكان، ولا من إخوته أو أسرته،فكان يدبر المكائد ويحيك المؤامرات ليستأثر بالحكم على حساب أبيه فحاول التمرد عليه

---

[1] عمار بن خروف:المرجع السابق، ج1،ص127

[2] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 65.

[3] نفس المصدر.

لكنّه فشل،وتم اعتقاله وسجن بضريح"أبي الشتاء الخمار"[1]في المنطقة الشّمالية، ثم نقل إلى مكناس فمراكش[2].عزم المنصور بعدما انتهى من تمرد ابنه محمد الشّيخ المأمون، بالرجوع إلى مراكش، فلما بلغه ظهور الوباء بتلك النواحي، تريث في الرجوع إلى أن دخلت سنة 1012هـ/1603م، لكن الوباء كان قد انتشر في كل المناطق الغربية، وقد أصيب المنصور بهذا الوباء بمدينة فاس الجديدة يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع الأول سنة اثنتي عشر وألف، وتوفي ليلة الاثنين 16 ربيع الأول سنة 1012هـالموافق لـ26أوت 1603[3].

ومما سبق يمكن القول:

دخل المغرب الأقصى بعد معركة وادي المخازن، في علاقات جديدة مع القوى المجاورة له تمثلت في التعامل بالمثل والندية،فقد فهمت إسبانيا أنّ المنصور اكتسب من القوة العسكرية والمكانة الدولية، ما يمكنه أن يهدد الوجود الإسباني في المغرب، وخاصة إذا توجه صوب أعداء إسبانيا التقليديين الإنجليز،والدولة العثمانية وقد يستعمل المغرب كقاعدة لمحاصرة الإسبان من الجهة الجنوبية،وفي الوقت الذي كانت فيه المسألة البرتغالية على أشدها،كان فيليب الثاني يخشى أن يمد أحمد المنصور العون للثائر"الضون أونطونيو" ،ويدعم ثورته بالمال والسّلاح، فقد بات أحمد المنصور في المغرب على درجة كبيرة من القوة، واستطاع أن يتغلب على كل الصّعوبات الداخلية والخارجية؛التي واجهته في بداية عهده على الخصوص؛ وصار المغرب الدولة الفاعلة في القرن السّادس عشر تحسب له ألف حساب، فلم يعد أحمد المنصور يخشى إنتقام الأتراك العثمانيين، ولا حتّى الإسبان، فقد احتاط لنفسه من ردة أفعالهم المحتملة، وهذا بالتقرب من الإنجليز الذي كانت له مراسلات عديدة مع الملكة الإنجليزية إليزابيث الأولى[4].

---

[1] محمد بن موسى،صوفي يعرف بالخمار،شاوي النسب يكنى بأبي الشتاء توفي عام 997 هـ/1590ودفن بجبل أمركو من بلاد فشتالة، ينظر عبد الله بن محمد بن عيشون الشراط:**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**،تحقيق زهراء النظام،ط1،مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ،الرباط 1997،ص 128 .

[2] إبراهيم حركات: **السياسة والمجتمع في العصر السّعدي**،دار الرشاد الحديثة ،الدارالبيضاء، المغرب 1985،ص 87 .

[3] نفس المرجع ،ص87.و للتوسع أكثر ينظر عمار بن خروف:المرجع السابق،ج1،ص 131.

[4] عن هذه المراسلات ينظر *Henry de Castries : **les sources inédites de L histoire du Maroc** ,1serie ,dynaste saadienne , Archives bibliothèques france , T2 , Ernest leroux , Paris 1909, p 151.*

ويشهد على ذلك إقدامه على شنه لعدة حملات عسكرية على واحات "توات" "وتيكورارين" في سنة 991هـ/ 1583م وفرض الحصار على طنجة في سنة 992هـ/1584م، ثم على شرشال سنة 996هـ/1588م وإرسال حملة في مطلع سنة 998هـ/1590م لاحتلال بلاد السّودان الغربي،توفي المنصور بعد أن أصيب بالوباء وترك المغرب يموج في فوضى عارمة، تسبب فيها أبناؤه الذين افتتنوا على الحكم مما جعل المغرب عرضةللأطماع الخارجية الأروبية من جديد.

المبحث الثاني:

السّلطان مولاي إسماعيل العلوي (1645 م– 1727م) في تاريخ المغرب.

1-مولده ونسبه:

إسماعيل بن مولاي علي الشريف العلوي والمعروف بمولاي إسماعيل ولد بسوس عام خمسة وستين وألف هجرية الموافق لـ 1645م،ومنهم من يرجع موضع ولادته بتافيلالت بالقصر المعروف بأمجار[1] وذهب بعضهم ومنهم المؤرخ الضعّيف أنّه ولد عام وقعة القاعة [2]وقد فرح به أبوه فرحا شديدا لأنّه رزق به على حين كبر وسمّاه إسماعيل[3]،أمّا أمّه فيذكر مؤرخ الدولة العلوية الشهير مولاي عبد الرحمان بن زيدان (ت 1946م) صاحب كتاب "المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف" أن والدة السّلطان مولاي إسماعيل هي مباركة بنت يرك المتوفاة سنة 1078هـ/1668م وضريحها بفاس بالمغرب ومباركة بنت يرك حرطانية لأولاد[4] ديمان أهدوها لأبي دميعة السّملالي مؤسسس مدينة إيليغ عاصمة الإمارة السّملالية الودايا بمنطقة إيليغ[5]،كانت ضمن النّساء اللواتي يمتلكهن "أبو حسون السّملالي"[6]وقد أهدى أولاد جرار إلى المولى "علي الشّريف" أمة تساعده وتأخذ بيده في حبسه وتقوم على شؤونه[7].

---

[1] عبد الرحمان بن زيدان:**الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، المطبعة الاقتصادية بالرباط،1937،ص 29.

[2] هي معركة بين الدلائيين وقوات مولاي محمد الشريف سنة 1056هـ/1646م، إنهزم فيها مولاي محمد، وأقتحم الدلائيون سجلماسة، وقسموا معه مناطق النفوذ فأعتبر كل ما يقع جنوب الصحراء، هي مناطق تابعة للمولى محمد الشريف، ومن جهة الشمال،مناطق نفوذ الحاج محمد الدلائي.ينظر محمد الضّعيف الرباطي:**تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السّعيدة)**،تحقيق وتعليق أحمد العماري ،ط1،دار المأثورات الرباط 1986، ص 9.

[3] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله اليفرني : **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور،ط2، المطبعة الملكية الرباط، ص 41.

[4] ينظر عبد الرحمان بن زيدان: عبد الرحمن بن زيدان: **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**،تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي،ط1،مطبعة إديال،الدار البيضاء،المغرب1993، ص ص43، 44.

[5] منطقة إيليغ تبعد اثنين وخمسين كلم عن مدينة تزنيت، وستة كلمترات عن زاوية سيدي أحمد أوموسى،عاصمة إمارة السّملاليين،تعرضت للهدم من طرف السّلطان العلوي المولى الرشيد في حملاته للقضاء على الإمارات الإنفصالية ينظر:محمد المختار السوسي:**ايليغ قديما وحديثا** ،تعليق محمد بن عبد الله الروداني،المطبعة الملكية ،الرباط 1966.

[6]هوعلي بن محمد بن أحمد بن موسى الجزولي السّملالي الملقب ببودميعة، زعيم شعبي بمنطقة سوس،قام بثورة سنة 1035هـ-1070هـ/1625م-1659م،كان يرى أن الدولة السّعدية قد انحرفت عن الأهداف التي قامت من أجلها، ينظر عنه، إبراهيم حركات: **السياسة والمجتمع في العهد السّعدي**، ص 98 .

[7] محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص 9.

ويرجح أنه تزوّج بهذه الأمة، وأنجب منها ابنه إسماعيل،وقد كبر المولى إسماعيل في رعاية أبيه، وفي إحدى رحلاته إلى الصّحراء[1].يرجع نسب المولى إسماعيل إلى الأشراف العلويين، من سلالة علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه –وفاطمة الزهراء،فكان قدوم جدّه الأوّل الحسن بن القاسم من الحجاز من مكان يسمى ينبع النخل، به عيون كثيرة يقال أن عددها مائة وستون عينا، ويبعد عن المدينة المنورة مدة أربعة أيام واستوطن سجلماسة[2] في عهد الدولة المرينية، وسبب قدومه أن ركب الحجيج المغربي، كان يتردد على الأشراف هناك، فطلب المغاربة من الحسن بن القاسم المجيئ معهم، ومنهم أولاد البشري وأولاد المنزاري وأولاد بن عاقلة وأولاد المعتصمي وصاهره منهم أولاد المنزاري[3]وقد عرفوا كذلك بالشّرفاء السّجلماسيين[4]،تولى مولاي الشّريف بن علي(1589–1659) زمام الحكم في المغرب إلاّ أنّ زعيم السّملاليين أبا حسون (بو دميعة) ثار ضده فقبض عليه وسجنه،فقام ابنه المولى محمد بن علي الشريف السجلماسي –الذي حكم المغرب مابين سنة (1635–1664م) –يطلب الحكم لنفسه،في حين كان أبو حسون قد أطلق سراح الشّريف بن علي من محبسه، وتذكر المصادر التاريخية أنّ المولى الشّريف بن علي كان زاهدا في الحكم، وقد تولى ابنه محمد الطامح للحكم زمام المبادرة في ذلك[5].

---

[1] تزوج بالسّيدة "خناثة بنت الشّيخ بكار المعافري" حوالي سنة 1089هـ/1678م،وكانت امرأة لبيبة، وفقيهة،وصاحبة رأي، ومشورة،نالت ثقته عندما بويع بالحكم وله منها السلطان مولاي عبد الله جد الملوك الحاليين في المغرب ينظر خير الدين الزركلي: **الأعلام** ،ط15،دار الملايين8ج،بيروت 2002م ،ج2،ص324.وينظر كذلك عنها محمد الصبيحي: "**بعض شهيرات النساء**"، في مجلة المغرب،الرباط،السنة الرابعة،عدد نوفمبر 1935م،ص8.

[2] مدينة قديمة قال عنها البكري: «... ومدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومائة وبعمارتها خلت مدينة ترغة وبينهما يومان وبعمارتها خلت زيز أيضا... » نقلا عن حسن حافظي علوي:**سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي**،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1997م،ص28.

[3] عبد الكريم بن موسى الريفي:**زهر الأكم**،دراسة وتحقيق آسية بنعدادة،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1992،ص ص 100، 101، 102.

[4] *Augustin Bernard et Ch-Al-Joly* :***le tafilelt et sidjilmassa***, *in* France-Maroc ,*deuxieme Année* N^O 7, *15Juillet 1918,paris ,p198.*

[5] عبد الكريم بن موسى الريفي: المصدر السابق،ص ص107، 108. وللتوسع ينظر عنه :العسري محمد :**مولاي محمد بن الشريف ومنطقة المغرب الشرقي 1640–1664م** ،دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ،جامعة وجدة 1987م.

3-صفاته:

وصفه محمد الضعيف الرباطي بقوله:« **أدم اللون،أكحل العينين،أجعد الشعر،معتدل القد،ليس بالطويل،أشيب كأن لحيته من بياضها قطعة ثلج،سميح الوجه،كريم اللقاء ،حسن العفو ،حليما متواضعا في ذات الله تعالى، مكرما للصلحاء،موثرا لهم،مرفعا للعلماء مقربا لهم،أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه،فصيح اللسان،ذاكرا للتواريخ وأيام الناس،نافذ الرأي ذو حزم وسياسة وشجاعة** »[1]وكان له اهتمام عظيم بالشّؤون الإسلامية،متدينا، متقشفا في حياته، يستفتي علماء عصره في جلائل الأمور، خصوصا الشيخ أبو السّعود الفاسي[2].

4- بيعته :

لما توفي مولاي الرشيد سنة 1672م م كان المولى إسماعيل واليا على فاس،وبويع سلطانا على المغرب في السّاعة الثانية من يوم الأربعاء السّادس عشر من ذي الحجة من سنة 1082هـ /16 من أفريل سنة 1672م، وحضر بيعته أعيان المغرب،وصلحاؤه،سوى أهل مراكش حيث أن ابن أخيه أحمد بن محرز لما بلغه خبر موت عمه الرشيد،أسرع إلى مراكش وطلب من أهلها مبايعته ولتفّ حوله جماعات من ذوي الأغراض خصوصا من أهل سوس[3]، وكان عمره آنذاك ستّا وعشرين سنة [4].

5- أقوال المؤرخين الغربيين فيه :

اختلفت نظرة الكتاب الغربيين في شخصية المولى إسماعيل، فمنهم من وصفه بالحزم وعلو الهمّة والتّمسك بالدّين، ومنهم من وقف موقفا ناقدا لحياته، واتهمه بالدموية، والجور، والتّعسف، خاصة في معاملته للأسرى المسيحيين في المغرب،يقول عنه بما يمكن ترجمته "سان ألون" سفير الملك الفرنسي لويس الرابع عشر في رسالة وجهها لملكه المذكور قال فيها:« **أمّا أخصّ أوصافه فهو الاعتقاد الراسخ في الدين،لا تأخذه في الدين لومة لائم،مستحضر لآي القرآن في كثير من أحواله ومضحيا بنفسه في سبيل نشر الدين،وعلو كلمته،وبالجملة فإنه لم يظهر ملك ذو قوة وثبات على وصول الدين مثل مولاي إسماعيل منذ قرون،مطلع على العلوم الدينية متفقه مستحضر**

---

[1] محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق، ص99.

[2] محمد الفاسي:"**حياة المولى إسماعيل**"،في مجلة تطوان،عدد خاص،1970،ص 5.

[3]نفس المرجع،ص ص6،7.

[4]محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله اليفرني: **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**،ص304.

لمسائلها الأصلية يتمذهب بمذهب مالك،يصوم زيادة عن رمضان شهرين في العام،وما شرب قط مسكرا في عمره،ويعتمد على الله في سائر أحواله وإذا دخل في الصلاة توجه بكليته إلى ربه،ويتجرد من نخوة الملك وحلته ويطلب من الصلحاء والحجاج والعلماء الإكثار من الدعاء له بظهر الغيب...»[1]وذكر هنري دوكاستري في كتابه "**مولاي إسماعيل وجاك الثاني**" يردّ على أولئك الذين اتهموا مولاي إسماعيل بالقسوة، والدموية،من رجال الافتداء، والقساوسة، بقوله:«**إننا نجد أشياء خالية عن كل حجة تناقلتها الأفكار بأوروبا مما كان يقاسيه الأسارى من النّصارى عن مولاي إسماعيل من الشّدة مع أنه لم يكن يعاملهم بأكثر مما يعامل به غيرهم من الجناة و إننا لم نجد مايعتمد فيما نسبوه إليه إلا ما نقله الأوروبيون في تواريخهم وخصوصا رجال الدين منهم، وذلك بعيدا عن الصحة فإنهم كتبوا ذلك بدون تروّ** ...»[2]،كما وصفه صاحب كتاب تاريخ المغرب المطبوع بباريس سنة 1921م:«**إنّ مولاي إسماعيل قام بأمر عظيم يمكن أن نشبهه بأعاظم ملوك تاريخ فرنسا**...» [3]وفي المقابل، هناك من إعتبر مولاي إسماعيل، شخصية شديدة ودموية، فقد قتل زهاء 36ألف شخص بيده في الستة والعشرين سنة الأولى من حكمه فقد وصفه الأسير مويط بقوله:« **طويل شيئا ما، حسن الملامح، ذو لحية طويلة، ومتفرعة قليلا ونظره الذي يبدو عذبا إلى حدّ لا يدل على إنسانيته، بل بالعكس إنه شديد قاس إلى درجة أن رعاياه يقولون إنه لم يسبق لهم أميرا يضاهيه** ...»[4]بينما ذكر سفير الملك الفرنسي لويس الرابع عشر بيدو دوسانت أولو(*pidou desaint Olon*) عندما زار المغرب سنة 1694م،إلى أنّ

---

[1] ينظر الرسالة وترجمتها عند عبد الرحمان بن زيدان:**إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**،تحقيق علي عمر،ط1،5ج،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة 2008،ج2،ص ص 63-65.

[2] نفس المرجع ،ص66.

[3] نفسه .

[4] جرمان مويط:**رحلة الأسير مويط**،تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر،وزارة الثقافة المغربية،دار المناهل للطباعة والنشر،المغرب 1990م ، ص 74. وينظر كذلك

*Michaux-Bellaire,: **L'organisme marocain**,in revue du Monde Musulman , Paris 1909, T9, sebtembre , pp28 , 29.*

ويستدلون على ذلك، بإحصائيات لأسرى مسيحيين قتلوا في المغرب، ففي 28ديسمبر من سنة 1684م قتل الأسير بلتزار دوكستيلو(*Baltassa decastillo*)،وفي4مارس سنة 1685م قتل ألونسو دوسييرا (*Alonso desiera*) وفي20جويلية سنة 1687م ،قتل جيرون بينـدو(*Garonne Pando*) وفي سنة 1688م قطع رأس الأسير بيـدرو ألركـون (*Pedro Alarcon*)،وفي 5فيفري من سنة 1690م قتل بيده الأسير دييغو دوسوتو(*Diego de sotto*)،لأنه حاول الفرار، وفي جوان من نفس السنة، قتل في مكناس الأسير فرنسوا شوسو(*François chusosotto*)ثم في جويلية قتل الأسير أونطونيو.

مولاي إسماعيل قتل في حدود عشرين يوما أو واحد وعشرين يوما، سبع وأربعين شخصا،أمّا دومينيك بوسنا(*dominique busnat*) فقد أعطى تفاصيل أكثر سنة 1764م،حول هذه القسوة فقال:« **إنّ مولاي إسماعيل عندما يلبس الملابس الصّفراء،فإنّه يقتل الكثير من البشر**»[1].ومما سبق نستنتج أن الأوروبيين نسبوا لمولاي إسماعيل أخلاق القسوة والعنف والبطش والتمثيل والتنكيل، لغير سبب مقنع أو أدلة قاطعة، و أوعزوا ذلك إلى نفسية المولى إسماعيل المتعطشة للدماء كما وصفوه، وهذه الدعاوى والاتهامات ترقى للحقيقة التاريخية، إذ أنّ هؤلاء صدقّوا أقوال الأسرى من أبناءجلدتهم ،الذين كانوا يعاملون معاملة ذلك العصر المبنية على الشّدة،ولكن هذه الشدّة لا تزيد على التي كان يعامل بها الأسرى المسلمون عند النّصارى[2] ففي إسبانيا كان يباح قتل الأسرى وتعذيبهم،وحلق شعورهم ولحاهم،ولا يسمح لهم بلبس النّعال إلاّ من اعتنق النّصرانية أمّا عملهم فكانوا يوضعون صفوفا في السّفن، بعضهم فوق بعض ويربطون بالسّلاسل والقيود، وكل واحد قابض على طرف من المجداف الطويل، عليهم رقباء يحملون العصي والسّياط قال:عن هذه الحالة المؤرخ الفرنسي إرنست لافيس"*lavisse ernest*" (1842م/1922م):« **إنّ هذه القساوة لا مثيل لها في تاريخ الرق أبدا**»[3]. هذه المبالغة في وصف المولى إسماعيل بالشّدة تجانبها الموضوعية التّاريخية التي كانت من الضّرورة أن تكون عند المؤرخ قبل غيره من الكتاب.فهل دفاع السّلطان عن ملكه ورعيته ، هو في نظر الغربيين شدة وجور وقسوة ودموية ؟

6 –جهوده في توحيد المغرب :

كان المغرب قبل قيام الدولة العلوية موزعا بين الثوار والنصارى،وكان مطمعا لكل طامع،بسبب الفوضى والتفكك الذي عرفه المغرب بعد وفاةأحمد المنصور الذهبي،وبعد اعتلاء مولاي إسماعيل العرش سنة 1083هـ/1672م عمد إلى تقوية المغرب وتوطيد أركان الدولة،ومن هذه الجهود:

– إنشاؤه لجيش عبيد البخاري:

هو من أهم الفرق العسكرية، و قد أطلق عليه المولى إسماعيل

---

(1) محمد الفاسي: المرجع السابق، ص9.

(2) عبد العزيز بنعبد الله :**تاريخ المغرب** (**العصر الحديث والفترة المعاصرة**)،2ج،نشر وتوزيع مكتبة السلام الدار البيضاء، مكتبة المعارف،الرباط،ج2، ص 11.

(3)محمد الفاسي: المرجع السابق،ص9.

اسم عبيد البخاري[1]الذين تمّ تجنيدهم من أجل محاربة المعارضين للحكم، فكوّن المولى إسماعيل منهم أوّل فيالق جيش البخاري وعنهم تفرع جيش ضخم العدد ومحكم التّدريب، ويتركب الجيش الإسماعيلي من ثلاث فروع رئيسية هي: عبيد البخاري، ويمثلون القوات الأساسية، ثم قبائل الكيش[2] التي أصبح دورها ثانويا بالقياس لعبيد البخاري، ثم الفرق المجندة من المدن والقبائل ومن المجاهدين.وهكذا عزز السّلطان جيش عبيد البخاري بتجنيده للعبيد المتفرقين في المدن والبوادي الذين لعبوا دور الإنكشارية في الجيش التركي، ونظّم حملات على تمبكتو لجلب العبيد من السّودان[3]،كماجمع الحراطين[4] من مختلف القبائل والمدن، وأدمجهم في جيش البخاري، وبهذا تكوّن جيش معزول عن كل فئات المجتمع المغربي،ولاؤه الوحيد لشخص السّلطان،وكان عليه أن يضمن جباية الضرائب، ومراقبة الطرق التجارية، وحماية الدولة من المتمردين والأعداء، وتوسيع نفوذها وتحقيق مركزيتها،دون الاعتماد كثيرا على التّحالفات أو الحكم القائم،مقابل الحصول على امتيازات،فتشكل جيش قدر عدده بمائة وخمسين ألف مقاتل[5].

---

[1] نسبة ليمين الطّاعة الذي كان الجيش يؤديه على كتاب الإمام البخاري،وتكونت نواته الأولى من 2000 من الجنود الزنوج.ينظر عبد العزيز بنعبد الله :المرجع السابق، ص 1.وللتوسع أكثر يراجع ،محمد الحيمر:**الجيش الدخيل في الدولة الإسلامية،جيش العبيد والإنكشارية العثمانية محاولة في المقارنة** ،أطروحة دكتوراه في التاريخ ،إشراف المودن عبد الرحمان،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط 2001.

[2]والصحيح قبائل الجيش حسب اللسان الدارج المغربي قديما، وتسمى أيضا قبائل حوز مراكش، وقبائل الجيش قديما مجموعة من محاربي بعض قبائل شرق المغرب والتي كانت معروفة بفن الحروب، ومنها قبائل الوديا والشراقة للمزيد من الإطلاع ينظر
*Michaux bellaire et Paubin :**le régime immobilier Au Maroc** in Révue du Monde Musulman, fevrier –Mars ,T18 , 1912,paris ,pp24-25.*

[3] *Ernest Fallot : **la solution française de la question du Maroc** , Librairie Ch. Delagrave,p76.*

وينظر عن هذا الجيش كذلك،مجهول:**تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**،ترجمه للفرنسية هوداس،باريس 1901،ص31.

[4] وتعني الأحرار السّود البشرة وهي كلمة إفريقية أو أمازيغية محرفة عن كلمة أحرطن أو الذي له أخوال من السودان ،ويقال في موريتانيا أن أصلها كلمة أحرار طارئين أي الذين حصلوا على حريتهم حديثا، وللتوسع أكثر ينظر مادة "حراطين" في **معلمة المغرب** للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، تحت إشراف محمد حجي ،نشر مطابع سلا.

[5] أبو القاسم أحمد الزياني: **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**،ترجمه للفرنسية هوداس،المطبعة الوطنية،باريس 1882م، ص 16 وينظرمحمد رزوق: "**قضية الرق في تاريخ المغرب**"، في مجلة ،المجلة التاريخية المغربية،عدد 41-42، جوان 1986م ،تونس،ص 114م.

- إنشاؤه لجيش الودايا:

وطّد المولى إسماعيل دولته وحفظ الأمن فيها وكوّن لنفسه قوة عسكرية ضاربة من القبائل التي يثق في ولائها، ومنها قبائل الودايا، وهي عادة جرى عليها سلاطين المغرب بدء من المرابطين الذين اعتمدوا على القبائل الصنهاجية، والموحدون اعتمدوا على قبائل مصمودة، وقد تفرقت قبائل الودايا بعدما تفككت الدولة السّعدية ودخل المغرب الأقصى فترة الفوضى، إرتأى المولى إسماعيل أن يجمع شتاتهم من جديد، ويستغلم كعساكر لتدعيم أهدافه في المغرب فكلف شخصية منهم تسمى أبو شفرة الودي فجمع منهم جيشا ونقلهم إلى عاصمته مكناس ثم ضم إليهم الشّابانات[1] الذين كانوا بفاس وأسكنهم جميعا بمكان يعرف بالرياض[2]وقد تكونت وحدات الجيش الإسماعيلي من الطبجية أي رجال المدفعية والذين كانوا يرابطون في فاس وفي المغرب الشرقي، وكانت وحدات هذا الجيش تستعمل المدافع التي كانت تصنع في المغرب بعد تذويب النحاس،ثم سلاح المنجنيق وآلات الحصار وقد استعمل الجيش الإسماعيلي السّلاح الناري[3].

ب- القضاء على الثورات والتمردات:

- إنهاء تمرد الفاسيين في جمادى الثانية 1084هـ/1673م:

يعود سبب تمرد أهل فاس عن سلطة المولى إسماعيل إلى القرار الجريء الذي اتخذه المولى إسماعيل، والمتمثل في استبدال فاس بمكناس عاصمة لملكه،بالرغم من أن المصادر التاريخية لم تبين لنا

---

[1]هم عرب قبيلة المعقل بمراكش،زعيمهم عبد الكريم بن القائد بن أبي بكر الشيباني،يعرف عند العامة بكروم الحاج،دخل مراكش ودعا لنفسه الحكم فبايعه الناس سنة 1069هـ/1659م،ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج7،ص109.

[2] محمد الفاسي: المرجع السابق ،ص ص 12، 13.

[3] عن الجيش الإسماعيلي ينظر عبد العزيز بنعبدالله:**الجيش المغربي عبر العصور**،المطبعة والمكتبة العالمية ،الرباط 1986م،ص ص 52، 53.وللمزيد من التوسع، ينظر عبد الحق المريني :"**الجيش المغربي في عهد أبي النصر المولى إسماعيل قاهر الأعداء**" ،في مجلة دعوة الحق ،عدد 282،شعبان 1411هـ/14مارس 1991.

بشكل واضح سبب هذا التغيير[1] فالناصري يعيد السّبب إلى ما تتمتع به مكناس من جمال الطّبيعة وحسن الهواء،حيث قال ما نصه:

«**اختصت مكناسة بطيب التربة وعذوبة الماء وصحة الهواء وسلامة المخزن من التعفن**...»[2].

وهناك من يرى ويعزو هذا التّغيير إلى نقل المولى إسماعيل للأسرى المسحيين لتشغيلهم بمدينة مكناس[3].ولذلك ثار أهل فاس،والتي تميزت ثورتهم بالشّدة والاتساع ؛حتى أنه كان من نتائجها قتل القائد بن زيدان العامري[4]ومما زاد في توتر الوضع وتفاقمه، اتصال أهل فاس بأحمد بن محرز الطّامع في الملك لتأييده، حين ذاك وجه مولاي إسماعيل حملة إلى فاس وحاصرها ليستسلم أهلها بعد ذلك ويطلبون العفو والصّفح من السّلطان، وقد وافق على ذلك، وكان قد بعث إليهم برسالة جاء في الرسالة:

« **أهل فاس وهم عمدة أهل فاس وأما غيركم فما ثمّ إلاّ الدجاج الأبيض ومن لايعد لافي العير ولا في النفير من البلديةوغيرهم واليوم غطيتم رؤوسكم ورجعتم إلى الحرث والفلاحة وسلمتم الكلام للبلديين...ورضيتم والخمود والمهانة وأولاد الروسي يأكلونكم بالتبهبيرة**[5]...»[6].

---

[1]الحاج ساسيوي الفيلالي: "**ثورات المدن في المغرب الأقصى الحديث مدينة فاس في عهد السلطان المولى إسماعيل(1672م– 1727م**"،في دورية كان التاريخية،عدد 17،سبتمبر 2012م ،ص ص 61،64.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج7،ص48.

[3]الحاج ساسيوي الفيلالي: المقال السابق،ص 62

[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج7، ص47.

[5]لفظة في اللسان الدارج تعني الصّراخ والشّدة ومحاولة التخويف.

[6] الرسالة مؤرخة في الخامس من جمادى الثانية من سنة ثلاثين ومائة وألف الموافق لـ1716م، ينظر الرسالة كاملة باللغتين الفرنسية والعربية عند *Norman Cigar: **Une lettre inédites du Mulay ismail aux gens de Fes** ,in révue Hespéris Tamuda,Vol15,Maroc 1974,p115.*

-القضاء على ثورة الخضر غيلان 1084هـ/ 1673م:

كان الخضر غيلان من أمراء البحر المجاهدين ضد السّفن المسيحية،وارتبط بصلات ودّية وصداقة و تحالف مع حكام الجزائر وقد عاد من الجزائر إلى موطنه الأصلي بتطوان وبحوزته اثنا عشرة سفينة حربية بقيادة مصطفى باشا رايس أمير البحر الجزائري، واتصل الخضر غيلان بمؤيديه في شمال المغرب[1]،وكان على المولى إسماعيل أن يواجه هذا الموقف بكل حزم وعزم، بالرغم من تعدد خصومه وقوتهم العسكرية، لكنّه تمكن من ضربهم الواحد تلو الآخر،فأسرع إلى مواجهة قوات الخضر غيلان وتمكن من قتله في أرض المعركة يوم الأحد العشرين من جمادى الثانية من سنة 1084هـ/ 1673م،ليتم له السّيطرة على الجزء الشّمالي من المغرب.

-إخماد ثورة أحمد الدلائي1091هـ/1680م:

اتّخذ أحمد الدلائي من خروج السّلطان إسماعيل من العاصمة وانشغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز[2] في مراكش، فرصة اشتعال نار الثورة،فبعث إليه المولى إسماعيل جيشا من ثلاثة آلاف مقاتلا، تحت إمرة القائد يخلف، لكن أحمد الدلائي استطاع هزيمته ونهب محلته وخيله،ثم بعث له فرقة أخرى لقيت نفس المصير[3]وفي مكان يسمى وادي العبيد التقى الفريقان في معركة فاصلة،كان النّصر فيها للمولى إسماعيل، فالتجأ أحمد الدلائي[4] إلى جبال آيت يسري،وفيها توفي يوم الخميس 21محرم 1091هـ/23فبراير 1680م .

---

[1] جلال يحيى:"**المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب**"،**في** مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ،بغداد العراق، عدد 3، ص 13.

[2] أحمد بن محرز بن الشريف كان وزيرا لعمه السّلطان الرشيد، وبايعه المراكشيون والسوسيون بعد وفاة الرشيد ودخلت الكثير من القبائل في طاعته،وجرت بينه وبين عمه السّلطان مولاي إسماعيل معارك طاحنة، تمكن السّلطان من حصاره في مراكش زهاء سنتين ونصف، إلى أن قتل غدرا ،في منتصف عام 1088هـ/1677م للتوسع ينظر: محمد الضّعيف الرباطي:المصدر السابق،ص65.وينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج7، ص ص49، 63.

[3] عن هذه الثورة وكيفية إخمادها،ينظر محمد حجي: **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**،ط2، مطبعة النجاح الجديدة،المغرب 1988،ص 240.

[4]نفس المرجع،ص 263.وينظر عن ترجمة أحمد الدلائي ،عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني:**فهرسة الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**،اعتناء إحسان عباس،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1982م،ج1،ص394.

- إنهاء ثورة الصّحراء[1]:

وكانت هذه الثورة قد ظهرت على يد الأمير الحران أخ السلطان واستطاع مولاي إسماعيل أن يقضي على هذه الثورة ويعفو عن أخيه الحران بعد أن أعطاه ما يكفل له العيش في الصحراء عزيزا،لكن الحران ما لبث أن عاد إلى الثورة ضدّ أخيه مستعينا بأخويه هاشم وأحمد فتوجّه إليه مولاي إسماعيل على رأس جيش قوي[2]من الرماة سنة **1089**هـ/**1678م** ،وبعد حرب دامية خسر فيها المولى إسماعيل عددا كبيرا من عساكره، بعدما صادف جيش المولى إسماعيل في طريقه عاصفة قوية من الثلج في مكان يسمى ثنية الكلاوي[3] .

- إفشال تمرد ابنه محمد العالم 1116هـ/1703م:

عين المولى إسماعيل ابنه محمد المدعو العالم واليا على إقليم السوس جنوب المغرب، وزوّده بألف فارس إلا أن محمد العالم طمع في الحكم، ودعا لنفسه، وزحف على مراكش وحاصرها في رمضان، وفي العشرين من سنة 1114هـ/1702م قام باقتحام مراكش وأعمل فيها القتل والنهب وبحلول سنة 1116هـ/1704تمكن السّلطان من هزيمته والقبض عليه،وقطع يده ورجله من خلاف[4].تطبيقا لحد الحرابة في الإسلام مصداقا لقوله تعالى:

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [5] .

وقد ثار الأسير عن حراسه ومزق الأربطة، والضّمادات،وظل الدم ينزف منه، وكأنّه أراد التخلص

---

[1] يقصد بالصّحراء المناطق الموالية لإقليم درعة شرقا وغربا وجنوبا.

[2]إبراهيم حركات:**المغرب عبر التاريخ**،ج3،ص39.

[3]لم أعثر عن تعريف شافي لهذا المكان سوى ما ذكره الناصري أن المكان يقع بالقرب من جبل درن في الصّحراء تحيط به قبائل مصمودة.

[4] ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص91.

[5] سورة المائدة،الآية 33.

من حياته قبل الوصول إلى حاضرة أبيه المولى إسماعيل،وقد توفي محمد العالم في الطريق قبل أن يقابل أباه في مكناسة[1].

ح–شهادة المؤرخ بن الطّيب القادري في مولاي إسماعيل:

وصف القادري حكم المولى إسماعيل بقوله:«**كانت أيام المولى إسماعيل رحمه الله أيام أمن وعافية للرايح والغادي،والحاضر والبادي عدا من تقدم له أو لآبائه تلصص أودخول في فتن،فكان عليهم شديدا وخلاصهم منه بعيدا،فقطع بذلك دابر جميع اللصوص وعلت فيها مراتب أهل الجاه والخصوص،كل منزل في محله وكل ذي أصل رجع إلى أصله،فكثرت العمارات في كل موضع،وأخمدت الشّرور،وتتابع الرخاء،وكثر العلماء والصّلحاء،وشمخ ملكه وطلع سعده بالنّصر والتمكين حتى دار فلكه**»[2].

فالمؤرخ بن الطّيب القادري في شهادته هذه في حق مولاي إسماعيل، يعتبر أيام حكمه خيرا وعافية على المغاربة، فقضى على قطاع الطرق، وأرسى السلم في أنحاء المغرب، ونشطت في عهده الحياة الفكرية، والثقافية والحضارية.

خ– وفاته:

تميزت معظم فترة حكم المولى إسماعيل بالأمن والضبط،وقد عمّر طويلا حتى أن أولاده كانوا يطلقون عليه نعت "**الحي الدائم**"،وقد ذكر الناصري في الإستقصاء أن الحكم لم يعمر فيه أحد من ملوك الإسلام، سوى اثنين، وهما المستنصر العبيدي[3] حاكم مصر الذي دام حكمه ستين سنة، والمولى إسماعيل الذي مكث فيه سبعا وخمسين سنة [4]. وفي غضون سنة تسع وثلاثين ومائة وألف،مرض المولى إسماعيل مرض موته،وتوفي يوم السبت الثامن والعشرين من رجب سنة تسع

---

[1]عبد الله العمراني: **مولاي إسماعيل بن الشريف حياته، سياسته،مآثره**،ط1،مطابع دسبريس،تطوان1978،ص3.

[2] محمد بن الطيب القادري:**إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبرمن أخباروأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي،ط1،منشورات دار الأفاق الجديدة،بيروت1983،ص ص336، 337.

[3] أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله العبيدي الفاطمي، تولى الخلافة العبيدية (الفاطمية) خلفًا لوالده، وهو ابن سبع سنين، في النصف من شعبان سنة 427هـ / 1036م، وأقام بها ستين سنة إلى سنة 487هـ / 1094م ينظر،جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي:**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**،تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ،16ج ،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت 1992م،ج5،ص03.

[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص99.

وثلاثين ومائة وألف،الموافق لــسبع وعشرين وسبعائة وألف ميلادية، ودفن بضريح الشّيخ المجذوب في مدينة مكناسة[1].وتذكر المصادر التاريخية أن المولى إسماعيل لم يعهد لأحد من أولاده بالحكم بعده،بحيث أخذ بنصيحة العالم أبي العباس اليحمدي الذي قال له:« **أنه لا ولد لك تقلده أمر المسلمين**»[2].

ومما تقدم يمكن القول:

- أنّ السّلطان أحمد المنصور الذهبي ينسب إلى أشراف سجلماسة،وأصله من ينبع،إلا أن البعض ينفي عنه النّسب الشّريف ويرفعه إلى قبيلة بني سعد،الذين منهم حليمة السّعدية،عرف بغزارة ثقافته حيث أخذ من كل علم نصيب،و وصل إلى حكم المغرب سنة 1578م، إثر إنتصاره في معركة وادي المخازن،التي جعلت منه سلطانا قويا، مرهوب الجانب،إستطاع بدهائه السّياسي وحنكته الدبلوماسية أن يجنب المغرب العديدمن المشكلات السّياسية،وأن يخرج من المآزق السّياسي بنجاح وبكل جدارة خاصة وأنه جار لإمبراطوريتين عظيمتين في القرن السادس عشر وهما الإمبراطورية العثمانية في الشرق والإمبراطورية الإسبانية في الغرب.

-هو السّلطان أبو النصر إسماعيل بن الشّريف ولد بسوس عام خمسة وستين وألف للهجرة(1065هـ) الموافق لـ 1654م، يرجع نسبه كما أجمع عليه المؤرخون إلى الأشراف العلويين من سلالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء،موطنهم الأصلي منطقة ينبع من الحجاز،إستطاع أن يوحد المغرب تحت سلطته بعد أن قضى على حركات التمرد أشتهر بشدته مع خصومه،كوّن جيشا قويا،أطلق عليه اسم عبيد البخاري نسبة ليمين الطاعة الذي كان الجيش يؤديه على كتاب الإمام البخاري،إستطاع أن يفرض به مركزية الدولة الإسماعيلية وقدر عدده،بمائة وخمسين ألف مقاتل.إرتبط المغرب قبيل فترة أحمد السّعدي والمولى إسماعيل بعلاقات سياسية وأخرى دبلوماسية مع دول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . فماهي العلاقات السّياسية والدبلوماسية التي أقامها السّلاطين السّعديين الأوائل مع دول غرب المتوسط بضفتيه الشمالية والجنوبية؟ وماهي مظاهر هذه العلاقات؟

كيف كان مبدأ العلاقات السّياسية والدبلوماسية بين السّلاطين العلويين الأوائل مع دوّل ضفتي غرب المتوسط الأروبية منها والإسلامية ؟

---

[1] نفس المرجع، ج7،ص100.

[2] نفسه.



الإرهاصات الأولى للعلاقات السّياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط قبل عهدي أحمد السعدي واسماعيل العلوي .

المبحث الأول:البدايات الأولى للعلاقات السّياسية والدبلوماسية مع دول غرب المتوسط في عهد أوائل السّعديين.

1-في عهد محمد الشيخ(946هـ-964هـ/1540م -1557م.

2-في عهد عبد الله الغالب(1557-1574م).

3-في عهد عبد الملك السّعدي (1576-1578م)

المبحث الثاني:البدايات الأولى للعلاقات السّياسية والدبلوماسية مع دول غرب المتوسط في عهد أوائل العلويين.

1-في عهد محمد الأول(1640-1664م)

2-في عهد المولى الرشيد(1664/1672م)

المبحث الأول:

البدايات الأولى للعلاقات السّياسيةوالدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط في عهد أوائل السّعديين.

بتمكن البرتغال و إسبانيا من احتلال جل الموانئ المغربية، فقد ورث الوطاسيون[1] تركة سياسية ثقيلة [2] ،مما أدى إلى تردي الأوضاع الاجتماعية،والاقتصادية، والأمنية،وذلك بسبب انعدام سلطة مركزية قوية،تبسط سيطرتها على أطراف المغرب،وتتصدى للغزو الخارجي،ولكي يحافظ بنو وطاس على ما بقي في أيديهم من مناطق، اتجهوا إلى ربط علاقات سياسية ودبلوماسية مع المحتل،أقل ما يقال عنها أنها علاقات دبلوماسية تكرس التبعية، والرضوخ والمهادنة، وكسب ود البرتغاليين، ونستشف ذلك من الرسائل المتبادلة بين الوطاسيين والبرتغاليين. ففي رسالة بعث بها الملك البرتغالي مانويل الأوّل[3]إلى أهالي أزمور المغربية مؤرخة في 22جانفي 1504م ردا على رسالة بعث بها الأهالي إليه يشكرهم فيها على ندمهم، ويوافق فيها على الطلب الذي قدموه إليه بأن يكونوا من رعاياه، وتحت حمايته وملكه[4]وقد تحدث طوريس عن حجم التبعية والعمالة التي كانت

---

[1] عرف المغرب في ظل إمارة بني وطاس الذين استولوا على حكم المغرب،سنة 876هـ/1471م إلى قيام السعديين سنة 915هـ/1510م، وهم فرع صغير ينتمون إلى قبيلة زناتة الأمازيغية،شغل بعض زعمائهم مناصب عليافي دولة بني مرين،واستطاع محمد الشيخ الوطاسي في سنة 1471م،تأسيس الإمارة الوطاسية في المغرب للمزيد من الإطلاع ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج4، ص ص96-97. وللتوسع أكثر ينظر عمار بن خروف :المرجع السابق،ج1،ص 64،هامش رقم 1.

[2]إبراهيم حركات: **السياسة والمجتمع في العهد السّعدي،** ،ص26.

[3]من أعظم ملوك البرتغال،ولد في31ماي 1469م،تولى ملك البرتغال في عام 1495م،بعد أخيه "ألفونسو الخامس"،تمّ في عصره اكتشاف الطريق البحري للهند في عام 1486م،واكتشاف البرازيل،توفي في 13ديسمبر 1521م،ينظر الموسوعة الحرة وعن الغزو البرتغالي للمغرب ينظر

*Lopes(D) :**Les portugais au Maroc**, in revue d'histoire Moderne, publier par la société d'histoire Moderne, janvier ,Mai, N^O 36-37, Paris 1930,pp337 ,347.*

[4]للإطلاع على الرسالة كاملة ينظر فالح حنظل:**العرب والبرتغال في التاريخ** ،ط1،منشورات المجمع الثقافي،أبو ظبي،1997م، ص 283.

سائدة آنذاك من الكثير من المغاربة للبرتغاليين، والتي تسلط الضوء على الأوضاع السياسية والدبلوماسية والاجتماعية قبيل قيام دولة السعديين، حيث يقول فيها مانصّه :

« **بعد أن رجع نونيو فيرناند إلى أسفي بالغنيمة التي حصل عليها جاءه في صباح الغد عيسى بوبكر شيخ أعراب الغربية وغيره من القادة المغاربة ،الذين كانوا ينتظرونه في المدينة ليسلموا عليه،ويعرضوا أنفسهم كرعايا للملك باسم قراهم وأدّوا له الخراج منذ ذلك العهد واقتدى بهم العديد من المغاربة الآخرين الذين وفدوا من كل دواوير الإقليم...»** [1].

وفي رسالة أخرى من بعض عملاء ملك البرتغال من المغاربة مؤرخة في 8رمضان 918هـ/8جويلية 1512م يغلب عليها اللهجة العامية، جاء فيها:« **مولانا دون منويل سلطان البرتكال[...] من شيخ كبار الشرقية وهم سالم بن عمر ...ونصر بن حلوا وأحمد بن عمر وسعيد بن يحلوق[...]وكل بني الفريجي ويقبلون أياديكم [...] وأن كل القبابطين الذين جاؤوا إلى هذه البلاد كانوا مثله [...] ونطلب من فضل سيدنا أن يكتب له ويوصيه فينا لأنه رجل جيد ومليح ونطلب من حلمك أن ترد لنا الجواب** ... »[2].هذه الرسائل وغيرها تدل على أن الوطاسيين لم يستطيعوا الوقوف في وجه البرتغاليين،بسبب ضعفهم العسكري، وإفتقادهم للسند الشّعبي الذي أخذ يتراجع نظرا لظهور قوى سياسية أخرى أخذت تطلب لنفسها الحكم ومنها الأشراف السعديون الذين بنوا دولتهم على فكرة دينية وجدت القبول عند المغاربة وهي فكرة النسب الشريف التي إستثمروها بكل حنكة واقتدار،هذه الأسباب وغيرها أضعفت الوطاسيين،مما دفع بالكثير من الأهالي إلى مراسلة البرتغاليين والتودّد إليهم، وكسب رضاهم ، والإسراع في عرض خدماتهم للمحتلين،عساهم أن يظفروا برضاهم، وينالوا حمايتهم في ظل انعدام قوة سياسية تدافع عنهم،وقد دخل بعض المغاربة في صف المحتل البرتغالي وجعل منهم متعاونين قدموا خدمات كبيرة للبرتغاليين لتثبيت حكمهم للثغور المغربية، ومن هؤلاء "يحي بن تعفوفت" الذي كان عميلا للبرتغاليين،وقد تأسف الحاكم البرتغالي على نهاية هذا الرجل الذي قدم خدمات هامة لهم، فحزن عليه البرتغاليون، ونعتوه بالبطل المغربي، واعتبروا إغتياله خسارة ما بعدها خسارة للمسيحيين[3].

---

[1]دييكو دي طوريس:**تاريخ الشّرفاء**،تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر ،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،الحي الصناعي لتاربريكت،الدار البيضاء 1988،ص18.

[2] للإطلاع على نص الرسالة، ينظر فالح حنظل:المرجع السابق، ص434.

[3] دييكو دي طوريس:المصدر السابق،ص52.

1- العلاقات مع إسبانيا في عهد محمد الشّيخ السّعدي(946هـ-964هـ/1540م -1557م.

تحالف محمد الشيخ السّعدي[1]مع الأسبان، وكان الغرض من ذلك هو محاولة إحراج الأتراك العثمانيين في الجزائر، أو إخراجهم من شمال إفريقيا،إن أمكن ذلك، نظرا للعداء والتوتر الشديدين اللذين اتصفت بهما العلاقات المغربية العثمانية في عهده،مما دفع بمحمد الشيخ أن يبعث بسفارة[2]يقودهابوحميدة للأسبان يطلب فيها المساعدة العسكرية المقدرة بعشرة آلاف مقاتل،على أن يدفع لكل واحد ثلاثة مثاقيل ذهب في كل شهر،غادرت السفارة مدينة فاس يوم 18جويلية 1555م إلى وهران لمقابلة القائد الإسباني في وهران الكونت ألكوديت[3] لتعرض عليه الطلب، وبدوره رفع تقريرا بذلك إلى الأمير فيليب الثاني ابن شارل الخامس بتاريخ21رمضان 962هـ/ 9أوت 1555م وقد ورد فيه مايلي:

« يجب أن نعتبر أنفسنا سعداء ففي الوقت الذي يبدل فيه ملك فرنسا عدونا الألد كل جهوده -دون أن يخاف الله- لتسخير الأسطول العثماني كي يهاجم ممتلكاتنا وجدنا ملكا عربيا ذا نفوذ كبير يصمم على مهاجمة أتراك الجزائر وإبعادهم عن إفريقيا وذلك فيما إذا

---

(1) يعتبر محمد الشيخ السّعدي ،المؤسس الحقيقي للدولة السعدية والموحد لأجزاء المغرب، ولذلك لم أتطرق في العلاقات لمن سبقوه، قال عنه محمد الصّغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني:

« ... **اتسعت له مملكة المغرب من باب تلمسان إلى تخوم الصحراء ودانت له الرقاب ،واجتمعت عليه الكلمة** ».وقد ولد محمد الشيخ المهدي قبل نهاية القرن العاشر الهجري ببضع سنوات،تلقى تعليمه بسوس ثم بفاس،كان له ثلاث أولاد تعاقبوا على الحكم، وهم عبد الله الغالب وعبد الملك وأحمد المنصور تولى الحكم ما بين1540م/1557م،قتل سنة 1557م بتدبير من العثمانيين. للمزيد من الإطلاع، ينظر:محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف** ،ص 36 .و ينظر عنه إبراهيم حركات:**السياسة والمجتمع في العصر السعدي** ، ص51.وينظر أيضا عمار بن خروف: المرجع السابق ، ج1،ص62.

(2) بعثة ولي الأمر لشخص معتمد من قبله ،إلى جهة معينة ،لمباشرة مهمة معينة ،وهذا التعريف لا يختلف عما نجده في مفاهيم الدبلوماسية،ويمكن القول:أن العرب استخدموا السفارة بمعنى الدبلوماسية للإطلاع أكثر ينظر ،محمد ضياء الحق:"**نظام السّفارة عند العرب في الجاهلية**" ،في مجلة العرب ،ج1،عدد نوفمبر ،ديسمبر ،الرياض،1998م،ص90.

(3) حاكم إسباني،عين على وهران سنة 1534م، قتل سنة 1558م في معركة مزغران ،لقب بالفرطاس ذكره سيدي لخضر بلخلوف في **قصيدة مزغران**:طل على الفرطاس يوما مات في المغرب أهل الخز يردموه ، ينظر ديوان سيدي لخضر بلخلوف ،ج1.

قدمنا له اثني عشر ألف مقاتل واني مستعد أن أبعث له بولدي رهينة ولو كنت أعرف أنه يريد أن يذبحه...»[1]هذا التقارب السّعدي الإسباني الذي بذلت إسبانيا من أجله جهودا كبيرة لتحقيقه، لتوسيع هوة الخلاف بين محمد الشيخ السّعدي، والأتراك العثمانيين في الجزائر، ومنع أي تقارب محتمل بين القوتين قد تهدد الوجود الإسباني في المنطقة.

2- علاقاته مع الأتراك العثمانيين في الجزائر:

كان المولى محمد الشيخ قد كتب إلى باشا الجزائر صالح رايس(1552-1556) واقترح عليه القيام بعمليات مشتركة لفتح وهران، والمرسى الكبير،وبعث بهدايا إلى درغوث رايس يقترح عليه الدخول في حرب ضد إسبانيا[2]،إلاّ أنّ انعدام الثقة بين الطرفين وسعي كل من السّعديين والأتراك العثمانيين يستعيدون السيطرة على تلمسان -المنطقة الإستراتيجية لهما- و بحلول سنة 956هـ/1549م شنت القوات المغربية هجوما على شرق المغرب فاستولى على غرسيف ثم وجدة وكان من نتائج هذه الحملة إستعراض قوة السّعديين[3] بقيادة محمد الحران بن محمد الشّيخ ليدخل تلمسان في957هـ/9جويلية 1550م وإلقاء القبض على الأمير الزياني "الحسن" حليف الأتراك العثمانيين، فكان رد الأتراك العثمانيين على احتلال تلمسان قويا، بقيادة "حسن قورصو"،لينهزم المغاربة في سبتمبر957هـ/ 1550م ويقتل ابن محمد الشّيخ "محمد الحران" بينما أسر ابنه الثاني وقطعت يد الابن الثالث[4]،ومما سبق نستنتج أن محمد الشّيخ السّعدي،كان معارضا ومناوئا للتوسع التركي العثماني في شمال إفريقيا،وكان يخشى أن يمتد التوسع العثماني ليشمل المغرب برمته[5]خصوصا وأنّ الدولة السّعدية لم تكن بالقوة التي يمكن لها كبح جماح العثمانيين ومنعهم من السّيطرة على المغرب.

اشتدّ العداء بين السّلطان محمد الشيخ والأتراك العثمانيين ،وظلت العلاقات بين القوتين متوترة بسبب فقدان الثقة بين الطرفين، وعدم اعتراف السّعديين بخلافة آل عثمان[6].وتمردهم عن

---

(1) ينظر أحمدتوفيق المدني :**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792** م،ط 3، دار البصائر الجزائر 2009، ص 343.

(2)عبد الكريم كريم:المرجع السابق ص76.

(3) عمار بن خروف : المرجع السابق ،ج1،ص142.

(4)عبد الكريم كريم:المرجع السابق،ص77.

(5) سيار جميل:**تكوين العرب الحديث**،ط1،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان 1997،ص 136.

(6) فهد بن محمد السويكت:"**موقف الأشراف السّعديين من مسألة الخلافة**"، في مجلة جامعة الملك سعود، كلية الآداب، الرياض 2006، عدد19، ص 177.

الانضواء تحت لوائهم، فقد كان محمد الشّيخ السّعدي يسمي السّلطان العثماني بسلطان القوارب والحواتة[1]،هذا التوتر في العلاقات دفع بمحمد الشيخ أن ينسج علاقات تحالف مع الأسبان القصد منها إحراج الأتراك العثمانيين وإيجاد قوة كبيرة، يمكن أن تقف في وجه أطماع العثمانيين،الأمر الذي جلب عليه نقمة السلطان العثماني سليمان القانوني، الذي فكر في اغتياله والتخلص منه،وهذا ما حصل بالفعل سنة964هـ/ 1557م، بعدما بعث أحد رجاله الأقوياء "صالح الكاهية"الذي قدّم نفسه للمهدي (محمد الشيخ)، على أنّه فار من الجيش التّركي، والتحقت به العصابة التي بعثها الباب العالي، فما كان من المهدي إلاّ أنّ ألحقهم بحاشيته،بالرغم من حيطته وذكائه، وقد توجه المهدي إلى "تارودانت" وتوقف "بأكلكال" فهاجمته المجموعة وحزّوا رأسه وحملوه إلى القسطنطينية.[2]

3- علاقاته مع الفرنسيين:

نظرا لاهتمام فرنسا بصراعاتها الأوروبية، يبدو أنّها لم تكن لها علاقات وصلات قوية مع المغرب في عهد محمد الشيخ السعدي، فقد كانت منشغلة بتوسعاتها في أمريكا الجنوبية،حيث احتلت البرازيل سنة 1555م في عهد الملك الفرنسي فرنسوا الأول[3]وبعد دخول السّعديين لمراكش كان فرنسوا الأول يفكر في اعتماد التاجر باكيلون(J.pacquelon) ليفاوض محمد الشيخ السّعدي بتزويد فرنسا بالمعدن الأبيض (القصدير) (Létain) في مقابل المعدن الصالح لصناعة المدافع[4]،في حين تذكر المراجع أن أول تمثيل دبلوماسي فرنسي في المغرب بصفة رسمية كان في عهد الملك هنري الثالث، بتعيين القنصل بيرار سنة 1577م.

- العلاقات مع الإسبان في عهد عبد الله الغالب(1557-1574م):

اندفع الغالب بالله بن المهدي،في سياسة مهادنة النصارى إلى أبعد الحدود،وفي محاولة منه لتهدئة المشاعر المغربية الثائرة على سياسته تلك،فقد هبت جيوشه لتحرير البريجة على ساحل المحيط الأطلسي، وقد استطاع قائده ابن تودة أن يجلي البرتغاليين، لكنه سرعان ما تلقى أوامر بترك المحتلين حيث كانوا في أماكن تواجدهم وكأنه اعترف بإحتلالهم لتلك الثغور، وقد ذكر أن الغالب تحصل

---

[1]محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني:المصدر السّابق،ص42.

[2]عزيز سامح إلتر:**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**،ط1، تعريب محمود علي عامر،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1989م، ص 202.

[3] R.Tomassy : **Le *Maroc* et *ses caravanes*, ou *Relations* de la *France avec cet empire***, librairie de Firmin didot frères, Paris 1845, p 115.

[4]عبد الهادي التازي:المرجع السابق،مج 8، ص163.

من أجل ذلك على هدية جميلة وأموالا طائلة[1].ولعل من المناسب أن أذكر أن سياسة الغالب مع المسيحيين،قدجلبت عليه سخط فئات كثيرة من المغاربة وهذا ما عبّر عنه صاحب كتاب الدولة السّعدية بقوله :

« **وعبد الله المخذول في سلطانه لايبالي بما يقع للمسلمين وذلك في صحيفته،غشّ المسلمين وصادق النصارى»**[2]،أما اليفرني صاحب النزهة، فلم يفصل في الأمر،وحمله محل الشّك، بقوله:

«**هذه أمور شنيعة إن صح أنه فعلها،ولست أدخل في عهدتها لأني رأيتها في أوراق مجهولة»**[3].

وبخصوص علاقاته مع الأسبان، فقد كان يميزها التفاهم، والتعاون، والتقارب، ضد عدوه اللدود الدولة العثمانية ومن يسير في ركابها من الجزائريين ورجال الجهاد البحري[4]،فقد تنازل للأسبان على حجر بادس حتى يقطع الطريق على العثمانيين، فقد كتب اليفرني في هذا الشّأن ما نصه:

«**فكتب إلى سلطان النّصارى واتفق معه أن يخلي له الأدالة من حجر بادس**[5]، **ويبيع له البلاد ويخليها من المسلمين[...]وسكنتها النصارى برأي من السّلطان الفاسد،وكتب أهل بادس يستنجدونه، لعدم علمهم بصنعته سرا»**[6]

إضافة إلى أنّه غضّ الطرف على معاناة الموريسكيين، فلم ينجدهم في ثورتهم، بل تواطأ عليهم مع أعدائهم،ووافق على طردهم من مدنهم،وكل ذلك حتى لا يغضب ويحرج حلفائه من الأسبان،فقد كتب المجهول في ذلك ما نصه:«**وأنه استشار معهم أن يخرجوا أهل الأندلس إلى ناحية الغرب ويعمروا السّواحل»**[7].

---

[1]عسر عسران أحمد طه: " **وادي المخازن**"،في مجلة الوعي الإسلامي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الكويت 1983،عدد 224،ص 48.

[2]مجهول: المصدر السابق،ص41.

[3]محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي** ،ص49.

[4]عسر عسران أحمد طه :المرجع السابق،ص48.

[5] احتلّ الإسبان حجر بادس الذي كان بيد العثمانيين في سنة 971هـ/1569م، ينظر عمار بن خروف :المرجع السابق، ج1،ص121.

[6] ينظر مجهول: **تاريخ الدولة السعدية التكدمارتية** ،ص39.

[7] نفس المصدر ،ص40.

-العلاقات مع البرتغال:

أمّا علاقاته مع البرتغال فقدسادها التقارب خاصة بعد شعور عبد الله الغالب بخطر الأتراك العثمانين يقترب منه كما أنّ البرتغاليين إزدادوا تقربا منه للحد من خطر الأتراك الداهم مع العلم أن عبد الله الغالب كان الذراع الأيمن لأبيه محمد الشّيخ وقد حضر وشارك في معظم المفاوضات السّرية التي كانت بين أبيه محمد الشّيخ والبرتغاليين لتهيئة السلم والتحضير لحملة قد تحدث ضد الأتراك العثمانيين[1].

-مواجهة الغالب لتهديد الأتراك العثمانيين بالجزائر:

كانت علاقات عبد الله الغالب مع الأتراك العثمانيين في الجزائر عدائية، وصداميه في مجملها، بسبب العداء المحكم بينهما،ومرد ذلك إغتيال أبيه محمد الشّيخ على يد الأتراك سنة 1557م،واستقطاب الجزائر لأخوته المعارضين لحكمه[2]،فأوّل عمل قام به بعد بيعته في فاس هو الانتقام من قتلة أبيه،وما كاد يحقق غرضه حتى قاد حسن بن خير الدين حاكم الجزائر، حملة عسكرية سنة 965هـ/1558م ،تمكن الغالب من صدها،قال عنها صاحب النزهة:[3]«**وفي جمادى الأولى من سنة خمسة وستين وتسعماية حرّك الباشا حسين بن خير الدين التركي في جيش حفيل فخرج مولاي عبد الله لملاقاته،فألتقيا بمقربة من واد اللبن،من عمالة فاس فكانت الدايرة على حسين فرجع منهزما**».

فبعد النصر الذي حققه عبد الله الغالب على حملة الباشا "حسين بن خير الدين"(1544-1551) في موقعة قرب وادي اللبن، حتى بدأ يتطلع إلى تنظيم حملة قوية على تلمسان 968هـ/1560م وقد عرفت تلمسان قبل حملة السّعديين عليها ثورة الأهالي على حكامها من الأتراك ويبدو ذلك أنه بايعاز من سلطان المغرب عبد الله الغالب واستطاعت قواته الدخول إلى المدينة لكن لم تستطع الصّمود فيها كثيرا بسبب رجوع "حسين بن خير الدين" إليها[4].

---

[1]اعبد الكريم كريم :المرجع السابق، ص86.

[2]عمار بن خروف: المرجع السابق، ج1،ص119.

[3]محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي** ،ص50.وينظر الرسالة التي بعث بها عبد الله الغالب إلى حاكم أزمور عبد الله بن أحمد بتاريخ 965هـ/1558م، يبشره فيها بالنصر على الأتراك، ينظر ذلك في *Robert Ricard et Chantal de la Véronne : **les sources inédites du histoire du Maroc**, Archives et bibliothèques d Espagne, T II, Paris 1956,p445.*

[4]عماربن خروف: المرجع السابق، ج1،ص180.

3-علاقاته مع فرنسا:

وصفت العلاقات مع فرنسا في عهد عبد الله الغالب، بالطيبة وتعكس ذلك المعاهدة المبرمة بين عبد الله الغالب، وأنطوان دوبوربون،حاكم نفار في نهاية رمضان 966هـ /1559م أمضاها من الجانب الفرنسي السفير فايس دوشبيدو(*Vaez DAzevedo*) تنصّ المعاهدة على منح فرنسا خمسمائة جنديا، وعشر فرسان يكونون تحت تصرف عبد الله الغالب،مقابل منح ميناء القصر الصّغير لفرنسا، إضافة إلى تسهيلات تجارية،ورعاية خاصة للفرنسيين في المغرب[1].

1- العلاقات مع إسبانيا في عهد عبد الملك السّعدي(1576/1578م):

كانت علاقات عبد الملك السّعدي مع إسبانيا حسنة، حيث حاول هذا الأخير أن يبني علاقات سياسية، ودبلوماسية،طيبة مع فيليب الثاني،بالرغم من أن الأمير مولاي عبد الملك كان قد التجأ إلى الأتراك العثمانيين في الجزائر، يطلب دعمهم وعونهم لاسترداد العرش من ابن أخيه محمد المتوكل،لكن المراسلات الدبلوماسية بينه وبين الإسبان تدل على أن عبد الملك السّعدي كان حذرا ومتوجسا من الأتراك، وإن أظهر لهم الود والرضوخ، فقد سارع إلى مراسلة فيليب الثاني وهو مقيم في الجزائر برسالة سرية عن طريق أسرة كاسبارو(*gasparo*) التي كانت تقيم ببلنسية و أثرت في الأحداث في الحوض الغربي للمتوسط،مؤرخة في جمادى الأولى 978هـ/18أكتوبر 1570م في فترة ولاية العلج علي،والموقعة بالحروف اللاتينية ،وفحوى الرسالة هو طلب العون والمساعدة، من الملك الإسباني فيليب الثاني، بالرغم من أنه لم يرد على رسالة عبد الملك لكن وجد تطمينات عند عائلة كاسبارو(*gasparo*)[2]وفي جواب مؤرخ بتاريخ11ماي1577م، يفيد أن ملك إسبانيا تواصل برسائل مع مولاي عبد الملك بتاريخ 10يناير و5فيفري من نفس العام أي 1577م ،قد أعرب له فيها فيليب عن فرحته وسعادته، بعقد سلم معه[3]

في الوقت الذي كان سيبستيان يتحرش بالمغرب إلا أن عبد الملك،كان يسعى لدى فيليب الثاني لأن يقنع ابن أخته عن العدول عن قرار الحرب ضد المغرب،لكن لم يسعه ذلك، فقد ذكر الكاتب

---

(1) ينظر المعاهدة في نصها العربي في. *Henry de Castries:Op.Cit, T1, 1530-1660, France, pp178, 181.*

وللمزيد من الإطلاع ينظر عمار بن خروف : المرجع السابق ،ج1،ص 120.

(2) *Chantal de la veronne :**les sources inédites du histoire du Maroc**, Archives et bibliothèques d Espagne, T III, Paris 1956, p176.*

(3) ينظر عمار بن خروف :المرجع السابق ،ج1،ص124.

اليهودي صمويل بن سعدية بن دنان بقوله بخصوص عبد الملك:«**أنّه في سنة 1576م الموافق لسنة 5336 عبرية أنّ مولاي عبد الملك قدم من الجزائر على رأس جيش قليل من الأتراك ليعلن بعد ذلك الحرب المقدسة ضد النصارى**» [1].

2-علاقاته مع فرنسا:

عُرِف عن المولى عبد الملك إطلاعه الواسع على الحضارة الأوروبية، وشاء أن ينهج مع الأوروبيين سياسة جديدة،أكسبته احترام قادة الدوّل،وقد وفّر لهم الأمن والاستقرار،ولهذا السبب،نجده يراسل ملك فرنسا هنري الثالث عن طريق الضّابط لويس كابريط(*Louis cabrette*) الذي كان من أصدقاء عبد الملك في الجزائر، ليطلعه على أحداث المغرب،ويخبره بتوليه حكم البلاد وفي محاولة دبلوماسية منه لربط علاقات طيبة مع فرنسا بعث السفير الفرنسي قيوم بيرار(*Guillaume Bérard*)إلى الملك الفرنسي هنري الثالث يعلمه برغبته في عقد حلف عسكري بين البلدين وبتاريخ 23ماي 1577م/ربيع الأول 985هـ، بعث موسى بن عبد النبي – مبعوث مولاي عبد الملك إلى إسطنبول– رسالة إلى السّفير الفرنسي بسطنبول لابي دوليسل(*L Abbe de Lésle*) يؤكد فيها رغبة عبد الملك،في التحدث إلى ملك فرنسا عن إنشاء علاقات ودية على غرار ما يوجد بين الملك الفرنسي والسّلطان العثماني[2].

3-علاقاته مع الجزائر والدولة العثمانية:

تأرجح عبد الملك السّعدي في علاقاته مع الجزائر والدولة العثمانية،بين الولاء والاعتراف بالسّيادة،وبين الخوف من تطلعات العثمانيين من ضم المغرب،ففي ماي 1577م بعث عبد الملك مبعوثه موسى بن عبد النبي إلى السّلطان العثماني مراد الثالث وبيده هدية ثمينة قدرها مئتا ألف دوكا.وفي رسالة تحمل تاريخ أواسط صفر سنة 985هـ/حوالي 4ماي 1577م، جدد فيها عبد الملك امتنانه وشكره للسّلطان العثماني، واعترافه بسيادته وسلطانه ومما جاء فيها :«**ما أنا عليه مدين به للسّلطان فهو سيدي وسلطاني[...] وبما أن الكفار يحتلون عديدا من المراكز الحصينة على**

---

[1] *George vayada:**Un recueil de textes Historiques Judéo –Marocains** ,instituts des hautes étudesMarocaines,NO 12,Paris,1951,pp 15,16,17.*

[2] مصطفى الجنابي: **البحر الزخار والعلم الطيار** ،ترجمه للفرنسية فانيان،تحت عنوان *Fagnan :**Extraits inédits relatifs au Maroc**, alger1924,p350.*

وينظر عمار بن خروف :المرجع السابق ،ج1،ص123.

أرضنا فنحن نريد مهاجمتها والتخلص منها،ونأمل من همّة السّلطان العالية أن تساعدنا في تحقيق هذا الغرض... »[1].

انطلاقا من هذا المقتطف من الرسالة الذي يستشف منه أنّ عبد الملك السّعدي قد رغب وتحمس في التعاون مع الأتراك العثمانيين في صراعهم مع الإسبان، وضدّ البرتغاليين الذين يدقون طبول الحرب ضد المغرب، إلا أن نوايا عبد الملك السّعدي مع الأتراك العثمانيين ضد الإسبان لم تكن صادقة وجدّية، إذ تنازعه الرغبة في بقاء حبل الود متصلا مع الملك الإسباني فيليب الثاني، ويحاول أن يستميله إليه، آملا أن يقنع هذا الأخير ابن أخته سيبستيان بأنّ يقلع عن فكرة غزو المغرب ومد العون لمحمد المتوكل المطالب بالعرش[2] ونصرة لعبد الملك السّعدي، جردت الجزائر حملة عسكرية سنة984هـ/ 1576م على أن يدفع عبد الملك عشرة آلاف مثقال ذهبي عن كل يوم تقضيه الحملة فألتقى عبد الملك السّعدي بقوات محمد المتوكل بمكان يسمى "الركن" في مارس سنة984هـ 1576م وقد دارت الدائرة على جيش المتوكل فانهزم[3].

ومما تقدم نستنتج :

أن سلاطين أوائل السّعديين قد ارتبطوا بعلاقات متشعبة مع القوى المعاصرة لهم، فعلاقات محمد الشّيخ السّعدي وابنه عبد الله الغالب كانت طيبة في أغلبها مع الدول الأروبية خاصة إسبانيا، بينما علاقاتهما مع الجزائر فكانت متشنجة وعدائية بسبب أن محمد الشّيخ كان يرفض الإنضواء تحت حكم العثمانيين هذه السّياسة التي إنتهجها محمد الشيخ من الأسباب التي أدّت إلى إغتياله سنة 965هـ/ 1557م. أمّا ابنه عبد الله الغالب فقد واصل سياسة أبيه المعادية للعثمانيين فحاول عقد حلف مع الإسبان إنتقاما من العثمانيين، الذين قتلوا أباه وكذلك توجسه وتخوفه من رغبة العثمانيين غير الخفية في إحتواء المغرب والهيمنة عليه، أمّا عبد الملك السّعدي فقد حافظ على علاقاته الطيبة مع الأروبيين وجامل العثمانيين، وأظهر لهم الوّد والرضوخ، ليساعدوه في حربه ضد ابن أخيه المتوكل لذا فقد حصل في الأخير على ما كان يبتغيه منهم.

---

[1] ينظر عمار بن خروف:المرجع السابق، ج1،ص200.

[2] نفس المرجع.

[3] نفسه،ص ص194-195.

المبحث الثاني:

البدايات الأولى للعلاقات السّياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط في أوائل السّلاطين العلويين.

1-تأسيس الدولة العلوية الشريفة 1050هـ/1640م:

يرجع نسب الأسرة العلوية كما أشارت المصادر التّاريخية إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء[1]،وأوّل من جاء من هذه الأسرة هو المولى حسن بن قاسم، وكان ذلك في القرن السّابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وأستوطن سجلماسة وكان للمولى علي الشّريف997هـ/1589م جد الأسرة العلوية،مواقف مشرفة في الجهاد، وله في نفوس المغاربة منزلة،فكان أهل سجلماسة وسائر بلاد المغرب يقصدونه في المهمات والأزمات[2]،ولم تقتصر مكانة الرجل على المغرب فقط بل تعدتها إلى الأندلس التي استنجد أهلها به ،وطلبوا منه العبور إليهم،وقد بعثوا إليه بفتوى من علمائهم لما سمعوا به أنه عازم على التوجه للحج،مفادها أن العبور للجهاد أفضل من الحج[3]،فأدّى ازدياد نفوذ المولى علي بن الشّريف ومكانته، إلى تخوف "أبي حسون السّملالي" المعروف بأبي دميعة منه، وكان هذا الأخير قد استولى على السّوس ودرعة وسجلماسة،وشعر أبودميعة بخطورة المولى "علي الشّريف" فقرر اعتقاله وسجنه[4]وكان جند أبي حسون قد أساؤوا معاملة النّاس وضيقوا عليهم،حتى إزدرتهم العيون فأجمع أهل سجلماسة على بيعة ابنه المولى "محمد" فبايعوه بسجلماسة سنة 1050هـ/1640م[5].

---

[1]محمد الصّغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي** ،ص288. وينظر النسب العلوي "في **الأنوار الحسينية**" لأبي العباس العلوي،ص27 وما بعدها،وينظر أيضا **الإستقصاء** للناصري،ج07،ص03 وما بعدها،ط1956، تحقيق ولدي المؤلف.

[2]استطاع ابنه المولى محمد أن يفك أسره ،ليقضي بقية عمره في سجلماسة،إلى أن وافته المنية في 13من رمضان سنة 1069هـ/1658م.ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق ،ج7،ص ص 13،14.

[3]ينظر هذه الفتوى،نفس المرجع،ج7،ص ص 08،09.

[4]شوقي عطا الله الجمل:**تاريخ المغرب العربي الكبير**،ط1، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة1977،ص209.

[5]بويع بالحكم بسجلماسة حوالي1050هـ/1641 وبفاس سنة 1060هـ/1650م،ثم إرتدّ عنه أهلها، وهاجم تلمسان أكثر من مرة،كان يتمتع بشعبية كبيرة،توفي مقتولا، في معركة ضد أخيه الرشيد بأنكاد في المغرب الشّرقي سنة 1075هـ/1665م،ينظر عنه محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق، ص11.

ويعتبر تاريخ مبايعة المولى محمد هي بداية تأسيس الدولة العلوية ،بعد معارك طاحنة نشبت بينه وبين الشّريف وأبي حسون" بودميعة" انتهت باستيلاء المولى محمد على درعة وأعمالها،وأدّت هذه الانتصارات إلى ازدياد التفاف النّاس حوله وذاع صيته، وعمل على بسط نفوذه على باقي أجزاء المغرب حتى تتوحد السّلطة كلها في يد حاكم واحد[1].

2-الاصطدام بالدلائيين :

واجه محمد بن الشريف الدلائيين بقيادة زعيم الزاوية الدلائية أبي عبد الله محمد الحاج الدلائي[2]وكان نفوذه في ذلك الوقت قد امتد إلى فاس[3] ومكناسة وسلا،وزحف محمد الحاج الدلائي إلى تافيلالت على رأس جيش ضخم من البربر في أوائل عام 1065هـ/1646م،والتقى الجمعان في وقعة القاعة فأنهزم محمد بن الشّريف[4] ودخل الحاج الدلائي مدينة سجلماسة وأباح للبربر أن يفعلوا بها ما يشاءون، و بعد مدة تمّ الصّلح بين الطرفين على اقتسام مناطق النفوذ،فجعلوا ما حول جبل العياشي للمولى محمد، وما فوق ذلك من البلاد خاصا بالدلائيين[5]و بعد هذه الهزيمة اتجهت أنظار محمد بن الشّريف إلى الأقاليم الشّرقية من المغرب، فأستولى على وجدة،كما شنّ الغارات على تلمسان، وكانت في تلك الفترة تحت سيطرة الأتراك العثمانيين[6].

3-الصّراع بين الأخوين :

لم يلبث المولى الرشيد أخ محمد بن الشّريف،أن تنصل بعد وفاة أبيه،من بيعة أخيه محمد ونزل مدينة وجدة،ودعا لنفسه حاكما على شرق المغرب،مما أدّى إلى نشوب معركة بين الأخوين،

---

[1]محمد العربي الشاوش:"**الدولة العلوية المغربية :النشأة والاستقرار والاستمرار**"، في مجلة دعوة الحق المغربية،عدد خاص بعيد العرش،ص302.

[2]هو محمد الحاج أكبر أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، ولد في الدلاء عام 997هـ/1589م ،بدأت مهام محمد الحاج السياسية والحربية في حياة والده، الذي كان يعتمد عليه في المهمات، وبعد وفاة والده سنة 1046هـ/1636م ، بويع على رأس الزاوية سنة 1061هـ/1651م للإطلاع أكثر ينظر محمد حجي: المرجع السابق،ص ص161،163.

[3]عبد العزيز بنعبدالله:المرجع السابق،ص04.

[4]*Archive Marocaine:* ***Chronique de la Dynastie Alaouite du Maroc****, traduite par Eugene Fumey, publication de-là Mission Scientifique du Maroc ,vol 9,Ernest Leroux ,Paris 1906,* p22.

[5]شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق،ص211.

[6]أبو القاسم أحمد الزياني:**الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**،ص6.

أسفرت عن مقتل محمد الشّريف،في محرم عام 1075هـ/أوت 1664م[1]وبذلك أزاح الرشيد منافسا قويا له على الحكم من الصّراع واستخلص المغرب لنفسه.

3-علاقات محمد الأوّل مع إيالة الجزائر :

كان أوّل إحتكاك مباشر للسّلطان محمد الأوّل مع إيالة الجزائر،يعود إلى حملة عسكرية نحو المغرب الشّرقي من أجل استخلاصه من الحكم العثماني ومهاجمته تلمسان[2]،إثر ذلك بعث أحمد باشا[3]بسفارة بتاريخ منتصف رجب 1064هـ /1654م إلى المولى محمد الأوّل، وكانت السّفارة تتألف من اثنين من كبار علماء الجزائر، وهما الفقيه عبد الله بن عبد الله الغفار، والحاج محمد بن عبد العالي الحضري المزغناوي،واثنين من رجال الديوان الأتراك[4].

أ-رسالة أحمد باشا إلى محمد الأوّل1064هـ /1654م:

ومماجاء فيها:«**إن حفيد مولانا علي وسيدتنا البتول وولد مولانا الشريف بن مولانا علي وبعد فقد كاتبناكم من مغنى غنيمة المقيم والظاعن والزائر رباط الجريد مدينة الجزائر [...]وذلك أن الوهاب سبحانه وتعالى منحكم همة وهيبة الجود والحلم والسماحة وأختار لكم عنوان عليها في الصون سجلماسة لكن فاتكم سرّ الرأي والتدبير خرقت على الإيالة العصمانية جلباب صونها الجديد من وجدة الأبلق إلى حدود الجريد فخيبت عنا أخلاق وأحلاف[...]شنيت الغارة العشواء على بني يعقوب فحسمت رسمهم...**»[5].

---

[1] كانت المعركة قرب مكان يسمى أنكاد فاستقرت أوّل رصاصة في نحر "المولى محمد" ليسقط قتيلا، وذلك يوم الجمعة 09 محرم 1075هـ/ 1664م ينظر أبا العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق ،ج7،ص 31.

[2] ينظر أبا القاسم بن أحمد الزياني:**جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ المولى سليمان**،تقديم وتحقيق عبد المجيد حيالي،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،2003 م،ص 108 .

[3] تولى أحمد باشا المعروف باسم "توشان" حكم الجزائر من سنة 1653م إلى 1655م ينظر عنه، حسين بن رجب شاوش بن المفتي:**تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**،جمع واعتناء فارس كعوان،ط1،بيت الحكمة،الجزائر2009م،ص53. بينما ذكر ابن زيدان أن الذي بعث الرسالة للسّلطان المغربي محمد الأول هو عثمان باشا ينظر عبد الرحمان بن زيدان: **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**،ج 3 ،ص164.

[4] محمد بن عبد القادر الكردودي:**الدر المنضد الفاخر لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر**،مخطوط،مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز،الدار البيضاء ،المغرب قيد رقم 20 0/ 1 ورقة 18.

[5] ينظر الرسالة كاملة عند،محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص ص20،22، 23.

فالرسالة تعكس بوضوح تخوف الجزائر من محاولة توسعات السلطان المغربي محمد الأول على حساب الجزائر، ويذكره بنبل أخلاقه وبنسبه الشريف، لعلّه يتخلى ويكفّ عن هذه الغارات التي يشنها على الأقاليم الجزائرية.

ب- رد محمد الأوّل على رسالة أحمد باشا 1064هـ/1654م:

إغتاظ محمد الأوّل من الرسالة التي بعث بها باشا الجزائر إليه و التي احتوت على عبارات لم يتقبلها كقوله: «**وقولكم إنّ الحجر لا يدقّ بالطوب**...»[1] مما دفع به، أن يبعث برسالة إلى باشا الجزائر بتاريخ أواخر شعبان 1064هـ/15جويلية 1654م جاء فيها:

«**إن آل تلمسان ما آثارهم إلا جوركم في الأموال والبنين مع مكابدتهم جمرة الصبرعلى مسير السنين وقولكم إن الحجر لايدق بالطوب والخاطف لايطأ بسط الخطوب تيقنا أن السهم والرمح لا يقومان بقوة الكبريت والمدافعون حن أعرف منكم بأصناف البارود والمدافع**...»[2].

ت-الاتفاق على رسم الحدود 1065 هـ / 1654م:

استطاعت البعثة الجزائرية وعلى رأسها أبو الصون المحجوب الحضري[3]أنّ تقنع محمد بن الشّريف العلوي بفكرة الحدود قائلة له:

«**نحن جئنا لتعمل معنا شريعة جدّك وتقف عند حدك**...»[4]معتمدة في ذلك مخاطبة الضّمير الإسلامي فيه، لتمنعه من تأليب القبائل ضد حكم الأتراك العثمانيين في الجزائر، وتحاول إقناعه و تذكّره بأن ما يفعله حرام لا يجوز في مذهب من مذاهب المسلمين، فما كان جده -يقصد النبي- يحارب المسلمين ولا يأمر بنهب المستضعفين[5].

---

[1] أي أنّ الأتراك في الجزائر أقوياء كالحجر الصّوان، وأنّك أيها السّلطان، ضعيف ضعف الطّوب أمام الحجر الصّلد.

[2]ينظر الرسالة كاملة عندمحمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص25.

[3]هو أحد أدباء وفقهاء الجزائر ويبدو أنّه كان كاتبا في الديوان التركي بالجزائر، وهو الذي أملى على الوفد الرسالة التي وجهت إلى المولى محمد ينظر أبو القاسم الزياني:**البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**،دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، ط1، مركز الدراسات والبحوث العلوية، مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،ص82.

[4] عبد الرحمان بن زيدان: **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**،ج 3،ص ص 164،165.

[5]أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق، ج7،ص26.

كما حاولت السّفارة الجزائرية، أن تركز على المنطق العقلي لصرفه عن الجزائر بقولها:

«**فإن كان غرضك، في الجهاد فرابط على الكفار،الذين هم في وسط البلاد،وإن كان غرضك في الاستيلاء على دولة آل عثمان فابرز إليها واستعن بالرحيم الرحمان،فلا يكن عليك في ذلك ملام**...»[1]،اقتنع المولى محمد بن الشّريف،وكان مضطرا لأن يقتنع، نتيجة المشاكل التي كانت تطوّقه من كل جانب،فوافق على ترسيم الحدود مع الجزائر بعد أن كتب لوالي الجزائر مايلي:

«**والله ما أوقعنا في هذا المحظور إلا شياطين العرب،انتصروا بنا على أعدائهم وأوقعونا في معصية الله وأبلغناهم غرضهم فلا حول ولا قوة إلا بالله وإني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لبلدكم ولا لرعيتكم بسوء،وإنّي أعطيكم ذمة الله ورسوله لاقطعت وادي التافنة إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله**...»[2].

وبذلك رجعت البعثة الدبلوماسية الجزائرية بنتيجة مهمة سنة 1065 هـ / 1654م،وهي تعيين الحدود بواد التافنة[3]،واعتبروه بمثابة إتفاق حول الحدود بل إعتمدوه كحجة أشهروها دائما،في محاولات التوسع المغربي شرقا.

4-علاقات المولى الرشيد مع الجزائر:

تراوحت العلاقات الجزائرية المغربية في عهد المولى الرشيد بين التوتر حينا والسلام الحذر أحيانا أخرى، بسبب رغبة المولى الرشيد في التّوسع شرقا، وفي أعقاب وفاة المولى محمد وجلوس أخيه المولى الرشيد على كرسي الحكم، وجهت الجزائر بعثة دبلوماسية إلى مولاي الرشيد تطلب منه أن لا يسمح لجيشه بالتوغل في الأراضي الجزائرية، وهذا بحسب الاتفاق الذي عُقد بين الجزائر و المولى محمد والذي أعطى فيه العهد على ذلك[4] فأذعن الرشيد لذلك الأمر وآثر الاستقرار وقبل بالإتفاق المبرم على ترسيم الحدود.

---

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق، ج7،ص26.

(2)قدور بوزياني: "**البعد الحدودي في علاقة المغرب بأتراك الجزائر ق10هـ-11هـ/16م -17م** "في مجلة مكناسة،كلية العلوم الإنسانية،عدد8،1994م، المغرب، ص 76.

(3)هو أحد الأودية في الجزائر يبلغ طوله مائة وسبعون كلم ،يوجد في شمال غرب الجزائر في ولاية تلمسان.

(4)عبد الهادي التازي : المرجع السابق،مج 9، ص12.وينظر كذلك ،أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق، ج7، ص 60. وعن ترجمة المولى الرشيد ينظر، عبد الرحمان بن زيدان: **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**،ص11.

5-علاقات مولاي الرشيدمع فرنسا:

ربط مولاي الرشيد مع فرنسا علاقات سياسية، وتجارية،ففي عام 1666م، قدم إلى المغرب التاجر الفرنسي "رولان أفرجس"(*Lauranne Afergice*)وكان المولى الرشيد يوم ذاك في تازا، يطلب منه الإذن لبناء محل للتجارة بالريف نواحي وادي نكور[1]،وكان قد وجه إليه كتابا سابقا يطلب فيه الأمان عن نفسه، وتجارته، وذكر فيه أن بيده كتابا من ملك فرنسا كلفه بتقديمه للسلطان فأمنه الرشيد، وعين له ستين بعيرا لحمل بضاعته[2].

أ-رسالة الملك لويس الرابع عشر للمولى الرشيد 19 نوفمبر 1665م:

بعث الملك الفرنسي لويس الرابع عشر إلى السّلطان المولى الرشيد رسالة تخص التجارة والأسرى وربط علاقات طيبة معه ومما جاء فيها:«**إلى الشريف العظيم مولاي الرشيد،فان ما نسمعه عن جلالتكم من أنها تقتبل إقتبالا حسنا كل من تشرف بالوصول إلى أعتابكم حقق لنا ستقبلون بفرح التاجر"رولان أفرجس"(*Lauranne Afergice*) الذي أوفدناه إليكم سعيا في ربط علائق الصداقة معكم،وقد كلفناه أن يعرض عليكم قضاء كل ما يخصكم من مملكتنا وأن يكلمكم في شان أمور أخرى وفي فتح باب التجارة بين رعيتكم ورعيتنا،وقد أذنا للتاجرين ميشال(*Michelle*) و"رولان أفرجس(*Lauranne Afergice*) ،أن يؤسسوا شركة من أعيان دولتنا فنطلب منكم أن تساعدوهما على ذلك،وإننا مستعدون لإعطاء دلائل المحبة و الاحترام اللذين نضمرهما لجلالتكم وهذا ما نريده منكم ونسأل الله أن يديم عزكم وأن يجعلكم سعداء أولا و آخرا...**»[3].

فالرسالة تبيّن أن الملك الفرنسي لويس الرابع عشر كان يسعى إلى ربط علاقات طيّبة مع المولى الرشيد تخص تسهيلات تجارية وأخرى سياسية للفرنسيين في المغرب .

ب-سفارة أطروبر" *Attrouper*"سبتمبر 1666م:

كتب لويس الرابع عشر من مدينة "فان سين(*Vincennes*)[4]إلى سفيره بالجزائر أطروبر (*Attrouper*)بالتوجه برا أو بحرا إلى ملك تافيلالت مولاي الرشيد، يطلب منه الإعانة العسكرية

---

[1]يقع في الريف شمال المغرب،طوله 60كلم،يصب في البحر الأبيض المتوسط ،غرب مدينة الحسيمة.

[2]عبد الرحمان بن زيدان: **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**،ج 3 ،ص 74.

[3] نفس المرجع ،ص ص75، 76.

[4]مدينة فرنسية تقع في الضواحي الشّرقية لباريس،في إقليم فان دورمان.

لحصار طنجة التي كانت بيد الإنجليز، ويكون حصار المولى الرشيد لها برا،وحصار الأسطول الفرنسي بحرا ولكن السفير لم يجد سبيلا للذهاب لمولاي الرشيد[1]،ولم تكن تلك المراسلات الوحيدة التي تمت بين الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، وبين السّلطان مولاي الرشيد،فقد وجهت رسالة أخرى من قصر سان جيرمان إلى الرشيد مؤرخة في لـ 10جمادي الثانية 1077هـ الموافق لـ ديسمبر 1666م [2].

ت-سفارة صامويل روي(*Samuel Roy*) في 23 فيفري 1672م:

أوفد لويس الرابع عشر من باريس مبعوثه "صامويل روي " (***Samuel Roy***)، إلى الرشيد يحمل معه مكتوبا في شأن بعض الأسرى الفرنسيين،وربط اتفاق بين البلدين لتبادل الأسرى الفرنسيين الذين أسروا من أهل سلا، وقد كلفه أن يسلم عشرة من الأسرى المغاربة، مقابل عشرة من الأسرى الفرنسيين،إضافة إلى التماس تأمين وحماية تجارة فرنسا في المغرب، وكان المكتوب موقعا من الوزير الفرنسي كولبير،إلا أن ابن زيدان يقول نقلا عن الكونت دوكاستري أن هذا المكتوب لم يصل إلى يد الرشيد، لأنه توفي في مراكش في 11ذو الحجة من سنة 1087هـ/09أفريل1672م.[3].

6-علاقاته مع جمهورية جنوة[4]:

يبدو مما أورده الأسير الفرنسي مويط ***(Mouette)***،أنّ العلاقات بين المغرب في عهد الرشيد وجمهورية جنوة كانت متوترة ومتشنجة، بسبب ما يربط علاقات دار الإسلام بدار الحرب؛ فقد طلب أهل تطوان من المولى الرشيد أن يخلّص من سجن الأشغال الشّاقة بجنوة أحد أشهر قادة الجهاد البحري السّيد "ابن حدو" الذي أسره الجنويون،وقد لبيّ الرشيد الطلب، وبعث بأحد معاونيه من اليهود للجنويين ليقترح عليهم استبدال "ابن حدو" بجميع أسراهم في المملكة المغربية — و كان عددهم قليلا- فرفضوا ذلك، وطلبوا من السّلطان المولى الرشيد أن يبعث لهم كلبا،مقابل إطلاق سراح "ابن حدو"، مظهرين بذلك أنّهم لا يعتبرون المسلم إلاّ كلبا،فأ ثار هذا التصرف المسرف في احتقار المسلمين ومساواتهم بالكلاب، غضب السّلطان المولى الرشيد؛ فامتنع عن تحرير ما تحت يديه من أسرى المسيحيين،وآلى على نفسه مقسما،ألاّ يحرر أيّ مسيحي مطلقا مهما كان الثمن[5].

---

[1] عبدالرحمان بن زيدان: **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**،ج 3 ،ص 87.

[2]ينظر عبد الهادي التازي : المرجع السابق ،مج 9، ص 68.

[3]ينظر عبد الرحمان بن زيدان: **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**،ج 3،ص 79.

[4]إحدى الدويلات الإيطالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط على السّاحل الشّمالي الغربي لإيطاليا،كانت دولة مستقلة من 1005م إلى 1797م .

[5] ينظر الأسير مويط : المصدر السابق،ص 31.

7-علاقاته مع إسبانيا:

كانت علاقات مولاي الرشيد مع إسبانيا متوترة جدا،نتيجة الغارات التي كان يشنّها من الحين إلى الآخر بيدرو لوبيس[1] (*Pedro Loupais*)، على أهالي حدود قلعة ملوية الفاصل بين مدينة تلمسان وفاس،فقد أرغمهم على الانسحاب لقمم الجبال،ليكونوا في مأمن،وفي إحدى غاراته على الأهالي،نصبوا له كمينا فأوقعوه أسيرا مع أخيه،وأخذوه في أغلاله للسلطان الرشيد،فسر بذلك وأبتهج،وأسره لمدة ست سنوات،ليقتله فيما بعد،بسبب اتهامه ببيع الخمر أو "ماء الحياة "كما يسميه الأسير مويط[2] للمغاربة.

ذكر الأسير مويط حول مقتل قائد مدينة مليلة سنة 1671م[3]. ما نصه :

«... لاشيء يستحق الذكر في شدة مولاي رشيد من الميتة المفجعة والمجيدة لفارس إسباني يدعى "دون بيدرو لويس" كان قائدا عاما لفرسان مليلية مركز السّلاح التي يحتلها الملك الكاثوليكي على حدود قلعية واقعة عند مصب نهر ملوية الفاصل بين مملكتي فاس وتلمسان ولما كان هذا القائد في أغلب الأحيان يشن الغارات على بربر ذلك الإقليم ويأسرهم جماعات فإنّه أرغمهم على الإنسحاب إلى قمم الجبال ليكونوا في مأمن لكنهم، نصبوا له في الأخير كمينا بمساعدة أهل الريف، وهو إقليم مجاور ،و أسروه مع أخيه الذي كان خليفته بعد أن بالغا المجهود في الدفاع بشجاعة مدة طويلة ،وكان في استطاعته أن يفر لو أراد ذلك كما فعل الكثير من رجاله الذين إرتقوا بمزية ،لكنه لم ير ترك أخيه الذي كان جريحا، ويحبه أكثر من نفسه، أراد البربر أن يفتكوا به للأخذ بثأرهم، لكن عامل الريف أوقفهم ،ونظرا لإعجابه "بدون بيدرو" أواه في خيمته وأمر أن تضمد جروح أخيه بكامل العناية ومنذ يوم الغد سار بهما في طريق فاس ليقدمهما إلى الملك ...»[4].

---

[1] قائد فرسان مليلة الإسباني كان قائدا عاما لفرسان مدينة مليلة المغربية المحتلة شنّ العديد من الهجمات على المغاربة وفي إحدى الغارات تمّ أسره والذهاب به إلى السلطان ، ينظر الأسير مويط : المصدر السابق،ص33.

[2] نفس المصدر، ص 34.

[3] يرى الأسير "مويط" أنّ معاملة المولى الرشيد للأسرى المسيحيين بقسوة يعود إلى الأخبار التي تصل إليه من الأسرى المغاربة في إسبانيا وأروبا عامة والذين يعانون من العنف الشّديد فقال أنه صاح ذات مرة قائلا:« **أيجوز أن يعامل إخواني هكذا في أروبا ويكون هؤلاء الكلاب المسيحيين في عيشة راضية؟**» ينظر نفس المصدر،ص32.

[4] نفسه،ص 33.

فالمتمعن في النص الذي كتبه الأسير مويط، يتضح لنا جليا، تأثره الشديد من الحادثة المفجعة بالنسبة إليه والتي أودت بأسر القائد الإسباني بيدرو لوبيس (*Pedro Loupais*) وتعكس عواطفه المسيحية، وتعصبه الديني.

ومما تقدم يمكن القول:

أنّ العلاقات السّياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط أوائل السّلاطين السّعديين:

-كانت العلاقات الدبلوماسية والسّياسية مختلفة من دولة إلى أخرى، فوصفت العلاقات مع إسبانيا في عهد أوائل السّلاطين السّعديين بالمستقرة والحسنة وخاصة في عهدي محمد الشّيخ السّعدي وابنه عبد الله الغالب اللذين حاولا ربط علاقات طيبة مع فيلب الثاني للتصدي للتحرشات العثمانية، وإفشال مشروع ضم المغرب لممتلكات الدولة العثمانية،ووصلت العلاقات إلى درجة التحالف العسكري.

- العلاقات في عهد السّلاطين السّعديين الأوائل مع إيالة الجزائر كانت متوترة جدا وصلت إلى درجة الصدام المسلح، بتجريد حملات عسكرية قوية على المغرب،واغتيال السّلطان محمد الشيخ بإيعاز من العثمانيين سنة 1557م،لكنّها شهدت نوعا من التوازن والتحالف في عهد عبد الملك السّعدي الذي طلب المساعدة العسكرية من الأتراك العثمانيين في صراعه مع ابن أخيه محمد المتوكل(المسلوخ) في كثير من المعارك، وخاصة معركة وادي المخازن.

-لم يرتبط أوائل السّعديين بعلاقات قوية، ومتينة، مع فرنسا بل كانت عبارة عن إرهاصات أولية لبناء علاقات دبلوماسية وتجارية مع المغرب نظرا لمشاكل فرنسا الداخلية.

ث-أما العلاقات مع البرتغال أوائل السّعديين فكان يشوبها الحذر الشّديد إذ أنّ البرتغاليين كانوا يحتلون بعض الثغور المغربية، ولم يشأ السّعديون الأوائل من توتير العلاقات معها نظرا لوجود الخطر العثماني الذي يهددهم.

أنّ العلاقات السّياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط أوائل السّلاطين العلويين:

- إنّ العلاقات الدبلوماسية والسّياسية مع إيالة الجزائر في عهد السّلاطين العلويين الأوائل كانت مضطربة وقلقة جدا وصلت إلى المواجهة العسكرية في عهد السّلطان العلوي محمد الأوّل، والذي أجبر على ترسيم الحدود مع الجزائر سنة 1065 هـ / 1654،واعتبر "واد التافنة" كحد طبيعي يرسم الحدود بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى.

– أمّا في عهد المولى الرشيد فقد ظلت العلاقات بين الجزائر والمغرب متوترة يشوبها السلام الحذر، وانعدام الثقة بين الطرفين،وقد ذكّر الجزائريون المولى الرشيد بمعاهدة رسم الحدود، التي وافق عليها أخوه المولى محمد الأوّل سنة 1065 هـ / 1654م.

– ارتبط المولى الرشيد بعلاقات تجارية ودبلوماسية حسنة مع فرنسا فقد كانت بين الدولتين بعثات دبلوماسية تخص التجارة والأسرى، فقد بعث الملك الفرنسي الملك لويس الرابع عشر رسالة للمولى الرشيد 19 نوفمبر 1665م يطلب منه فيها السّماح للفرنسيين بتأسيس شركة تجارية، وربط علاقات الصّداقة والتعاون بين البلدين، وسفارة سفارة أطروبر(*Attrouper*)في سبتمبر 1666م للمولى الرشيد يطلب فيها الملك إعانة عسكرية لحصار طنجة التي كانت بيد الإنجليز، و سفارة صامويل روي (*Samuel Roy*) 23 فيفري 1672م، والتي كانت تهدف إلى تحرير الأسرى الفرنسيين في المغرب.

– أما العلاقات في عهد المولى الرشيد، مع إسبانيا فكانت متوترة نتيجة احتلال الأسبان للعديد من الثغور المغربية والغارات التي كان يشنها الأسبان بين الفينة والفينة على المغاربة.

– كانت العلاقات مع الجنويين في عهد المولى الرشيد مضطربة تحكمها تدعيات القرصنة والقرصنة المضادة في البحر الأبيض المتوسط، و علاقات دار الإسلام بدار الحرب وما نتج عنها من أسرى بين الطرفين.



مظاهر علاقات المغرب السّياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهد أحمد المنصور السّعدي(1578م–1603م).

المبحث الأول:

مظاهر العلاقات السياسية والدبلوماسية للمغرب مع إسبانيا والبرتغال في عهد أحمد المنصور(1578م–1603م).

المبحث الثاني:

مظاهر العلاقات السّياسية والدبلوماسية للمغرب مع فرنسا في عهد أحمد المنصور (1578م–1603م).

المبحث الثالث:

مظاهر العلاقات السّياسية والدبلوماسية للمغرب مع الجزائر والدولة العثمانية في عهد أحمد المنصور (1578م–1603م).

إرتبط أحمد المنصور السّعدي عقب إنتصاره في معركة وادي المخازن سنة 1578م ضد البرتغاليين، بعلاقات سياسية ودبلوماسية متشعبة مع دوّل ضفتي غرب البحر الأبيض المتوسط، فهذا الإنتصار أكسبه ثقة في النفس، ومهابة في نفوس خصومه من ملوك وقادة، ويتضح ذلك في الوفود السّفارية التي جاءت لتهنئته بالنّصر والملك على السّواء، وكان أوّل الوفود التي وصلت إليه حسب عبد العزيز الفشتالي هو وفد باشا الجزائر "حسن فنزيانو" حكم ما بين سنة (1577م-1587) ثم تلاه وفد القس هنري الذي حكم ما بين (1578م -1580)خليفة سيبستيان قتيل وادي المخازن، ثم وفد الملك الإسباني "فيليب الثاني"(1556-1598) ثم رسل السّلطان العثماني "مراد الثالث"(1574-1595م).

فكيف كانت مظاهر تلك العلاقات السياسية والدبلوماسية مع تلك الدوّل ؟وهل وُفِّق أحمد المنصور في تحقيق أهدافه وتطلعاته؟

المبحث الأول:

مظاهرالعلاقات السّياسية والدبلوماسية للمغرب مع إسبانيا والبرتغال في عهد أحمد المنصور(1578م/1603م).

كان الانتصار الذي حقّقه المنصور في وادي المخازن سنة 1578م على البرتغاليين، ذا أثر كبير في نفوس خصومه التقليديين، من الأسبان والبرتغاليين والأتراك العثمانيين،فأصبح أحمد المنصور،شخصية سياسية فاعلة ومؤثرة ،في الأحداث الدولية عامة، وفي البلاط الإسباني خاصة،مما دفع بالملك الإسباني فيليب الثاني،أن ينتهج معه سياسة الاحتواء، ومحاولة التقرب إليه،وإبعاده عن كل محاولة تهدف إلى التّحالف مع الأتراك العثمانيين ضد إسبانيا، فما هي الصّفات التي تميزت بها سياسةو دبلوماسية أحمد المنصور،في السّنوات الأولى من حكمه مع إسبانيا ؟

1- مظاهر الود بين المنصور والأسبان1578م-1588م:

حرص المنصور غداة توليته، على الحفاظ على نوع من الصّلات الودية مع الأسبان،[1] وأن يحاول تجنب الصدام معهم، ويحافظ على استقلال المغرب من أطماع الأتراك العثمانيين، والأسبان على السّواء،فالأسباب التي دفعت بالمنصور إلى التقارب والتعاون مع الأسبان، هو الضغط العثماني والتهديد بغزو المغرب، فلم ينس المنصور محاولة الموالين للعثمانيين من القادة الأندلسيين للإطاحة به عن طريق إثارة الجند، ثم أنّ قائد طائفة الأتراك في جيش أحمد المنصور بعث سفينتين تركيتين إلى باشا الجزائر[2]يعلمه أن الوقت مناسب للسّيطرة على السّلطة، لأنّ السّلطان الجديد غير قادر على ضبط الأمور[3]ولأجل تحقيق هذا التقارب عمل المنصور على إزالة كل عقبة من شأنها توتير العلاقات بينهما، ووافق على جملة من التدابير نذكر منها :

-تسليم جثة الدون سيبستيان:

استقبل أحمد المنصور بعد ثلاثة أشهر من الكارثة التي حلت بالبرتغاليين بموقعة القصر الكبير سنة 1578م ،وفدا إسبانيا وبرتغاليا حمل إليه رسالة من فيليب الثاني،يرجوه فيها تسليم جثة الدون سيبستيان قتيل وادي المخازن، وذلك لإتمام مراسيم دفنه في لشبونة[4]وفي اليوم الثاني من رمضان

---

[1]عبد الكريم كريم:المرجع السابق، ص109.

[2] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص 45.

[3]عماربن خروف:المرجع السابق،ج1،ص213.

[4] إبراهيم حركات:**السياسة والمجتمع في العصر السعدي** ، ص74.

عام 986هـ /1578م،ردّ المنصور على رسالة ملك إسبانيا بخطاب[1]حدد فيها الملامح الجديدة[2] للعلاقات المغربية الإسبانية بعد معركة وادي المخازن، وذكر فيها بعد السّلام والتعظيم أنه على استعداد لتسليم جثة الملك سيبستيان مبديا سعادته بتلبية هذا الطلب، ووضح له أن ما جرى في وادي المخازن هو من تصريف القدر،الذي لا يستطيع أحد دفعه أو تغييره، متأسفا على المصير الذي آل إليه الدون سيبستيان، وبيّن له أنّه كلف من بحث عنه في أرض المعركة،وقد وضع جثته في تابوت بعد التعرف عليه،واستطرد قائلا للملك الإسباني:«**أنه لو طلب منه الملك فيليب الثاني تسليم الملك الدون سيبستيان و هو حي لسلمه إياه، كما زفّ له نبأ إطلاق سراح خادمه "جوان ذي سيلفا"،وأنّه عامله بالحسنى إكراما للملك فيليب الثاني...**»وفي ديسمبر من سنة 1578 حمل جثمان سيبستيان إلى سبتة (*Ceuta*)ومنها حمل ليدفن في بلده[3]وقد ذكر الفشتالي بقوله:« **وقد كان الطاغيتان قد أوفدا معا قبل ذلك على أمير المؤمنين رسلهم الأولين،يرّغبونه في الامتنان عليهم بشلو**[4] **الطاغية بستيان الموارى بالقصر في تابوته ووافـــوه أيام مقــامه بمعسكره بساحة فاس[...]فتطارحوا عليه متضرعين وخاضعين لعز الإسلام فرأى أيده الله ما في إسلام الشلو لهم والذهاب به إلى أرضهم** »[5].

-هدايا فيليب الثاني للمنصور:

استقبل المنصور الوفود السّياسية، التي جاءت لتهنئته بالنصر وبالجلوس على العرش،ومن هذه الوفود،الوفد الإسباني الذي حمل إليه الهدايا القيّمة، وقد أعجب بها الفشتالي ووصفها بقوله:« **ثمّ وصلت على إثرهم إرسال صاحب قشتالة وبلغوا مراكش على جهة آسفي مرسى ملكهم ومحط رحالهم[...]فأدوا رسالة ملكهم وعظيم ملتهم وقدموا بين أيديهم ،هديته المشتملة على كل نفيس من حجر الياقوت الكبير الحصيات المنتقى لذخائر الملوك انتزعت من تاج**

---

[1]عبد الكريم كريم :"**من الوثائق النادرة لمعركة وادي المخازن**"،في مجلة دعوة الحق، المغرب 1978م، عدد 8، ص 36.

[2]إبراهيم حركات:**السياسة والمجتمع في العصر السعدي** ،ص74.

[3]*Lucette valensi* :***Silence, dénégation ,affabulation: la souvenir d un grande défaite dans la culture portugaise*** *in Annales Economies, Sociétés , Civilisation , Année 1991, Vol 46 ,N° 1 ,P 13.*

[4]هي الجثة أو كل ما بقي من جلد وجسد ينظر ابن منظور: المصدر السابق، ص2318.

[5] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق،ص49.

أبائه وأسلافه ،والذخيرة العظمى عند قومه، وربعة مملوؤة من حصباء الدر الفاخر وقصب الزمرد كانت منها زمردة فاخرة الجرم تفوق سائر الأحجار»[1]وقدأعجب الناس وتنافسوا فيما بينهم أيّهم أعظم؟ هدية البرتغال أم هدية الأسبان؟ [2] وكان فيليب الثاني يرمي من وراء ذلك التأثير على المنصور—وهو يعلم ولعه بالأحجار الكريم— ليحقق منافع إستراتيجية جد هامة، ومنها تقزيم الدور التركي العثماني في المغرب،ونسج علاقات ودية مع أحمد المنصور[3].وربما يصل الأمر بينهما إلى التحالفات العسكرية في المستقبل.

ت–التّرحيب بالسّفير الإسباني بيدرو فينكاس1579م:

بعث فيليب الثاني سفيره بيدرو فينكاس (Pedro vengas) سنة1579م إلى أحمد المنصور وكانت السّفارة تهدف إلى تلطيف الأجواء الدبلوماسية بين البلدين،ومحاولة ترسيخ تعاون مغربي إسباني،لضرب الأتراك،مصدر الخطر على الطرفين، ويبدو أن الاتصالات بين أحمد المنصور والأسبان قد وصلت أخبارها إلى الأتراك العثمانيين[4] .

ث–سفارة القسيس مرين(Marin) 1581م:

كان أحمد المنصور بمعسكره بتانسيفت،حين وفد عليه سفير فيليب الثاني القسيس مرين(Marin)، وقد دخل معه في مفاوضات لوضع مشروع معاهدة عسكرية ضد الأتراك على أساس التنازل للإسبان على مدينة العرايش، التي هي ذات أهمية إستراتيجية للملك الإسباني في رد القراصنة الأتراك الذين أنزلوا خسائر فادحة بالتجارة الإسبانية في البحر الأبيض المتوسط،[5]وفي شأن هذه السّفارة ذكر الفشتالي مانصه:

---

[1] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق ،ص50.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق ، ج5، ص92.

[3] مصطفى الجنابي : المصدر السابق،ص353.

[4]*Fray Diego deHaedo :**histoire des rois d' alger**,traduite H.D.deGrammant,Adolphe Jourdan Librairie éditeur, alger1881 , p 164.*

وللمزيد من الإطلاع على تقارب المنصور مع الإسبان ينظر *Chantal de la vaironne :**Relations entre le Maroc et la Turquie dans la seconde Moitie du 16 siècle le début du17 siècle 1554/1616**,in, R. O . M .M ,A Anneé1973,vol15, , n^{o} 15 -16, p 395.*

[5]عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص 113.

«**حضر معه جمعه العظيم،رسول عظيم الملة النصرانية طاغية قشتالة،بما كان ساعتئذ بمراكش سفيرا إلى حضرة أمير المؤمنين من عندملكه...**»[1].وبعد عودة المنصور إلى فاس، تابع مع القسيس مرين المفاوضات التي دامت زهاء السّنة تقريبا[2]،إضافة إلى أن هدف السفارة الأولّ كان، إقامة مشروع معاهدة عسكرية وتسليم مدينة العرايش مقابل تنازل إسبانيا عن مدينة الجديدة[3]، أمّا الهدف الثاني هو الإفراج عن الدوك دي بارسيلوس*(Duque debarcelos)* الفارس البرتغالي، وقد أوصى فيليب الثاني سفيره، بأن يتقيد بالأمور التالية في مفاوضاته مع المنصور وهي:

– على الأب مرين (*Marin*)أن يثير الموضوع مع المنصور بسرية تامة.

–ينبغي أن يسعى إلى دعم الصّداقة التي من شأنها تؤدي إلى تنازل المنصور عن ميناء العرايش[4].لكي يخيب بصفة قطعية آمال الأتراك في احتلالها[5].

– في حالة الامتناع عن تسليم العرايش،فلا يكون ذلك سببا في قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين[6]، وبذلك كانت دبلوماسية أحمد المنصور في السّنوات الأولى من حكمه تعتمد على الموازنة؛ فيهادن الإسبان و يجاملهم ظاهريا، متى تعاظم خوفه من الأتراك العثمانيين،و يلجأ إلى الأتراك كلما شعر بتزايد أطماع الإسبان، و ازداد خطرهم عليه ؛ فاستطاع بهذه السّياسة التي تتسم بالمجاملة المشوبة بالحذر المتبادل[7]أن يوّطد دعائم مملكته .

2–توتر العلاقات بين المنصور والأسبان:

لم يأذن المنصور للسّفير الإسباني القسيس مارين *(Marin)*بالعودة إلى إسبانيا،إلاّ بعد رجوع سفارة الشّاطبي وسفارة الشّياظمي من إسطنبول،وتأكده من النوايا الجديدة للسّلطان العثماني تجاه

---

(1) عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق،ص64.

(2) عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص 114.

(3) عبد الهادي التازي:المرجع السابق، مج 8،ص143.

(4)*Jehanne Marie gandin* ***: La remise de Larache aux Espagnols en 1610 .****in,*
R.O . M .M.1970 , vol 7, n° 1 , p 71.

(5) أنطونيو دي صالدانيا :**أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب**،تقديم وترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب وآخرون،مكتبة الرباط نت،المغرب،2011،ص88.

(6) عبد الهادي التازي: المرجع السابق،مج 8،ص 144.

(7) إبراهيم حركات: **السياسة والمجتمع في العصرالسعدي**،ص89.

المغرب،فلقد كان للتهديد التركي العثماني أكبر الأثر في تقاربه مع الأسبان،وبذل الوعود المختلفة للحصول على مساعداتهم العسكرية،والضغط الذي مارسه فيليب الثاني لإيفاء المنصور بوعده في تسليم ميناء العرايش[1].

3-عوامل توتر العلاقات :

- ظهور الإنجليز على مسرح الأحداث:

تمكن أحمد المنصور من ربط علاقات دبلوماسية وتجارية مع الإنجليز، مطبوعة بالودّ والرغبة في التعاون،حتى أنه اتفق المنصور و إليزابيت على القيام بغزو مشترك لإسبانيا،و تبادل معها العديد من الرسائل الدبلوماسية [2] مما يدل على أن المنصور قد توجه إلى المعسكر البروتستانتي الذي تتزعمه كل من بريطانيا وفرنسا،وأظهر نوعا من الابتعاد عن إسبانيا بعدما،خفّ عليه الضغط التركي العثماني وتمكنه من توطيد أركان عرشه [3].

أدّى ظهور الإنجليز على مسرح الأحداث- العدو اللدود لإسبانيا- إلى محاولة لنسج علاقات دبلوماسية وسياسية وتجارية مع الإنجليز ليضمن بذلك تسليح الجيش المغربي،في مقابل تسهيل تجارة الإنجليز في المغرب، وضمان دعم المنصور وتأييده للصراع الإنجليزي الإسباني حول الأزمة البرتغالية،ثمّ اكتساب حليف قوي،معاد للأسبان،الذين طالما هادنهم المنصور لعله يكسب بعض الوقت[4] ويتخلص من أطماعهم في المغرب، لقد أصدرت الملكة البريطانية مرسوما، بتأسيس شركة "بلاد البربر" لاحتكار التّجارة المغربية لمدة اثني عشر عاما،وتعود تأسيس هذه الشّركة للجهود التي بذلها

---

[1] محمد جادور:"**ديبلوماسية أحمد المنصور السعدي من خلال تقاييد أسير برتغالي**"، في مجلة المؤرخ، والتقارب الثقافي،الرباط جوان، جويلية، أوت 2009 م، عدد 4 ،ص ص 4 - 5 . وينظر عمار بن خروف:المرجع السابق ،ج1،ص ص131،132.

[2] للوقوف على الرسائل التي تبادلها أحمد المنصور و ملكة بريطانيا إليزابيث، ينظر

Henry De Castries :Opcit,T2 , D'Angleterre ,PP1-18-34-40-68-99-132-137-155-159.

[3] ينظر عمار بن خروف :المرجع السابق ،ج1،ص ص131،132.

[4]حسين بوزينب:"**من العرايش إلى فضالة أربعة عقود ونصف من الإستراتيجية الإسبانية في احتلال مراسي مغربية 1578م/1624م**"،في م .ت ع، جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب شتاء 2000، عدد 13،ص ص1- 2 .

السيد "إيرل أوف ليستر" وأخوه "إيرل أوف أرويك"،حيث كانا يسيطران تماما على تجار لندن الأربعين؛الذين كوّنوا هذه الشّركة[1]،وقد استهدف تأسيس شركة "بلاد البربر" تحقيق غرض آخر، وهو أن يقف تجار لندن حائلا في مواجهة من أسموهم بالمتطفلين،الذين قاموا بالاتجار في السّلاح، والذخيرة،والأقمشة الرخيصة بكميات كبيرة ،مما أدى إلى تدمير السّوق،ووقوع أضرار بالتّجارة، والتّجار الشّرعيين وكان أوّل قرارات الشّركة الجديدة ، هو إرسال وكيل لها في البلاط السّعدي، ليحافظ على العلاقات الودّية بين البلدين،وقد وصل هذا الوكيل المدعو "هنري روبرتس" إلى آسفي في 04 سبتمبر 1585م، واستقبله المنصور بحفاوة عظيمة،ومنحه دارا في الحي اليهودي،حيث أقام هناك ثلاثة سنوات،وقد انعكس تحسين العلاقات بين المملكتين في المرسوم؛الذي أصدره أحمد المنصور في 03 ربيع الآخر عام 996هـ/ أول مارس 1588م،والذي قدم فيه الحماية والرعاية الخاصة للتجار الإنجليز[2].

-منع عودة القائد عبد الكريم بن تودة[3] إلى المغرب:

من الأحداث التي تعكس توتر العلاقات بين فيليب الثاني وأحمد المنصور هو رفض فيليب الثاني السّماح للقائد عبد الكريم بن تودة اللاجئ في إسبانيا من أن يعود إلى المغرب كوسيلة ضغط على المنصور ،بالرغم من أنّه بعث إليه برسالة جاء فيها :«**ولما تقرر لدينا وعلمنا أن ما تقادمون إلينا فيه أنتم بشفاعتكم ورسائلكم أن تسعفوا فيه رغبتكم [...] فالمراد منكم إن شاء الله أن تصدقوا ظننا الحسن فيكم بإطلاق ذلك الرجل إلينا...**».[4]

ث- سياسة ودبلوماسية الخداع وربح الوقت:

---

(1) عبد الهادي التازي: المرجع السابق ،مج 8،ص 193.

(2) نفس المرجع .

(3) هو صهر محمد المتوكل (المسلوخ)، وأحد قواده،تنازل للبرتغاليين عن ميناء أصيلا، فرّ إلى إسبانيا بعد هزيمة وادي المخازن،ينظر عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة المغرب العربي**،ط1، مكتبة مدبولي، مصر 1994م، مج 3، ج5، ص 178.

(4) عبد الكريم كريم:المرجع السابق،ص 120.

أدّت المحاولات العثمانية الجديدة لتحسين العلاقات مع المنصور وبعث الطمأنينة في نفسه والأمان الحذر، مما دفعه إلى عدم السّير قدما في تنازلاته للأسبان،فقد قام بتحصين مدينة العرايش حتى لا تفاجأ بهجوم إسباني،بالرغم من الآمال الكبيرة التي كان يعلقها فيليب الثاني على هذه المدينة،والتي تلقى وعودا من المنصور لتسليمها له[1].

وقد قال الفشتالي في هذا الصّدد:

«**الحصنين الضخمين اللذين خيم بهما على أنف عدو الدين بمرسى العرايش [...]وأبطل بهما كيد عدو الدين ودفع بهما في صدر طاغوت الشرك وأقامهما مع الأيام شجى في حلقه...**»[2]،

فبناء أحمد المنصور هاذين الحصنين العسكريين القويين هو من باب تقوية مدينة العرايش تحسبا لأي هجوم إسباني مباغت.

ومن جهة أخرى ظل المنصور يماطل الإسبان ويعتذر لهم بين الفينة والفينة،ويماطل ويتثاقل على فيليب الثاني،ويتحجج عن ذلك،بالقيام بأعمال مستعجلة،وقد ساعد المنصور في السّعي في سياسة ربح الوقت والتّسويف،هو انشغال الملك الإسباني في الحروب التي تجري في الواجهة الإسبانية،ولا يستحسن للأسبان أن يغامروا بتجريد حملة على المغرب قد يكون مصيرها الفشل كحملة سيبستيان (*Sébastien*)[3]،وهم يدركون تمام الإدراك أنّ المنصور يلاعبهم سياسيا، ودبلوماسيا، لربح الوقت فقط.

أرجع المولى أحمد المنصور سبب هذه المماطلة والتّسويف في تسليم العرايش –هذه المدينة– الإستراتيجية والتي قال عنها الأسبان:«**أنّها تساوي إفريقيا بأكملها**...»[4] لأهمية المدينة لهم، فقد اتهمهم بعدم كتمان السّر،وإذاعة الخبر بين العامّة ونستشف ذلكو نستخلصه من الرسالة التي بعث بها المنصور للملك فيليب الثاني(*Philippe II*)حيث جاء فيها :

---

(1) محمد الغربي:**بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر،الكويت،ص 99.

(2) عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق،ص165.

(3)عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص 118.

(4) عبد المجيد القدوري:**التاريخ والدبلوماسية قضايا المصطلح والمنهج**،ط1،مطبعة النجاح الجديدة البيضاء، المغرب 2003، ص195.

كلمناكم مرارا وأوصيناكم ألا تذكروا شيئا،من ذلك،ثم أن الكلام خرج من عندكم...»[5].

-فشل حملة الأرمادا على الإنجليز سنة996هـ/1588م:

راقب المنصور عن قرب تطور العلاقات العدائية بين الإسبان والإنجليز واستثمر فيها جهودا سياسية هؤلاء الإنجليز الذين ارتبط معهم بعلاقات ودّية ممتازة مما جعلهم يزوّدون المنصور بالأسلحة،و المؤونة الحربية اللازمة لجيشه،وقد سرّ المنصور وفرح واستبشر عندما بلغه نبأ انهزام الأسبان، بسبب العاصفة الهوجاء التي أودت بأسطول الأرمادا(*L'armada*) سنة996هـ/1588م،بقيادة مدينا سيدونيا(*Médina Sidonia*) وهو في طريقه للثأر من الملكة إليزابيت[1]وفي هذا الشّأن بعث المنصور رسالة إلى قاضي الجماعة بالسوس،أبي عثمان سعيد بن علي جاء فيها :« **تعين أن نساهمكم من كل بشرى ترد علينا وبشارة [...] وذلك أن عدو الدين جدد الله حزنه، وقوّض ركنه، وهو طاغية قشتالة [...]كان من أمره من سلطان بلاد إنجلترا،التي قيض الله له منها عدوا من جنسه وضدّا شغله عن نفسه،بسبب عداوة نشأت عن نزوعها هي وقومها عن دين النصارى وشرعتها والخروج عن ملتهم،فكانت لذلك تغري الطاغية منذ سنين بأسطولها في عقر داره،وتستأصل المرة بعد المرة بسيوفها جماهير حماته وأنصاره وتقيم كل يوم في أرضه مآتم...»**[2].

فرح أحمد المنصور واستبشر، بهزيمة الإسبان في كارثة الأرمادا(*L'armada*) بسبب العاصفة الهوجاء التي ضربت الأسطول الإسباني وهو في طريقه لمواجهة الإنجليز،فكان المنصور يجيد لعبة التحالفات وربح الوقت،وقد وجد في هذه الصراع بين قوتين عسكريتين أروبيتين وهما الإنجليز والإسبان ضالته فقداستراح من التهديد الإسباني عقب معركة وادي المخازن ثمّ تراجع الضغط الإسباني عليه لعدم وفائه بالوعود التي أطلقها للملك فيليب الثاني(*Philippe II*) لتسليم مدينة العرايش له.

---

[5] رسالة المنصور لفيليب الثاني في المكتبة الوطنية في مدريد تحت رقم 257. نقلا عن عبد الكريم كريم:المرجع السابق،ص 119.

[1] ينظر:

*Jules Thiery :**L Espagne et L'Angleterre en 1588 Campagne de L'Armada Documents nouveaux**,librairies de la société des bibliophiles français , Paris , S.D ,P44.*

[2]عبد الهادي التازي: المرجع السابق، مج 8، ص150.

- محاولة تحرير سبتة997هـ/ 1589م:

اغتنم المنصور فرصة انهزام الأسبان أمام الإنجليز، والتراجع الكبير في القوة البحرية الإسبانية إثر كارثة الأرمادا(*Làrmada*) سنة 1588م، ليفكر في استخدام القوة ضدهم و التي طالما تردد في استعمالها في السّنين الأولى من حكمه، ليأمر المقدم "أحمد بن عيسى النقسيس" التطواني بالفتك بنصارى سبتة من الأسبان،وكاد يفتحها، وقد تعرض الفشتالي لهذه الغزوة وفصل فيها تفصيلا،وممّا قال:« **وكانت هذه الغارة المباركة والغزوة المتداركة،يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم الحرام فاتح عام سبعة وتسعين وتسعمائة وكان من الخبر في ذلك أن العصابة القائمة بغرض الجهاد من المسلمين بمدينة تطاون حاولوا انتهاز فرصة في المشركين أهل سبتة [...]فأنتدب لذلك منهم زعيم الفئة أبو العباس أحمد بن عيسى النقسيس**...»[1]، وبذلك نلاحظ أنّ المنصور بدأ يتحرر من عقدة الخوف تجاه "فيليب الثاني"، واستعمل القوّة ضده في سبتة، هذا التحوّل في موقف المنصور من "فيليب الثاني"، يعود للأسبان الآنفة الذكر، وكذلك الهزيمة التي تعرض لها الأسطول الإسباني الأرمادا(*Làrmada*) سنة 1588م.

4-نتائج معركة وادي المخازن 986هـ/1578م:

إنتهت معركة وادي المخازن التي توفي فيها الملوك الثلاثة ، الأوّل ميتة طبيعية هو "عبد الملك السّعدي" حكم المغرب من (1576-1578) ،والثاني بالسّيف هو "الضون سيبستيان" البرتغالي (1557-1578)والثالث غريق الواد هو المتوكل السعدي (1576-1578) ،وقد هلك الثلاثة وهم يتطلعون إلى عرش المغرب ،ولم يتمتع به أي منهم . وعند مغيب الشّمس كان كل شيء قد انتهى، ودقّ الأمير أحمد بوق التجمع، وفي صمت عميق مليء بالحزن و الأسى أعلنت وفاة أخيه "مولاي عبد الملك" وأسفرت معركة وادي المخازن الحاسمة عن نتائج بعيدة الأثر سياسيا، واجتماعيا واقتصاديا،فقد نقلت المغرب نقلة نوعية في تاريخه الحديث، وانعكست نتائجها على العلاقات الدولية في تلك الحقبة ،فأصبح المغرب ليس ذلك القطر التي تصارعت من أجله القوى الدولية المجاورة ،كمنطقة نفوذ حيوية،بل اكتسب من القوة السّياسية، والعسكرية،والاقتصادية، ما أهله إلى أن يلعب دورا بارزا مع القوى التي هيمنت على البحر الأبيض المتوسط في القرن السّادس عشر. ويمكن إجمال نتائج هذه المعركة في النقاط التالية :

أولا: بالنسبة للمغرب :

[1] للإطلاع أكثر على تفاصيل موقعة سبتة، ينظر عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق،ص 96 .

– أعاد انتصار معركة وادي المخازن للشعب المغربي ثقته بنفسه ،ومقدرته على القضاء على المطامع الاستعمارية ،والمخططات التوسعية من القوة الأيبيرية، التي هيمنت عليه زمنا طويلا.

– أتاح هذا النصر للمغرب فرصة الاستقرار النسبي ،ليتفرغ إلى ضبط جهاته ، وترتيب أوضاعه الداخلية [1]وتحسين ظروفه الاقتصادية ،وبعدها دخل المنصور فاس يوم الخميس العاشر من جمادى الآخر من سنه 986هـ /1578م ،حيث جددت البيعة له ، فهدأ الناس وسكنوا وباشر في تأدية مهام الحكم، لكن أبناء عمومته وأولاد إخوته فروا خوفا من شدته وبطشه[2] .

– من الناحية الاقتصادية تدفقت أموال كثيرة على المغرب من البرتغال؛ التي دفعت لافتداء الأسرى، فانتعشت الحركة الاقتصادية، واتسعت التجارة وعمّ الرخاء، وازدهرت الفنون والصناعات وشيّدت القصور، والمنشآت العمرانية. وما يجب ذكره أن السّلطان أحمد المنصور لم يغنم كثيرا من أموال البرتغال ضمن غنائم المعركة، فقد ذكر ابن عيشوش أن الغنائم أخذها المسئولون عليها حيث قال مانصه :« ...**إلاّ أنّ الغنيمة لم تقسم إنما انتهبها الناس كما اتفق لهم بحسب القوّة والبخت الدنيوي وكان الناس يتوقعون مغبتها لاختلاط الأموال بالحرام، فظهر ذلك من غلاء ،وغيره وكنا نسمع أن البركة رفعت من الأموال من يومئذ** ... »[3] .

— من الناحية السّياسية فقد أعطت معركة وادي المخازن للمغرب زخما سياسيا قويا ،لدى دول العالم فتهاطلت عليه الهدايا ،ووجهوا له السّفارات ،والبعثات وأخذ المغرب يقوم بدور بارز في السّياسة العالمية[4] والتّجارة الدولية وتسابقت الدول الأوروبية للفوز بالتعامل معه، والحصول منه على امتيازات تجارية .

– بعدما انكشف غبار المعركة وتبدد الجيش الصّليبي ، تمّ إحصاء الأسرى ،والقتلى فقد ذكرت المصادر التاريخية أرقاما متضاربة في عدد الأسرى لكنها اتفقت على أنهم كانوا بالألوف[5].

وبهذا النصر المبين، ازدهرت الحركة الفكرية ،والأدبية، فبرز كتاب وأدباء أمثال عبد العزيز الفشتالي والمقري، وابن القاضي[6] وغيرهم، وقد ذاع صيت الانتصار، في أصقاع العالم الإسلامي حتّى شبهت معركة وادي المخازن بمعركة بدر الكبرى.

---

[1] شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص 180.

[2]مجهول: **تاريخ الدولة السعدية التاكمادارتية** ، ص 64.

[3] أبو عبد الله بن عيشون الشراط : المرجع السابق ، ص 104 .

[4] سعيد أعراب : المرجع السابق، ص 96.

[5] عبد العزيز الفشتالي : المصدر السابق ، ص 36.

– توجيه أحمد المنصور عقب انتصاره ،عدة سفارات للعالم الإسلامي، يعلمهم بما حققه في وادي المخازن وبتوليته أمر المغرب ومن هذه السّفارات سفارة احمد بن يحي الهزالي إلى إسطنبول يخبر فيها السّلطان العثماني بما هيأه الله له من نصر مبين على أعدائه وحملت نفس البعثة رسالة إلى الجزائر مصحوبة بهدية للأمير إسماعيل[1] الموجود في الجزائر.

ثانيا:بالنسبة للبرتغال :

– مقتل الملك :

لما نعي خبر وفاة الملك سيبستيان إلى البرتغاليين ، لم يصدقوا ذلك بسهولة ، فقالوا : لا إنّه مأسور فقط في المغرب ،حيث أن المجتمع البرتغالي كان يؤمن بالخرافات ،فانتشرت الأساطير حول الملك الشاب وأنه سيعود لينتقم ممن أخذ ملكه . وقد تحدث المؤرخون عن مقتل الضون سيبستيان،وأضفوا عليه القداسة والبطولة، وذكروا أنه أصيب بضربة سيف في رأسه، وأخرى في يده اليمنى، ليسقط من فرسه مضرجا في دمائه[2].ومن المؤرخين من ذهب أبعد من ذلك حيث ذكر: أن الملك الشاب قاتل ببطولة فائقة، وأنه أصيب بثلاث وثلاثين ضربة على رأسه حتى وقع على أرض المعركة قتيلا، وأن سلطان المغرب أحمد المنصور أمر بالبحث عن الجثة، والتأكد منها ليتم تحنيطها، وجعلها في التابوت وجهها لقصر كتامة[3].

– إعلان النكبة:

إذا كانت موقعة وادي المخازن قد حققت للمنصور نتائج باهرة عززت موقفه، وقوّت مركزه في العلاقات الدولية ،مع الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري /السّادس عشر الميلادي ، فإنّه على العكس من ذلك ،حيث كانت كارثة،ومأساة على البرتغال التي كانت دولة عظمى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

---

[6] هو أحمد بن محمد بن أبي العافية المعروف بابن القاضي كتب عدة تراجم عن المنصور الذهبي ويعتبر من المقربين له ، إفتاداه المنصور عندما تعرض للأسر من طرف القراصنة، للمزيد من التفصيل ينظر: أحمد بن محمد المقري : **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس** ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط 1983 ، ص239 .

[1] هو الأمير إسماعيل ابن عبد الملك السعدي ، أمه تركية الأصل، تركه أبوه عند أتراك الجزائر عندما دخل المغرب لقتال ابن أخيه المتوكل ،رأى فيه الأتراك أحقيته بالملك من عمه المنصور، أستعمل كورقة ضغط مرارا ضد أحمد المنصور ينظر: عمار بن خروف، المرجع السابق ، ص ص 229- 234 .

[2]*Ferdinand Denis : **Chevalersque de l Espagne et du Portugal** , T2 , S D, Paris , p197 .*

[3] أبو القاسم الزياني: **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب** ،ص 71

لقد فرّ من ساحة المعركة عدد ضئيل، من الجيش البرتغالي الهائل، وكان وصوله إلى أصيلا بأعجوبة، فأقلعت السّفن مسرعة وأوصلت الخبر إلى لشبونة ، فنزل عليها نبأ الهزيمة كالصاعقة ، وأصابها ذهول شديد ؛ وما من بيت إلاّ دخله الحزن ، وعمه العويل ؛ من جراء ما فقدته من أبطالها، وخيرة شبابها ، فجللت المدينة بالسواد ، ونكست الأعلام في سائر البلاد ، وكانت ضربة قاصمة لا للبرتغال فحسب، ولكن للأمم المسيحية جميعها، التي تبخرت معها أحلام الصّليبية والصّليبيين في المغرب إلى الأبد[1].

حجم الكارثة كما وصفها المؤرخ البرتغالي (لويس مارية) حيث قال :

« **وقد كان مخبوءا لنا في مستقبل الإعصار، العصر، الذي لو وصفته –كما وصفه غيري من المؤرخين – لقلت:هو العصر النحس البالغ في النحوسة، الذي انتهت فيه مدة الصولة والظفر والنجاح، وانقضت فيه أيام العناية من البرتغال،وانطفأ مصباحهم بين الأجناس، وزال رونقهم، وذهبت النخوة والقوة منهم وخلفها الفشل، وانقطع الرجاء ،واضمحلّ إبان الغنى والربح ، وذلك هو العصر الذي هلك فيه "سيبستيان" في القصر الكبير من بلاد المغرب** ... »[2].

فشهادة هذا المؤرخ تصف بجلاء حجم الكارثة التي حلت بالبرتغال في القصر الكبير، و التي وصف عصرها بعصر النحس "البالغ في النحوسة "كما عبّر. فزمن القوّة البرتغالية التي بنت لها إمبراطورية مترامية الأطراف ، قد ولّى إلى غير رجعة ، وتهاوت مكانتها بين الأمم المسيحية منها والإسلامية،وفقدت مكتسباتها على كل الأصعدة الاقتصادية ،والاجتماعية، والسّياسية والعسكرية، لتفقد كيانها (استقلالها) وترابها وتاريخها ،وأفلست خزينتها من جراء مغامرتها في المغرب.إذ بلغت التكاليف المالية لهذه الحملة الكارثية على البرتغال وشعبها، حوالي مليون كروساضوس(عملة ذلك العصر) أي ما يقدر نصف ميزانية الدولة عن كلّ سنة [3].

-المنصور والأزمة البرتغالية :

---

[1] سعيد أعراب : المرجع السابق، ص 94 .

[2] شوقي أبو خليل: **وادي المخازن** ، ط 4 ، دار الفكر، دمشق، سوريا 1993،ص 71.

[3] محمد قشطيليو : **مدى تأثير موقعة وادي المخازن في نفوس البرتغاليين** ، في م د ح ، المغرب جويلية 1980م ، العدد4،ص 98 .

مما زاد في حدة التوتر بين المنصور وفيليب الثاني، تدخل المنصور في الأزمة البرتغالية واستغلاله للعلاقات العدائية بين انكلترا و إسبانيا،حيث كانت إليزابيت تحاول أن تجد ميدانا للتفاهم مع "أحمد المنصور"؛ غير أن هذه المحاولة لم تسفر عن أي نتيجة تذكر،خاصة عندما أقدم "فيليب الثاني" على ضم البرتغال لمملكته في 16 مارس 1581م، ليضم أيضا الممتلكات البرتغالية على السّاحل المغربي ؛ وهي سبته وطنجة ومازاغان، وبعد احتلال البرتغال وفشل المقاومة،وفرار"الضون أنطونيو"[1].إلى إنكلترا طالبا النجدة لاسترجاع ملكه، إستغلت "إيليزابيث" ملكة انكلترا التباعد المذكور بين "المنصور" و"فيليب الثاني"، وأرسلت إلى الملك المغربي، تعرض عليه مشروعا يهدف إلى تحرير البرتغال[2] ،هذا المشروع ينص على أن تقدم إنكلترا "للضون أنطونيو" أسطولا كاملا، في حين يتولى" المنصور" تحمل النفقات والمؤن، وعندما يطرد الأسبان من البرتغال، يتنازل الأمير" أنطونيو" عن الجيوب السّاحلية للمغرب، غير أنّ هذا المشروع فشل لأسباب كثيرة أهمها: أنّ إنكلترا لم تكن جادّة فيما تقول،وإنما كانت تتخذ من المشروع وسيلة للمساومة فقط، ومن جهة أخرى كان "فيليب الثاني" يأوي في قصره اثنين من أسرة "أحمد المنصور"؛ الناصر ومحمد الشيخ اللذين كانا يطالبان بالعرش،فلمّا علم "فيليب الثاني" أنّ"المنصور" مستعد للاستجابة لرغبة الإنجليز،وتلبية مطالبهم، هدّد بأنّه يدعم هو أيضا المطالبين بالحكم المغربي، ويضع تحت تصرفهما جيشا يقاتلان به[3].

مع العلم أنّ المنصور كان يتمنى إنقاذ البرتغال من الحكم الإسباني لأحراج "فيليب الثاني" وكسر وقوته والتخلص منه، لكن المنصور كان يتعامل بحذر في ذلك، نظرا لورقة الضغط التي يمتلكها فيليب والمتمثلة في وجود الناصر شقيق" المتوكل" و"محمد الشيخ" عنده[4] .

-الدعم الإسباني لثورة الناصر بن عبد الله الغالب1595م:

---

[1] الضون أونطونيو ملك البرتغال ولد في 20مارس 1531م وتوفي في 26أوت 1595م في باريس، حكم شهرا ويوما واحدا من 24جويلية 1580إلى25 أوت 1580، تزعم المقاومة البرتغالية ضد الإسبان عندما ضمّوا البرتغال إلى ممتلكات إسبانيا سنة 1581م إثر هزيمة معركة وادي المخازن سنة 1578م ،ينظر الموسوعة.

[2]محمد العربي الزبيري:**مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، مطابع المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1975،ص41.

[3] عن الأزمة البرتغالية ينظر : عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص 126.

[4]محمود علي عامر و محمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث**، منشورات جامعة دمشق، 2000/1999، ص 67.

إنتقل المولى "الناصر بن عبد الله الغالب" صبيحة معركة وادي المخازن، إلى معسكر البرتغال للانضمام إلى أخيه المولى محمد المتوكل،ولما قام فيليب الثاني بضم البرتغال سنة 1581م،وجد الناصر الفرصة مناسبة له فتقدم بطلب النجدة ضد عمه المنصور، إلاّ أنّ الملك الإسباني لم يلتفت إلى طلبه،بسبب مشاغله الداخلية والخارجية،والعلاقات الوديّة – نوعا ما– التي كانت تربطه بالمنصور، ولما انتهت كارثة "الأرمادا"،بالغ المنصور في الإعراب عن تأييده للأمير الضون "أنطونيو" (*Antonio*)، وغالى في التعامل مع المعسكر البروتستانتي[1]وإليزابيث ملكة الإنجليز خاصة؛ حيث أشار الفشتالي إلى ذلك بقوله:

« **بما أمدها به من النحاس لتفريغ مدافع النار وإطلاق ملح البارود لها بالشراء من ممالكه الشريفة وإمدادها بالمعادن التي أعوزتها ببلادها** [...]»[2].

ولما حاول المنصور استغلال ظروف إسبانيا الحرجة في أوربا الغربية، للضغط على فيليب الثاني، ومساومته للتنازل له عن أصيلا،لجأ الملك الإسباني إلى المعاملة بالمثل؛ ونقل الأميران السّعديان"الناصر" و"الشيخ" من لشبونة إلى مدينة "كرمونا [3] في شهر ماي 1589م ، وأخذ يلوّح للمنصور بإمكانية مساعدتهما للثورة ضده ؛ الأمر الذي أجبر المنصور على عدم الوفاء بما وعد به الإنجليز، وأبحر الناصر من "مالقا"يوم :7ماي 1595م، ومعه قوات جرارة؛معظمها من الموريسكيين، الذين كانوا يعانون الاضطهاد في إسبانيا، ووجدوا في ذلك فرصة للفرار من هذا الجحيم، كما وجد فيليب الثاني في ذلك مناسبة للتخلص منهم، فأغرى الناصر وزين له الأمر، وقد ذكر الفشتالي في ذلك بقوله:

« **شمر للاعتمال في المكايد التي هي جنده الأقوى،وحصنه الذي يلوذ به عند الشدائد؛ فأملى للناصر لتفريق الكلمة، وتحريك حوار الفتنة** ... »[4]،فقد نزلت القوّات في مدينة "مليلة" المحتلة من الأسبان يوم 28 شعبان 1003هـ/09 ماي 1595م،وأعلن منها الثورة ضد عمه

---

[1]عن هذا الدعم لثورة الناصر ينظر عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص 130.

[2]عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق، ص 193.

[3]مدينة إسبانية في مقاطعة بروفانس إحدى حضائر الأندلس للمزيد من الإطلاع ينظر : *Alexandre-louis joseph* ***Itinéraire descriptif de L Espagne*** *,imprimerie de Firmin dido ,SD, p240.*

[4]عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص171.

المنصور[5]فزحف على مدينة "تازا"؛ واستولى عليها بسبب انضمام عدد من قوات المنصور للناصر، فأصبح الطريق مفتوحا للثوار نحو فاس،فزاد هذا النّصر الأولي من حماس الناصر لمواصلة قتاله،ودفع ببعض زعماء القبائل للانضمام إليه، وقد أختار الناصر جبال الريف الشّرقي من المغرب كمركز لقواته، نظرا لأنّ المنطقة قريبة من مليلة قاعدة الاحتلال الإسباني؛ وحتى يسهّل عليهم مد الناصر بمختلف المساعدات العسكرية إن استلزم الأمر،كما اتصل هذا الأخير بأتراك الجزائر لطلب العون منهم،أو الالتجاء إليهم في حالة الانهزام،قال الفشتالي مؤكّدا ذلك:

« **وليجد وليجة إلى المروق من هناك لجهة الشرق، إن بدا له من أمره ما يكره...**»[1].

بعث المنصور بعد شهرين من قيام ثورة الناصر، رسالة إلى فيليب الثاني مؤرخة بيوم الخميس 6 ذي القعدة عام 1003م/ 13 جويلية 1595م أعرب له فيها عن بقاء حبل الودّ والمجاملة موصولا بينهما،آملا في ردّ فيليب الثاني وحمله على العدول عن دعم ثورة الناصر،وحمّله مسؤولية ما سيقع، فالمنصور كان على يقين،ولم يشك أن الأسبان هم المحركون الأساسيون لثورة ابن أخيه[2].

فأقدم على إلقاء القبض على السّفير الإسباني "بيلهزاربولو" (*Balhzar polo*) يوم الجمعة 4 أوت 1595م ووضعه رهن الاعتقال، وملاحقة الأسبان الموجودين بالمغرب،وذلك كتدابير وقائية احتراسا من أن يقوم هؤلاء بالشّغب أو الفوضى لصالح ثورة الناصر بشمال البلاد[3]،وفي شوال كلّف أحمد المنصور ابنه محمد الشيخ، ونائبه على فاس بتوجيه حملات عسكرية على الناصر[4]، وظلّ هو معسكرا في نهر "تانسيفت" على أهبة الاستعداد للتدخل، فالتقى الجمعان على مقربة من فاس، قرب جبل "مدغرة" في معركة عظيمة، دامت ساعة ونصف[5]، انهزم فيها الناصر وفرّ،بعد أن أصيب برصاصة في ركبته، و فقد حوالي خمسة آلاف قتيل من جيشه، بينما خسر محمد الشّيخ المأمون ألفين من رجاله،وبعد مطاردة للناصر تمّ اعتقاله وأعدم سنة 1004هـ/ 1596م، وبذلك انتهت ثورته؛ التي هددت المنصور تهديدا جدّيا،كادت أن تقضي على حكمه.

---

[5]عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص 195.

[1] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق، ص171.

[2]عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص 197.

[3]نفس المرجع، ص 197.

[4] G. Faure-Biguet*:* **Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane**, *Vauzelle , Paris , 1905.,P 307.*

[5] Henry De Castries **: les sources inédites de L histoire du Maroc** ,1serie, Dynaste saadienne , Archives bibliothèques de France , T2 , éditeur Ernest Leroux , Paris 1909.p224.

وبالرغم من القضاء على هذه الثورة،إلا أنّ متاعب المنصور لم تتوقف ولم تنته، فقد عاش المغرب وباء الطاعون؛ الذي فتك بالكثير من الناس،واستمر سائدا فيه سبع سنين،ثم تمرد ابنه محمد الشّيخ عليه، وقد سيّر له جيشا[6]للقضاءعليه وعلى تمرده، وقد وصف المجهول محمد الشّيخ، بأقبح الخصال حيث قال فيه:« **قبيح الذات والأفعال غدارا لمن خدمه، ونصحه، مسرعا إلى الفساد في القينات [...] مصرا على الخمر والحشيش...**»[1]، وقد جمع حوله أعداء أبيه كعرب أولاد حسين، وبعض الموالين للأتراك،كعرب أولاد طلحة، وفي أكتوبر وجه المنصور له حملة قوامها 8000 مقاتل، لتعقب ابنه "محمد الشيخ"، فلم يكن أمام ابنه المتمرد إلاّ اللّجوء إلى إحدى الزوايا ليتم القبض عليه بعد معركة عنيفة[2].

ومما سبق نستنتج مايلي:

-حاول المنصور أن يتقرب ويهادن "فيليب الثاني" ويكسبه في صفه حتى يأمن جانبه، كما حاول فيليب الثاني من جانبه جذب المنصور إلى السّياسة التي سار عليها بعض أسلافه من السّلاطين السّعديين الأوائل وهي فكرة التحالف مع الإسبان لدفع الخطر العثماني فقبل المنصور بمبدأ التفاوض على ذلك، لكن سرعان ما تبدد ذلك بسبب إنتقال الثغور المغربية المحتلة من البرتغاليين إلى ممتلكات إسبانيا وهي سبتة وطنجة ومزاغان.

-تدخل المنصور في الأزمة البرتغالية ومحاولة التحالف مع الإنجليز أقلق فيليب الثاني وهدد بدعم الأميرين اللاجئين عنده "الناصر ""ومحمد الشيخ" ليضغط بهما عليه .

-أتقن المنصور مع الإسبان سياسة المراوغة وربح الوقت، إذ تماطل المنصور في التنازل "لفيليب الثاني" على مدينة العرايش بالرغم من الوعود التي قدمها للملك الإسباني.

- فشل حملة الأرمادا على الإنجليز أدّت إلى تدهور قوة "فيليب الثاني" مما شجع المنصور أكثر في التمادي في تحدي "فيليب الثاني".

---

[6] Bekkhoucha (M.) : ***Epitaphes des Sultans saadiens***, *France-Maroc, in Revue <u>France-Maroc</u>,7Année, 1923, Tome 7, pp. 127-128.*

[1]مجهول: **تاريخ الدولة السّعدية التكدمارتية**، ص 69.

[2] نفس المصدر، ص74.

-إستطاع المنصور أن يقضي على ثورة الناصر بن عبد الله الغالب سنة1595م المدعومة من الإسبان مما مكنه من إزالة خطر عسكري كبير كان يهدد سلطانه.

المبحث الثاني:

مظاهر العلاقات السّياسية والدبلوماسية للمغرب مع الجزائر والدولة العثمانية في عهد أحمد المنصور (1578م–1603م).

انتهت معركة وادي المخازن بنصر عظيم للمغاربة على البرتغاليين،وأعلن عن وفاة عبد الملك بعد انتهاء المعركة، سعى القادة الموالون للأتراك العثمانيين،من القادة الأندلسيين كمحمد زرقون وغيرهم من محاولة تولية، إسماعيل بن عبد الملك ذي الأم التركية، بدلا من عمه أحمد المنصور، وأخذوا ينادون بأحقية الأمير الصّغير في الخلافة [1]المتواجد في الجزائر،وقد توارى مولاي أحمد عن الأنظار خوفا من أن يقتلوه[2]،وكان المولى عبد الملك المعتصم قد أوصى بالخلافة إلى أخيه أحمد، حيث ذكر الأفراني مانصه :

« **فأعلم أنّي لا أحب أحدا بعد نفسي محبتي لك، ورغبتي في انتقال هذا الأمر من بعدي إلاّ إليك،لا لغيرك**... ».[3]ولذلك عارض معظم المغاربة توجه هؤلاء القادة ولم يرضوا به[4]،وكان أوّل عمل قام به المنصور بعد انتهاء المعركة،و بعد إتمام بيعته،هو إرسال جثة أخيه عبد الملك إلى فاس

---

[1] من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى نكبة هؤلاء القادة العسكريين هو اتهامهم بالتآمر مع الأتراك في الجزائر، لضم المغرب للإمبراطورية العثمانية،والمناداة بالأمير إسماعيل كخليفة، مستغلين سمعة ومكانة أبيه عبد الملك المعتصم في نفوس المغاربة، ينظر عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص41.

[2] عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السّعدي: **تاريخ السودان**،طبعه هودا، المكتبة الأمريكية والشرق، باريس1981، ص 208.

[3] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي** ،ص 78.

[4]عمار بن خروف: المرجع السابق،ج1،ص213.

ليدفن هناك في جو مهيب،إذ حمل نعشه كبار فقهاء فاس وقضاتها[5] ،ومن ساحة المعركة أيضا وجه المنصور سفارة إلى الباب العالي يرأسها أحمد بن يحي الهزالي[6].

1- محاولات الأتراك العثمانيين إحتواء المغرب1578م-1582م:

وصلت إلى المغرب بعد مبايعة أحمد المنصور وفودا كثيرة، جاءت مهنئة تحمل الهدايا، ومنها وفد السّلطان العثماني "مراد الثالث" وقد اختلفت الروايات التّاريخية حول استقبال المنصور لهذه السّفارة، فالفشتالي يذكر أنّ المنصور استقبل الوفد استقبالا جيّدا، ورحب به، وأكرمه، حيث يقول: « **ولقاهم ميرة التكريم، وأختار النزل،و الأرغاد في القرى،وإقامة رسم الضّيافة** »[1].بينما ذكر الأفراني بخصوص الوفد العثماني أنّ المنصور تثاقل عن لقاء الوفد وأهمله،مما أغضب السّلطان العثماني حيث قال ما نصه:«**وتشاغل المنصور وتركهم بحضرته مهملي،وتأخر عن جواب، خاقان ملك القسطنطينية،فغاظه ذلك منه...**»[2].

وبالرغم من ملامح الودّ،ودبلوماسية المجاملة بين المنصور والسّلطان العثماني، فإن حاكم المغرب القوي، لم يطمئن للأتراك العثمانيين، ويعلم جيّدا مطامعهم، والرغبة في السّيطرة عليه، وقد بنوا سياستهم في السّنوات الأولى من حكم المنصور على ذلك، ومنها البعوث الدبلوماسية والإغراءات المتعددة لجذب المغرب إلى البيت العثماني ومنها:

-سفارة أبي الطّيب البسكري سنة1579م:

قدم الشيخ أبو الطيب البسكري[3](ت بعد997هـ/1579م) إلى المغرب مرتين الأولى كانت سنة 978هـ/1571م حيث كلف بتوجيه من السلطان العثماني سليم الثاني بالتوسط في الصلح بين عبد

---

[5]عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص 107.

[6] و عن هذه السّفارة قال الفشتالي:«**لسلطان الروم والمشرق،وإيفاد رسائله عليه في مشهد الفتح،إلى القسطنطينية يخبره بما هيأه الله من نصر دينه وإعلاء كلمته، و الإستلاء على أحزاب الشّرك وطواغيت الكفر...**» ينظر عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص61.

[1] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص51.

[2]محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي** ،ص ص 85، 86.

[3]هو مفتي الجزائر،العالم الكبير والخطيب الشهير، اختاره السلطان العثماني مراد الثالث، لشهرته، ومكانته،في العلم والرياسةهذا ما ذكر عنه الفشتالي، لم أعثر عن ترجمة وافيه له ينظرعمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م**،دار الأمل للطباعة والنشر،الجزائر 2008، ج2،ص118.

الملك المعتصم، وأخيه عبد الله الغالب، ثم قدم مرة ثانية في جمادى الأولى سنة 987هـ1579م على رأس وفد جزائري لتهنئة المنصور السّعدي لإنتصاره في معركة وادي المخازن وبتوليه حكم المغرب، لكن الفشتالي لم يذكر فحوى السّفارة ولم يشر إلى مضمونها،سوى أن المنصور فرح بها وأستبشر،حيث قاله:«**فاهتز لذلك أمير المؤمنين سرورا من أعواده**»[4]،وأغلب الأمر أنّ السّفارة لم تكن تهدف إلى التهنئة بالملك والنصر فقط،بل كان من ورائها مطالب أخرى لم تجعل المنصور يهتز سرورا إلاّ على سبيل المداراة وكضم الغيظ[5]وأغلب الظن أنّ السّفارة طلبت من المنصور اعتبار شمال المغرب من نصيب الأمير إسماعيل بن عبد الملك،و إرغامه بالإعتراف عمليا بالسّيادة العثمانية في المنطقة،وتقديم المساعدة في تحرير وهران،كما كان الأمر سابقا في عهد المتوكل وعبد الملك.

-مهمة تعيين "رمضان باشا[1]" على رأس الجزائر:

لقد أقلق التقارب المغربي الإسباني،السلطان العثماني،مراد الثالث(1574-1595م)كثيرا،لأنه كان يستهدفهم بالدرجة الأولى،ويقف ضد طموحاتهم في المغرب،وضفة البحر الأبيض المتوسط[2]،وتطويقا لهذا الخطر المتفاقم،أصدر السّلطان العثماني في أوت 1579م أمرا بتعيين رمضان باشاوتكليفه رسميا بإفشال نوايا المنصور، وشن الحرب عليه، وطرده من مملكته،إن إقتضى الأمر ذلك، فقد وصلت معلومات إليه تؤكد شكوكه من أنّ المنصور، ينوي غزو الجزائر بالتعاون مع الأسبان[3]،وأصدر أوامره إلى باشا الجزائر، وحاكم تونس،وباشا طرابلس،بأن يضعوا كل إمكانياتهم تحت تصرف "رمضان باشا"[4] وفي سنة 1580م، بعث رمضان باشا رسالة إلى داود بن عبد المؤمن، الذي ثار ضد عمه أحمد المنصور في أكتوبر 1579م في منطقة السوس (جنوب المغرب) يعرض له فيها المساعدة والدعم، خاصة عندما أخذ المنصور البيعة لولده وولي عهده محمد الشّيخ، ومما جاء في نص الرسالة:«**ولما عزمنا الآن القدوم إلى مدينة تلمسان، فأوّل ما سألنا عن أحوالكم، وأين**

---

[4] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص51.

[5]عمار بن خروف: المرجع السابق، ج1،ص214.

[1]رمضان باشا تولى حكم الجزائر سنة 1579،وفي سنة 1574م غزا فاس و استولى عليها،ونصب مولاي عبد الملك السعدي خلفا لمحمد المتوكل الذي استنجد بالبرتغاليين سنة 1578م أنظرعنه ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**،ط، تحقيق فارس كعوان ،بيت الحكمة للنشر والتوزيع،الجزائر 2008،ص43.

[2]نفس المصدر، ص215.

[3]*Diego Fray de Haédo :**Histoire des rois d'Alger**, traduite H ,D Grammont , Alger Alger1881, ,p164.*

[4]*ibid ,p164.*

استقر مقامكم لكي ننشئ معكم عهدا، تقادم لنا من أسلافكم، فبعثنا هذا المكتوب لعلكم تعلموننا في جوابكم، لنا بما عندكم من مأمول ومرغوب، فلا تغيبوا عنا شيئا من مقاصدكم السّنية»[5].

-عرض التّحالف والمصاهرة على المنصور:

واصل السّلطان العثماني "مراد الثالث" سياسة الاحتواء، ومحاولة ترويض المنصور بالقبول بالهيمنة العثمانية،والرضوخ ولو نسبيا لإرادته، وكسبه كحليف، يمكن أن يقف في وجه القوّة الإسبانية المهددة للطرفين، ولذلك بات من الضروري أن يعرض السّلطان على أحمد المنصور المصاهرة بينهما، لتزداد روابط المودة، والتقارب، ولاستمالة المنصور إليه، بتزويجه إحدى بناته[1]وخاصة بعدما استطاع أحمد المنصور القضاء على ثورة ابن أخيه داود،ونجاح فيليب الثاني في ضم مملكة البرتغال إلى ملكه سنة 1580م[2].

ث-مشروع حملة العلج علي على المغرب989هـ/1581م:

أقدم أحمد المنصور على تجاهل الوفد العثماني والتثاقل عليه بعدما جاء لتهنئته كما مرّبنا، الأمر الذي أغضب السّلطان العثماني "مراد الثالث"، وخاصة عندما تماطل في الرد على الرسالتين اللتين بعث بهما إليه، في رجب عام 988هـ /سبتمبر 1580م،يطلب فيهما من المنصور عقد تحالف عسكري ضد الأسبان، على أساس إمداده بأسطول وقوّات،حيث جاء في الرسالة ما نصه:

« نوجه لكم ثلاثمائة غرابا[3]سلطانية، وجيش عزّ ونص، وكماة عثمانية تستفتح بها إن شاء الله بلاد الأندلس»[4]،وكان المنصور قد اتّخذ موقفه هذا، وعامل الوفد العثماني ببرودة لتصفية حسابات قديمة بسبب العوامل التالية:

---

[5]صورة عن النص الأصلي للرسالة ينظر عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص 35.

[1]جاء في رسالة من السلطان العثماني مراد الثالث إلى المنصور بخصوص عرض المصاهرة:«... **عهدنا إلى أمير الأمراء يصهر لكم على إحدى بناتنا إسعافا لغرضك المنيف...**» ينظر عبد الهادي التازي:المرجع السابق،مج8،ص50.نقلا عن الرسالة الأصلية بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم 7453.

[2]عمار بن خروف: المرجع السابق، ج1،ص217.

[3]نوع من المراكب البحرية، أوّل من استعملها القرطاجيون والرومان، وعنهم أخذها العرب واستعملوها للأغراض الحربية والتجارية، سمي بذلك لأن مقدمته تشبه رأس الغراب، للمزيد ينظر مصطفى عبد الكريم: المرجع السابق، ص 330.

– ردّ بذلك على موقف الأتراك المتآمر عليه، مع بعض قادة جيشه،بغرض الإطاحة به بعد الشهر الأوّل من مبايعته في أرض المعركة.

– الاتصالات التي كانت بين الأتراك والمتمرد الأمير "داود بن عبد المؤمن"، والدعم الذي لقيه في ثورته ضد المنصور

– إيواؤهم للأمير إسماعيل "ابن المعتصم عبد الملك"،الذي كان من الممكن أن يستعمل كورقة ضغط ضد المنصور وينازعه ملكه، بعد أن تزوج حسن فنزيانو بأرملة أخيه عبد الملك[1] في هذه الظروف السّياسية المشحونة، والتوتر الشّديد بين البلدين، ظهرت بوادر الحرب في الأفق، فأعطى السّلطان العثماني أوامره "للعلج علي" بغزو المغرب، الذي وصل إلى الجزائر في جمادى الثانية عام 989هـ/1581م، حيث وجد في المهمة التي كلف بها مبتغاه،الذي طالما تمناه في ضم المغرب للدولة العثمانية، والقضاء على دولة الأشراف السّعديين؛ فتحرك على رأس خمسين غاليرة في ربيع سنة989هـ/ 1581م، وعلم المنصور بتأهب العلج علي لغزوه، فحشد عساكره على شط نهر "تانسيفت" خارج مراكش منذ صفر 989هـ /18 /03 /1581م مدعيا أخذ البيعة مصافحة لابنه "المولى محمد المأمون"، وفي هذه الأثناء توصل أحمد المنصور إلى اتفاق شبه عسكري مع الملك الإسباني، الذي كان قد أنهى بدوره المشكلة البرتغالية؛ بدخوله العاصمة لشبونة فاتحا يوم 31 جويلية 1581م على أساس تقديم مساعدة عسكرية للمغرب لمواجهة التدخل العثماني، مقابل التنازل عن مدينة العرايش، وامتيازات أخرى، وإلى جانب هذه الاستعدادات العسكرية وجه أحمد المنصور سفارة إلى إسطنبول؛ تضم القائد "أبا العباس أحمد بن ودّة" والكاتب "أحمد بن يحي الهزالي" لاسترضاء السّلطان[2]وأمام هذه التّطورات لم يجد السّلطان العثماني بدّا من القبول بالأمر الواقع، والتراجع عن غزو المغرب، خوفا من خطورة تحالف المنصور مع الأسبان،ضد الوجود العثماني في المنطقة[3].

ح–موقف الجزائر من الحملة:

---

[4]رسالة السّلطان العثماني مراد الثالث إلى السّلطان أحمد المنصور، التي يعرض فيها التحالف ضد الأسبان منشورة، ينظر عمّار بن خروف: المرجع السابق، ج1، ص 249 .

[1] *Chantal de la veronne :Op.Cit, p 397.*

[2] محمد خير فارس:**تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت1969،ص53.

[3] عبد كريم كريم :المرجع السابق، ص 112 .

ذكر هايدو (*Haédo*)أن الجند في الجزائر عارضوا الحملة، وأعربوا على عدم رضاهم، واستبعدوا فكرة الاعتداء على حاكم فاس المسالم في نظرهم، والذي لم تظهر منه أية بادرة سيئة، تجاه الجزائر، أو الدولة العثمانية، وقد أرسلوا لذلك الغرض سفارة للسلطان العثماني يحملها أحد المرابطين يدعى أبو التقى[4] يوضحون فيها موقفهم من هذه الحملة، ويناشدون السّلطان بأن يأمر "العلج علي" بتوقيفها، لأنّه إن نجح في السّيطرة على المغرب، فقد تُسوِّل له نفسه، بالانفصال والتّمرد على السّلطنة وقد بنى الجند موقفهم هذا، بسبب الأحقاد التي كانوا يضمرونها له، حيث هددوه بالقتل عندما كان واليا على الجزائر[1]،وبالرغم ما قيل عن الأسباب التي دفعت بالعثمانيين إلى عدم مهاجمة المغرب في السّنوات الأخيرة من حكم المنصور، فإنّني لا أفصل هذه الأسباب عن مختلف التّحولات التي شهدتها السّلطنة العثمانية والمغرب الأقصى معا، فقد تراجعت هيبة العثمانيين الدولية،وانشغلوا في أكثر من واجهة برية،وبحرية، مما انعكس عن حماسهم في ضم المغرب.

2-عهد السّلام الحذر1583م-1603م:

جرّب "مراد الثالث" مع المنصور سياسة اللّين، ومحاولة الاحتواء، قبل أن يفكر في استعمال القوة ضده، خاصة بعد أن نجح المنصور في القضاء على ثورة ابن أخيه "داود"[2].ثم النجاح الذي أحرزه "فيليب الثاني" في ضم البرتغال إلى ملكه سنة 1581م إثر وفاة "القس هنري"[3]،وللتخفيف من كل توتر من شأنه تعكير صفو العلاقات المغربية العثمانية ذات التوجه الجديد، بادر السّلطان العثماني بعزل "حسن فنزيانو" الذي كان المنصور يخشاه، وتعيين جعفر باشا، على رأس حكومة الجزائر وكلفه بتحسين العلاقات بينه وبين سلطان المغرب .

- تراجع الضغط العثماني على المغرب:

خفف الأتراك العثمانيون،من حدة الضغط على المنصور،وبات هذا الأخير مطمئنا نوعا ما عن حدود المغرب الشّرقية بعدما غيرّ الأتراك العثمانيون سياستهم تجاهه وابتعدوا عن فكرة غزو

---

[4] لم أعثر عن ترجمة وافية لهذه الشّخصية، سوى ما أشار إليه هايدو، من أنّ اسمه سيدي "أبو التقى" وهو من العلماء، كلف بحمل رسالة إلى السّلطان العثماني،ينظر *Diego Fray de Haédo : Op.Cit, p187 .*

[1] قدور بوزيان: المرجع السابق،ص74.

[2] إندلعت هذه الثورة في أعقاب تعيين المنصور ولده محمد الشيخ وليا للعهد،ثار داود ضد عمه في السوس والذي كان يمني نفسه بولاية العهد ليتم القضاء عليه سنة988هـ/ 1580م بعد فراره إلى عرب الودايا، ينظر:عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق، ص ص 56-58 .

[3]عمار بن خروف: المرجع السابق، ج1،ص217.

شامل للمغرب الأقصى لضمه إلى ممتلكاتهم في الشّمال الإفريقي لاقتناعهم بوجود متغيرات على السّاحة المغربية خاصة والدولية عامة كما سيأتي في المبحث المخصص للعلاقات مع الجزائر والدولة العثمانية ومن الأسباب المؤدية لخفة الضغط العثماني على المغرب مايلي"

– بعد المسافة بين المغرب الأقصى وإستانبول، ووعورة التضاريس كانت من العوائق التي جعلت العثمانيين يترووت في بعث حملات للمغرب وإن كانوا قد فعلوها مرات عديدة من إيالتهم الجزائر.

–بداية التراجع العثماني بعد انهزامهم في معركة ليبانت 1571م التي تعتبر من الهزائم الكبرى التي لحقت بالعثمانيين فهي بمثابة العد النازلي للقوة العثمانة أمام الأروبيين.[1]

–النصر الكبير الذي حققه المنصور على البرتغاليين في وادي المخازن سنة 1578م،جعل منه قوة سياسية وعسكرية فاعلة في المنطقة .

–تسابق القوى الإقليمية للمغرب،ومحاولة ربط علاقات تحالف معه[2].

–التغيرات التي شهدها الحكم في الجزائر من عهد البيلربايات،إلى عهد الباشات،والذي تميز بالفوضى والاضطرابات[3]،فقد ذكر "البوريني"[4]

وقدروي عن المنصور في النزهة[5] قوله:«**قال النبي(ص)**:« **أتركوا التّرك ما تركوكم فامتثلنا الحديث**"...»[6]

---

[1] *Ernest Charrière : **Négociations de la France dans levant**, imprimerie impériale, Paris, T3 ,pp 187-188-189.*

[2] *H.D.Degrammant : **Histoire d àlger sous la domination Turque 1518-1830** ,Ernest leroux ,Paris1887 ,p123.*

[3] محمد خير فارس:**تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**،ط1،مكتبة دار الشرق،دمشق 1969م،ص 60.

[4] أنّ أحمد المنصور كان يسعى لمسالمة جيرانه العثمانيين في الجزائر حيث قال ما نصه :« **وهوموادع لسلاطين الزمان آل عثمان فيرسل إليهم،الهدايا السنية في كل سنة ،وهم يرسلون إليه المكاتيب،والخلع المستحسنة كتب له مراد بن سليم و لك علي العهد ألاّ أمدّ يدي لك إلا بالمصافحة وأن خاطري لا ينوي لك إلا الخير والمسامحة**...» ينظر الحسن بن محمد البوريني: **تراجم الأعيان من أبناء الزمان**،تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي،ج1،دمشق 1959،ص 221.

[5] عن رجل من أصحاب النبي عن النبي أنّه قال:(**دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ**)ينظر سليمان بن الأشعث السّجتاني:**صحيح سنن أبي داود** ،تأليف محمد ناصر الدين الألباني ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الرياض،مج3،كتاب الملاحم ،ص26.

[6] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي** ، ص 97.

- الأتراك العثمانيون والرضي بالأمر الواقع:

إستقبل المنصور غداة تواجده في فاس،سفارة تركية أرسلها"مراد الثالث"،لتُعلم المنصور بالانتصارات التي حققها العثمانيون على الصّفويين في إيران،ولتؤكد السّفارة النيات الحسنة للسلطان العثماني،وإعادة رسم علاقات ودّية مع المغرب، بعدما اقتنع العثمانيون، بعدم جدوى تطبيق سياسة القوة مع المنصور، لوجود بدائل سياسية لديه، خاصة وأن الأسبان يتحسسون من كل تقارب عثماني مغربي.حيث استعمل المنصور الورقة الإسبانية الرابحة، وهو ما تفطن إليه السّفير الإسباني سيلفا الذي بعث برسالة إلى الملك فيليب الثاني سنة 1583م يقول له فيها:

« **إنّ إمبراطور المغرب يسخرمنا،فهو متأرجح بين مصانعتنا، ومصانعة الأتراك، فعندما يطالبه صاحب الجلالة بالعرايش يقول هيا بنا إلى الجزائر،وعندما يهدده الأتراك يقول هيا بنا إلى إسبانيا** »[1].

وقد ذكر الفشتالي بخصوص ذلك:

«**ثم نظر في مخاطبة خاقان صاحب القسطنطينية، السلطان مراد خان، وإيفاده رسله عليه لما تقرر من سوابق الألفة، والمهادات السالفة،بينهما وبما كان السلطان مراد الأخير مهما في إتحاف صاحبه بالهدية، التي أنفذها مع الكاتب أبي العباس الهزالي...**»[2].

أ-سفارة الشّاطبي[3] والشّياظمي[4] 989هـ/1581م:

ردّ المنصور الجواب في رسالة للسّلطان العثماني مع سفارة قاضي القضاة بمراكش الشّاطبي والعالم أبي زيد عبد الرحمان بن منصور الشّياظمي أشاد فيها المنصور بالروابط بين الدولتين

---

[1]عبد الهادي التازي :المرجع السابق،مج7، ص 145.

[2]عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 64.

[3] لم أقف على ترجمة وافية للشاطبي سوى أنّه ابن قاضي مراكش،فقيه وهو نائب أبيه على القضاء بها وعلى الخطابة بجامع المنصور من قصبة مراكش، ولد سنة 933هـ /1527م وتوفي سنة 1002هـ/1593م ينظر عنه محمد بن عبد الله الصغير الأفراني:**صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**،تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي،ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء المغرب ،2004،ص 186، وينظر عنه كذلك أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي: **درة الحجال في أسماء الرجال**، ص172.

[4]علي بن منصور الشياظمي 951هـ-1012هـ/1544م-1603م،إتصل بالسّلطان أحمد المنصور كان قائدا وشاعرا، من أهل مراكش، له جملة من الأشعار في مدح المنصور، ينظر ترجمته عند أحمد بن محمد المقري : **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام،مراكش وفاس**،ط2، المطبعة الملكية الرباط،1983، ص173.ينظر عن هذه السّفارة ،محمد بن عثمان: المقال السابق، ص 06.

المسلمتين،ثم التهنئة بما حققته القوات العثمانية من نصر في إيران، وختم المنصور خطابه بالتأكيد على دور المغرب في الجهاد بالمغرب الإسلامي[5]ومما جاء فيها:

« **ولا طارئ بحمد الله عدا ما نحن فيه من الاهتبال بمصالح العباد**[...]**ثم مواصلة البكر والآصال بإقامة فريضة الجهاد الذي هو الدثار لهذه الملّة الإسلامية والشّعار، فنحن بحمد الله دائما في الأهبة و الاستعداد له، وارتباط الصافنات الجياد، لإرهاب أعداء الله أهل الكفر والعناد**... »[1] وقد حملت السّفارة المغربية أيضا رد الاعتذار الذي أبداه والي الجزائر حسن باشا البندقي وقبطان البحر العلج علي، حيث جاء في رسالة المنصور الموجهة إليهما مايلي:

« **فأنهى إلينا تلقاه منكم وصحّت به روايته الثابتة عنكم، أن تحرككم ذلك على ما حكيتم، ما كان منكم لباعث نفسي ولا لغرض كان لكم فيه** ... »[2]، فالمتمعن في الرسائل المتبادلة بين المنصور والعثمانيين يصل إلى قناعة،أن السّياسة العثمانية في هذه الفترة كانت ترمي إلى بعث الطمأنينة في نفس المنصور، ومحاولة تبديد مخاوفه، وشكوكه، وعودة الصّفاء بين البلدين حتى يصرف النظر نهائيا عن وضع يده في يد الإسبان[3].

ب–أزمة فيقيق 992ه/1584م:

في سنة 992ه/1584م،حدثت مشكلة عكرت صفو العلاقات الجزائرية المغربية، وكادت تتسبب في أزمة ربما تتحول إلى قتال، ومفادها أن مدينة فيقيق التي تقع جنوب تلمسان،وأراضيها تقع في منطقة الحدود بين تلمسان وفاس، وهي مرتبطة بالجزائر منذ زمن قديم، كانت الجزائر تأخذ عنها الضّريبة، حينئذ أمر أحمد المنصور السّعدي بالإستلاء على منطقة فغيغ، وقام بقتل حاكمها المعين من طرف الجزائر،حينها احتج حسن باشا على هذا التّصرف، وطلب من المنصور إخلاء المدينة لكن هذا الأخير أجابه بقوله :

«**أن إستانبول تركتها لي**»[4]وحتى لا تتصاعد الأزمة كثيرا، راسل"حسن فنزيانو" الباب العالي يطلعه على هذه التطورات،فأصدر السّلطان العثماني أوامره لصالح الجزائر، برسالة جاء فيها:

---

[5]عبد كريم كريم:المرجع السابق، ص 112 .

[1]عبد الله كنون:**رسائل سعدية**، دار الطباعة المغربية،تطوان المغرب 1954، ص21.

[2] عبد الله كنون،المصدر السابق،ص 71.

[3] شوقي عطاالله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية،1977،ص185.

[4] عزيز سامح إلتر:المرجع السابق، ص 265.

«... **فيقيق كانت قديما تدار،الآن يجب أن تدار على نفس المنوال،ولا يحق لحاكم فاس التدخل فيها،إنّنا نأمرك بتطبيق ذلك ،وننبهك لكن لا تنسى،ولكي لا تمتلئ الصّدور بالحقد ويعم الفساد وتتحول الأزمة من جزئية إلى كلية ،عليك تدارك ذلك جيّدا،وإذا استدعى الأمر مما حدث شيء يتعارض وشرف وناموس السّلطنة العلية،فإنّك تتحمل كامل المسؤولية** »[5].

ت–سفارة أبي الحسن[1]التمكروتي1589م:

كلف أحمد المنصور الذهبي أبا الحسن علي بن محمد لتمكروتي رفقة محمد بن علي الفشتالي بحمل هديته وتبليغ رسالته إلى السّلطان العثماني مراد الثاني ،فغادر فاس متجها إلى تطوان التي انطلق منها في 1شوال 997هـ/13أوت 1589م فمر بوهران و مستغانم وتنس وشرشال والجزائر التي مكث بها أسبوعا[2]،ثم انطلق مارا بالعديد من المدن الساحلية و وصل إلى القسطنطينية يوم الثلاثاء 16محرم /25نوفمبر1589وأقام بها حوالي 8أشهر أدى في بدايتها مهمته السّفارية حيث استقبله السّلطان مراد الثالث وسلمه رسائل أحمد المنصور وهديته.لكن أبي الحسن علي بن محمد التمكروتي لم يكشف لنا عن طبيعة مهمته الدبلوماسية، ولم يذكرها في رحلته المسماة "**النفحة المسكية في السفارة التركية** "[3] والواقع أنّ التمكروتي لم يتحدث كثيرا في رحلته عن جوانب شخصيته،وإنما القارئ للرحلة يجد في نفسه انطباعا، أنّ التمكروتي كانت لديه صورة سلبية عن الأتراك العثمانيين، من باب المفاضلة بين الأشراف السّعديين، ومن هو أحق بالخلافة، وبين آل عثمان،ونستشف ذلك من الأوصاف التي وصفهم بها، عندما مرّ بطرابلس الغرب حيث يقول:

---

(5) ينظر نفس المرجع، ص266.وينظر نص الرسالة عند:مصطفى بنعلة: **مجموعة ظهائر ورسائل السّعديين**،مطبعة الرباط نيت، المغرب، جويلية 2011، ج1،ص123.

(1) أبو الحسن علي بن محمد التمكروتي:جغرافي ورحالة مغربي أصله من تمكروت،ولد في وادي درعة بمراكش عام 1520م وتوفي في مراكش سنة 1595م، ترأس سفارة المنصور للقسطنطينية ينظر عنه : ليفي بروفنصال: **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي،دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط،ص82. وينظر عنه كذلك، مصطفى الغاشي:"**صورة مغربية للإمبراطورية العثمانية خلال القرن السادس عشر،نموذج التمكروتي**"،في مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر،بيروت 1999م،عدد44،ص89.

(2)أمين توفيق الطيبي: **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**،شركة أوربيش للطباعة، طرابلس ليبيا،1997،ص 195.

(3) أبو الحسن علي بن محمد التمكروتي:**النفحة المسكية في السفارة التركية 1589**، تحقيق وتقديم محمد الصالحي،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي الإمارات،2007،ص97.

«**والترك جاروا على أهل تلك البلاد وأفسدوها وضيقوا على أهلها في أرضهم وديارهم وأموالهم حتى استباحوا حريم المسلمين وحتى أن بنت الإنسان من الأعيان والأكابر إذا كان لهم فيها غرض لا يقدر أحد أن يمنعها منهم...**» فاستطاع المغرب أن يقطع الطريق على المد التركي نحو التّوسع غربا على حساب المغرب [4].

ومما تقدم يمكن أنّ نقول:

– حاول العثمانيون ضم المغرب الأقصى لممتلكاتهم، لكن المنصور بفضل دهائه ومناوراته وربحه للوقت، إستطاع أن يفوّت الفرصة على الأتراك العثمانيين من تنفيد مشروعهم.

–تميزت علاقات أحمد المنصور مع الجزائر والدولة العثمانية بالسلم الحذر والمجاملة بين الطرفين.

– إنّ المنصور لم يكن راضيا على الوجود العثماني في شمال إفريقيا،لكن خشيته من قوة العثمانيين دفعت به إلى انتهاج سياسة المداراة حتى لايثير في الأتراك حماسة التوجه لضم المغرب وإعطائهم الذرائع لتحقيق أمنياتهم في ذلك.

–ابتعدت الدولة العثمانية على الضغط على المنصور حتى لايرتمي في أحضان الإسبان أعداء العثمانيين التقليديين.

–تبادل السّفارات الدبلوماسية بينه وبين الجزائر والدولة العثمانية كسفارةالشّاطبي والشّياظمي989هـ/1581م و سفارة أبي الحسن التمكروتي1589م

–رضي الأتراك العثمانيون في سياستهم التوسعية تجاه المغرب بالأمر الواقع، واقتنعوا بأن المغرب أصبح عصيا على الضم بسبب قوة المنصور العسكرية، وكذلك وجود القوة الإسبانية والإنجليزية التي تسعى أن تبعد المنصور بكل الوسائل عن دائرة السّياسة العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط،وأي ضغط عنيف عن المنصور ربما يتوجه في سياسته الخارجية إلى كل من إسبانيا وبريطانيا ويشكل خطرا عن المصالح العثمانية في الجزائر والخوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

---

[4] عبد الهادي التازي: "**سفارة إنطوني تشيرلي إلى المغرب وعلاقاتها بالتدخل الأوروبي في منطقة الخليج**"، في مجلة المناهل،تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، عدد 9، جويلية 1977م، ص 94.

المبحث الثالث:

مظاهر العلاقات السّياسيةوالدبلوماسية للمغرب مع فرنسا في عهد أحمد المنصور (1578م/1603م).

كانت الأوضاع في فرنسا سنة 1578م،مضطربة في الداخل، و على الصّعيد الأوروبي،الذي شهد تداعيات دعوة لوثر الدينية[1]إضافة إلى المنافسة الشّديدة بين الملك الفرنسي"فرنسوا الأوّل"والملك الإسباني "شارل الخامس"(1520م- 1558م) ،على تزعم العالم المسيحي،حيث اعتبر كل واحد منهما حاميا للكنيسة، مما أدّى بالأتراك إلى تقوية مركزهم، وتوسيع رقعة فتوحاتهم[2]،وبعدما انهزم "فرنسوا الأوّل" سنة 1525م في معركة بافيpavie [3] التي أسر فيها، وتمّ إطلاق سراحه فيما بعد،باشر اتصالاته مع السّلطان العثماني"سليمان القانوني"لعله ينجح في استمالة هذا الأخير إلى حلف ضد إسبانيا،ويمكن أن نقول:أن أوضاع فرنسا في هذه الحقبة اتصفت بمايلي:

---

[1]مصلح ديني مسيحي ألماني ثار على الكنيسة الكاثوليكية وهو مؤسس المذهب البروتستانتي ولد بمدينة إيسليبن بمقاطعة ساكس الألمانية سنة 1483م، وفي القرن السادس عشر رفع مارتن شعلة الإصلاح الديني ساعيا إلى تطهير المسيحية من العقائد غير أصلية فيها، ومنها فكرة صكوك الغفران، انتهت ثورته بصلح وستفاليا في عام 1648.ينظر أشرف صالح محمد سيد: **أصول التاريخ الأوروبي** ،ط1، دار واتا للنشر الرقمي، قطر 2009، ص 96.

[2] نفسه، ص159.

[3]العاصمة القديمة لمقاطعة لمبارديا،وقعت بها معركة في فيفري1525م، بين فرنسا واسبانيا، أسر فيها الملك فرنسوا الأول.

*-التقارب الفرنسي العثماني سنة943هـ/ 1536م.

*-الحرب الدينيةومذبحة بارثليميو في أوت 1572م.

أولا– التقارب الفرنسي العثماني:

أدّى الضغط الإسباني على الفرنسيين في الثلاث عقود الأولى من القرن السّادس عشر، إلى التّوجه صوب عدو المسيحيين الأوّل وهم الأتراك المسلمين،رغم المعارضة والرفض التي أبدتها الأوساط المسيحية ؛حيث عرض على الأتراك إقامة سلم دائم مع مختلف الأمراء المسيحيين،باستثناء "شارل الخامس"،الذي يجب توحيد الجهود ضده، ومن أبرز مظاهر هذا التقارب،معاهدة الامتياز التي أبرمت بين "فرنسوا الأول" والدولة العثمانية في سنة 1536م[1]، حيث جرى بموجبها تعيين قناصل فرنسيين في موانئ الشّام، وأعفي التّجار الفرنسيون من الخضوع للقانون العثماني،وطبق عليهم القانون الفرنسي،كما تمتعوا بتخفيضات جمركية، وحرية ممارسة التجارة،ومنحوا حق حراسة الأماكن المقدسة، بشرط أن يعامل رعايا السّلطان بالمثل،وفي سنة 1538م وقّع "فرنسوا الأوّل" مع "شارل الخامس" هدنة أطلق عليها هدنة "نيس" توسطت فيها الكنيسة، لحشد التأييد ضد العثمانيين،فوضعت حدا للصراع بين العدوين إلى حين،لكن سرعان ما تجددت العداوة بينهما بسبب منطقة الميلاني[2].

ثانيا– الحرب الدينية و مذبحة بارثليميو في أوت 1572م:

في النصف الثاني من القرن السادس عشر،شهدت فرنسا حالة من التوتر بسبب الحروب الدينية،التي اندلعت بين المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت، حيث تزايد أعداد البروتستانت في فرنسا مما أدخل البلاد في أتون حرب أهلية في الفترة ما بين 1526م وحتى ما بعد 1578م، وبحلول سنة 1572م،تعرض البروتستانت لمذبحة أمرت بها الملكة الفرنسية "كاترين دي مديتسي"(1519م–1589م) زوجة الملك "هنري الثاني"[3] ، ووالدة "فرنسوا الثاني"[4] ،عرفت هذه المذبحة لاحقا بمذبحة

---

[1] عائشة غطاس: **العلاقات الجزائرية الفرنسية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،معهد التاريخ، جامعة الجزائر1985/1984م،ص5.

[2] إسماعيل ياغي أحمد: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان،الرياض 1996،ص69.

[3] ملك فرنسا ولد في سان جرمان في 31 مارس 1519 م وتوفي في 10جويلية 1559م، الابن الثاني للملك فرنسوا الأول، حكم فرنسا من 1547م إلى 1559م .

"القديس بارثليميو" أو "يوم سان بارثليميو"*(saint bartholomèus*) ،ففي الرابع والعشرين من شهر أوت سنة 1572م ،قتل الآلاف من البروتستانت قدرتها المصادر الأوروبية من 20000 إلى30000 قتيل، في حفل زفاف الأميرة "مارجريت" *(Marguerite*)، ابنة الملك هنري الثالث[5]على هنري ملك نافار*(Navarre*) البروتستانتي، وقد استمرت المجزرة ثلاثة أيام،وقد استقبل الكاثوليك أنباءها بالأفراح،حتى أنّ البابوية صلت صلاة الشّكر[6].

رابعا – علاقات فرنسا مع المغرب بعد سنة 1578م:

لم تكتس علاقات فرنسا مع المغرب في عهد المنصور صفة الدبلوماسية على الدوام، فقد تناولت تبادل الأسرى، أو استخدام بعض الفرنسيين كفنيين[1]وإن كان التواجد القنصلي لفرنسا في المغرب يعود إلى سنة985هـ/ 1577م ،كأطباءحينما أرسل الطبيب كيوم بيرار(Guillaume Bérard) الذي كان يعالج الأمير عبد الملك السّعدي أثناء وجوده في القسطنطينية،حيث قام بدور كبير في خدمة بلده دبلوماسيا، بالرغم من أنه غير محترف للدبلوماسية،و استمر في صلته بالبلاط السّعدي حتى أيام المنصور[2]،والواقع أن السّعديين عمدوا على تطوير علاقاتهم التّجارية مع فرنسا مع أوائل السّعديين،حتى ذهب السّلطان عبد الله الغالب في علاقاته مع فرنسا إلى حد التنازل عن بلدة القصر الصغير– تقع على مقربة من مضيق جبل طارق – "لأنطوان دوبرمون" لأجل إقامة سوق أسبوعية[3].

أ-رسالة هنري الثالث للمنصور في 16جويلية 1579م:

كلف الملك الفرنسي هنري الثالث (*HenryIII*) قنصله بالمغرب كيوم بيرار(*Guillaume Bérard)* بتاريخ 21جمادى الأولى 987هـ الموافق لـ 16جويلية 1579م ،بتقديم تهاني فرنسا لأحمد المنصو، مذكرا إياه بالعلاقات الطيبة التي كانت بينه وبين أخيه المولى عبد الملك ومضيفا لهذه

---

[4]ولد في يناير 1544م وتوفي في 5 ديسمبر 1560م، ابن هنري الثاني، وكاترين ميديسي، حكم فرنسا من 1559م إلى 1560م.ينظر عبد الفتاح حسن أبوعليه وإسماعيل ياغي:**تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**،دارالمري للنشر، الرياض1985م،ص187.

[5] "هنري الثالث " تولى الحكم من 1574م إلى 1589م، أظهر ميلا للبروتستنتية، تمّ اغتياله سنة 1589 م .

[6]عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل ياغي: المرجع السابق، ص 190.

[1]إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ،**ص345.

[2]عبد الهادي التازي: المرجع السابق،مج7، ص 173.

[3]*Henry de Castries:Op.cit., T1, France, p174.*

[4] *Henry deCastries:Op.Cit, T2, France, p22.*

العواطف رجاء فرنسا في أن يأذن سلطان المغرب لمراكب فرنسا بالدخول للموانئ المغربية،وبأن يعمل على تحرير ما يوجد من أسرى فرنسيين بالمملكة، وأن يسمح لها بتصدير أربعين ألف قنطار من الرزينة (*Rosette*) لاستعمالها في الأصباغ،وبتصدير 25ألف قنطار من ملح البارود،ويطلب من سفيره أن يبذل جهدا عند المنصور لأجل الحصول على قرض بمبلغ 150ألف دينار، يسلفها ملك المغرب إلى ملك فرنسا[4].

فقد ذكر الفشتالي بشأن هذه السّفارة ما نصّه:

« **وكان ممن وصل أيضا على تفئة ذلك عامئذ إرسال طاغية الإفرنج، ويقال فرنسا،وبه يعرفون اليوم، فقضوا فرض التهنئة، واقتفوا سنن غيرهم من إرسال ملوك الأرض...** »[1] .

فهو يشير إلى وفد السفارة الفرنسية وقد سمّاهم الفشتالي بالإفرنج عندما قدموا إلى زيارة المنصور لتهنئته بالنصر وتقديم الهدية.

ب-التماس الإفراج عن البحارة الفرنسيين:

بعث هنري الثالث برسالة إلى المنصور مؤرخة في 21فيفري 1588م يطلب فيها التماس إطلاق سراح البحارة الفرنسيين التابعين للسفينة لالوف (*la lauve*) الذين وقعوا في أسر البحارة المغاربة على مقربة من مدينة أصيلا وأرسلوا للاسترقاق في مراكش، ويذكره بالاتفاقية الودية المعقودة بين الطرفين،استجاب المنصور لمطلب الملك هنري عندما حصل بالمقابل على تحرير عددا من الأسرى المغاربة كانوا رقيقا بفرنسا ،ولتمتين العلاقات الودية بين المنصور وهنري بعث الملك الفرنسي بالطبيب المستعرب أرنول دولسيل(*A.delisle*) والذي قضى بضع سنوات قبل أن يعود لفرنسا لتدريس اللغة العربية ،ثم أرسل الطبيب آخر هو إتيان هبير (*EtienneHubert*)[2]، وفي 19سبتمبر 1591م أصدر البرلمان الفرنسي قرارا بتعيين فورنيي (*Fournier*) قنصلا لفرنسا بالمغرب وألتحق بفاس ودامت مهمته الدبلوماسية 17سنة ليستغنى عن خدماته في 06-10-1608م[3].

وينظر كذلك : *J.Oelerier: **le Maroc ,pays du Sucre ,de L Or**, , in Revue France-Maroc,7Année ,N^{O} $_{79JUIN}$,1923, Cassablanca,Maroc,p113.*

[1] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 51.

[2] *Henry de Castries:Op.cit, T3, France, p756.*

[3] *Henry de Castries:Op.cit, T1, France, p248.*

ومما تقدم يمكن القول:

- أنّ المنصور ارتبط في بداية حكمه بعلاقات ودية مع إسبانيا ولم يواجهها عسكريا بالرغم من أن إسبانيا تحتل أجزاء من المغرب، بسبب أن المنصور كان ينظر للإسبان كصمام أمان للمغرب في حالة ما إذا طمع الأتراك العثمانيون في ضم المغرب بالقوة فكان يهدد الأتراك بالتحالف معهم وهذا ما كان الأتراك العثمانيون يخشونه ،فالمنصور كا يجيد لعبة التوازنات الإقليمية ويستثمر العداء العثماني الإسباني الإنجليزي لصالحه.

-إنّ علاقات المغرب السّياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية، تكتسي أهمية خاصة لكون المغرب البلد الوحيد تقريبا من العالم العربي الذي أفلت من الخضوع المباشر للإمبراطورية العثمانية،كما كان المغرب يمثل مسرحا للصراع بين المسيحية وعلى رأسها إسبانيا والإسلام الذي ترفع لواءه الدولة العثمانية، هذا الصراع الذي كان أساسه مد النفوذ والسّيطرة على غرب المتوسط والسواحل الغربية للأطلسي.

-إنّ السّلطان العثماني مراد الثالث اقترح عقد تحالف مغربي عثماني ضد الأسبان، وعرض على السّلطان المغربي إمداده بأسطول عظيم ،يستعين به في إعادة فتح الأندلس لكن لم يتضح موقف المنصور من العرض العثماني ربما بسبب تخوفه من الإسبان .

-في البدايات الأولى من حكم المنصور كان السّلطان العثماني يعتبر المنصور تابعا له حيث يستشف هذا الأمر من الرسالة التي بعثها السّلطان العثماني مع السّفارة الفاسية والتي جاء فيها:« **لذلك قررنا منحك حق الحكم ولمن سيأتي من نسلك جيلا بعد جيل** ... »[1].كان القائد العثماني العلج علي في ذلك الوقت يتحين الفرصة لتحقيق حلمه الذي كان يراوده في ضم المغرب لممتلكات الدولة العثمانية

ينظر كذلك *leRoger Fourneau et Pierre Grillon:*

Un charge d affaire au Maroc la correspondance du consul louis Chénier
in révue R.O.M.M ,$N^{O}{}_{9}$, 1917, pp 228-232.

[1] خاليد فؤاد طحطح : "**العلاقات العثمانية المغربية خلال العصر الحديث**"، في دورية كان التاريخية،سبتمبر 2011، عدد 14، ص ص 107-108.

-قبول العثمانيين بالأمر الواقع وفهمهم من أن الضغط المتزايد على المنصور ربما يرميه في أحضان عدوهم اللدود إسبانيا،وعلى إثر ذلك صفا الجو بين البلدين ومال السّلطان العثماني إلى سياسة المهادنة بينه وبين المنصور .

-تعد السّفارات والرسائل السّعدية إلى العثمانيين دليلا قاطعا على بداية حقبة جديدة في العلاقات السّياسية والدبلوماسية بين البلدين ، وتبددت نوعا ما مخاوف المنصور من جيرانه العثمانيين[2].

-فرنسا في عهد أحمد المنصور لم ترتبط بعلاقات دبلوماسية قوية مع المغرب على غرار ما فعلت كل من بريطانيا و إسبانيا و العثمانيين ،وإنما كانت علاقاتها مع المغرب يغلب عليها الطابع التجاري أو قضـايا الأسـرى لكـون فرنسـا في هـذه الفـترة كانـت منشـغلة بمشـاكلها الداخليـة.

---

[2] أحمد سالم علي:"**العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر**"، في دورية كان التاريخية،سبتمبر 2011، عدد 13، ص 53.

الفصل الرابع

مظاهر علاقات المغرب السياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط في عهد مولاي إسماعيل1672م–1727م

المبحث الأول:

مظاهرالعلاقات السياسية والدبلوماسية المغربية في عهد مولاي إسماعيل العلوي مع إسبانيا 1672م–1727م

المبحث الثاني:

مظاهر العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا في عهد السلطان المولى إسماعيل 1672م–1727م

المبحث الثالث:

مظاهر العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب الجزائر في عهد السلطان المولى إسماعيل 1672م–1727م

تمهيد

وصل المولى إسماعيل إلى حكم المغرب في ظروف سياسية صعبة، بسبب ما خلفه التنافس على الحكم بين أخويه المولى محمد والمولى الرشيد من آثار سياسية، وكذا صراع الدلائيين وتمردهم على السّلطة القائمة، فاستطاع أن يلملم شتات المغرب، ويقضي على التمردات ويرتب البيت الداخلي لسلطنته، ويبني علاقات سياسية ودبلوماسية متميزة مع معاصريه من الحكام فماهي مظاهر علاقاته السياسية والدبلوماسية مع كل من إسبانيا وفرنسا والجزائر؟

المبحث الأول:

العلاقات السّياسية والدبلوماسية المغربية في عهد مولاي إسماعيل العلوي مع إسبانيا

ارتبط المغرب الأقصى مع إسبانيا في عهد المولى إسماعيل بعلاقات سياسية ودبلوماسية متشعبة فما هي مظاهر هذه العلاقات مع إسبانيا؟

1-علاقات الصّراع والتوتر الدبلوماسي:

اعتلى السّلطان مولاي إسماعيل عرش المغرب،بعد أن وطّد لنفسه الملك، بالقضاء على المناوئين له، إلا أن المغرب مازال يهدده الخطر الإسباني، الذي يحتل أجزاء هامة منه مما دفع بالسّلطان مولاي إسماعيل إلى انتهاج سياسة المواجهة والصّدام لتحرير المدن المحتلة .

أ-تحرير الثغور المحتلة:

-تحرير المعمورة(المهدية)أفريل1681م:

استولت إسبانيا على المعمورة (المهدية)سنة 1614م،وهي تبعد بمسافة خمسة وأربعين كيلومترا إلى الشّمال من سلا،وقد اتخذ المولى إسماعيل لنفسه سياسة القوة لتحرير الثغور المحتلة من الأجانب[1]، ولا شك أن مجهودات مولاي إسماعيل في هذا الاتجاه كبيرة،فقد تمّ تحرير ثغر المهدية يوم 15ربيع الثاني من عام 1092هـ الموافق لـ أفريل 1681 م،و بعد معارك ضارية وصلت البشرى للمولى إسماعيل بالفتح ،ويقال أنّه أعطى للجندي الذي أبلغه الخبر السّار مائة قطعة من الذهب[2].

-حصار طنجة وتحريرها 1095هـ/1684م:

استولى الإنجليز على طنجة بعدما استخلصوها من البرتغاليين سنة1072هـ/ 1662م، وبقيت في أيديهم إلى سنة 1095هـ/1684م، حينذاك وجه إليها مولاي إسماعيل قوة عسكرية تحت قيادة أبي الحسن علي بن عبد الله الريفي فحاصرها لمدة ست سنوات[3] قال الناصري في الاستقصاء:

«قد تقدم لنا أنّ طنجة صارت إلى جنس الإنجليز من يد البرتغال ...فعقد السّلطان المولى إسماعيل رحمه الله للقائد أبي الحسن بن عبد الله الريفي على جيش المسلمين ووجهوا لحصار طنجة فضيقوا على ما بها من النصارى وطلولهم إلى أن ركبوا سفنهم وهربوا في البحر

---

(1) أحمد سالم علي: المرجع السابق ،ص 25.

(2) نفس المرجع.

(3)*Publies par la direction des affaires indigènes et du service des renseignements (section sociologique) : **villes et tribus du Maroc** ,V Vll ,édition Ernest Leroux , Paris , pp 82-84.*

و تركوها خاوية...»[1]، وقد ذكر الضعيف الرباطي في تاريخه ما نصه:« **في أول ربيع النبوي أخذت طنجة من يد النصارى عفوا للمسلمين– يقصد عنوة– تركها النصارى بعد أن هدموا دورها وهربوا عنها وكان أخذها على يد القائد علي بن عبد الله،يوم الجمعة أول يوم من ربيع الثاني عام 1095هـ/ 1684م**»[2]،فالضعيف الرباطي يصف لنا فتح المغاربة لمدينة طنجة وكيف تخلى عنها الإنجليز دون مقاومة تذكر.

-فتح مدينة العرايش18محرم 1101هـ/1690م:

إذا كان المولى إسماعيل قد تمكن بعد عمليات عسكرية ناجحة شنها على خصومه والتي مكنته من السّيطرة على الجزء الأوسط من سلطنته، فقد كان عليه أن يسرع بإخضاع بقية الأقاليم المغربية وأن يعمل على تحرير ثغور المغرب من الحكم الأجنبي، خاصة وأن القوات الإنجليزية كانت تحتل طنجة كما أن القوات الإسبانية تحتل سبتة ومليلة والمهدية والمعمورة والعرايش وأصيلة، وكان وجود هذه القوات الأجنبية على أرض الإسلام وصمة عار للمغاربة وكذلك للمولى إسماعيل نفسه[3]ولأهمية مدينة العرايش بالنسبة لإسبانيا، فقد نجحت في احتلالها بعد وفاة المنصور سنة 1610م وتمكنت من هذه المدينة الإستراتيجية التي كانت تعتبرها تساوي إفريقيا برمتها[4]،وفي ذلك قال الناصري:« **ومن ذلك مدينة العرايش فإن النصارى استولوا عليها من يد السلطان محمد الشيخ بن المنصور الذهبي ولم يزالوا بها إلى أن أخرجهم مولاي إسماعيل رحمه الله فبعث لها جيوشه وحاصروهم نحو ثلاثة أشهر ونصف ثم منّ الله عليه بفتحها بعد معاناة شديدة وحصار ومقاتلات عديدة وذلك أنهم حفروا حفائروشحنوها بالبارود فوقعت ملحمة عظيمة ثم فرّ الكفار للبساتين وأقاموا بها يوما وليلة فدخلهم الخوف فخرجوا منها صاغرين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين...**»[5]،وقد ذكر محمد بن العياشي عن هذا التحرير مايلي:«**قتل بها من النصارى اثنى عشر مائة وأسر منهم ألفان...**»[6].،فاسترجاع المولى إسماعيل لمدينة العرايش يعدّ

---

[1] ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص 67.

[2] ينظر محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق، ص67.

[3] جلال يحي: المرجع السابق،ص 14.

[4] *Jehanne Marie gandin* ***:****Opcit, p 71.*

[5]محمد داود:**تاريخ تطوان**،تقديم محمد بنونة،معهد مولاي الحسن،1959م،المغرب،مج1،ص258.

[6] محمد بن العياشي المكناسي:**زهر البستان في نسب أخوال سيدنا ومولانا زيدان**،تحقيق ودراسة أحمد قدور،مطابع الرباط نت ،2013،ص 133.

إنجازا كبيرا له على الصّعيد العسكري، لأنّ هذه المدينة تعتبر مدينة إستراتيجية للإسبان، وقد حاولوا الإستيلاء عنها في عهد المولى أحمد المنصور ولم يفلحوا في ذلك،لكن في سنة 1610م تمكن الإسبان من السّيطرة عليها بتواطؤ من ابنه محمد الشيخ .

-تحرير أصيلا 1102هـ/1690م:

احتل البرتغاليون أصيلا سنة 876هـ/1471 م وعن ذلك قال الناصري:

«لما فرغ المجاهدون من أمر العرايش عمدوا إلى أصيلا،وحاصروا النصارى الذين هم بها سنة كاملة وأظنهم الإصبنيول،إلى أن بلغ بهم الحصار كل مبلغ،فطلبوا الأمان وركبوا من الليل سفنهم ونجوا إلى بلادهم،ودخل المسلمون المدينة فملكوها وذلك سنة 1102هـ/1691م»[1].

– حصار سبتة 1694/1695م:

احتلت المدينة يوم الخميس 15 جمادى الثانية سنة 818 هـ/21 أوت 1415 م حين دهمها الملك البرتغالي جان الأوّل بجيش ضخم [2]،فكانت بذلك أوّل أرض تستعمر في المغرب،وقد أظهر المو إسماعيل رغبة قوية، وطموحا كبيرا في تحرير مدينة سبتة من قبضة الأسبان،فقام بالتعبئة العامة في البلاد وكوّن جيشا خاصا لهذه المهمة،بلغ عدد أفراده خمسة وعشرين ألف مقاتل[3]، وبدأ حصاره لها سنة 1694م و1695م،ولم يكف السّلطان في محاولاته إلى حين وفاته .

---

[1] ينظر أبا العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص 77.

[2] بخصوص إحتلال سبتة ينظر. *Le Bonéd de Septenville* :***Expédition de Ceuta en 1415:fastes Militaires et Maritimes du Portugal***, *librairie générale ,Paris ,1879,p 140*.

[3] وينظر حصار سبتة *Chantal de la Véronne* :***Sources Européenne du L histoire du Maghreb***,*in Philologique Annuaire ,1967.1968 , Année 1968,pp 509,510.*

ب- القرصنة [1]والجهاد البحري :

استمر التوتر بين المغرب وإسبانيا،في عهد مولاي إسماعيل على أشده،وتحوّل في كثير من الأحيان إلى صدام مسلح، بسبب حركة استرداد الثغور التي انتهجها مولاي إسماعيل ضد إسبانيا في كل من العرايش والمعمورة وسبتة واشتداد عمليات الجهاد البحري،أو القرصنةبين الطرفين.

فكان المحيط الأطلسي مسرحا لها[2]باعتبار أن البحر الأبيض المتوسط كان تحت الهيمنة العثمانية،وأنّ الجهة الغربية كانت أقل ضغطا[3]خاصة وأنّ إمكانية التحالف العسكري بين الأتراك العثمانيين في شمال إفريقيا، ومولاي إسماعيل كانت بعيدة المنال،فقد استطاعت المراكب الجهادية التي تجعل كلا من سلا والرباط منطلقا لها مكونة جمهورية مصب أبي رقراق،تحقيق انتصارات كبيرة على السّفن المسيحية عامة، والإسبانية خاصة وقد أوضح محمد حجي أن القرصنة السلاوية بالمعنى العربي لكلمة قرصنة،لا ينسجم مع الدلالة التي تمنحها إياه اللغات الأجنبية، فالقراصنة السّلاويون هم أولائك المجاهدون الأندلسيون، والمغاربة، الذين خاضوا بسفنهم عباب البحر للدفاع عن حوزة الوطن أو للثأر من الإسبانيين، الذين ساموا المسلمين في الأندلس سوء العذاب، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق[4].ويمكن أن نرجع سبب القرصنة المغربية إلى عاملين أساسيين هما:

-الفارق الحضاري الناتج عن الاختلال في التوازن الاقتصادي، بين أوروبا والعالم الإسلامي، وانعدام

---

[1]مصطلح أطلق على العمليات العسكرية في البحر،التي كان البحارة المسلمون يشنونها على الأساطيل المسيحية،كردة فعل على غاراتهم على بلاد المسلمين،وبسبب الاضطهاد الذي تعرض له أهل الأندلس،وبالمفهوم الإسلامي فهي حرب مشروعة للمسلمين للدفاع عن دينهم ووجودهم وقد اصطلح عليها بالجهاد البحري،الذي مكّن للمسلمين آنذاك موارد اقتصادية هامة ،عرفت بعائدات البحر، ويعتبر الإخوة برباروس وبعض رياس البحر المحليين،رواد الجهاد البحري في بداية القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي،الذين استطاعوا بغاراتهم لجم التوسع الإيبيري في المنطقة وقد عرّف جون ولف القرصان بقوله: "إن القرصان هو الذي كان حرا في النهب ولا يعترف بأية سلطة فوق إرادته الخاصة،فقد كان يهجم دون تمييز سفن أية دولة وكان هدفه الوحيد هو النهب "ينظر ،جون ولف بابتيست:**الجزائر وأروبا (1500–1830)**،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ،طبعة خاصة،دار عالم المعرفة،الجزائر،2011، ص 179.

[2]حسن أملي:**الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر**،ط1،دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الرباط،2006،ص63.

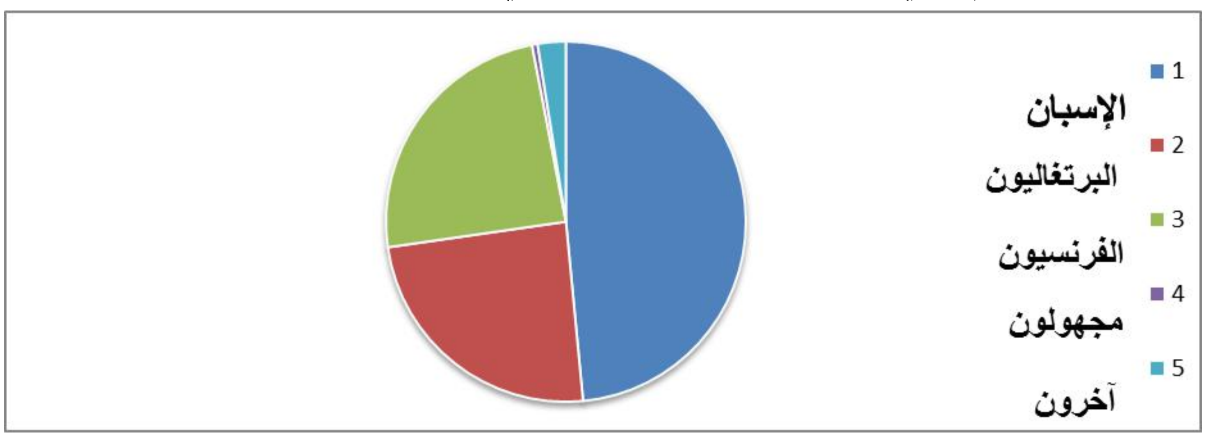
[3]إبراهيم حركات:**السياسة والمجتمع في العهد السعدي**،ص ص 117 ،118.

[4]*Leila Meziane: l**és Captifs Européens en terre Marocaine au XVII et XVIII siècle**, in cahiers de la Méditerranée ,vol 65, Année 2002,pp311,327.*

أسطول تجاري،فضلا عن الحصار المضروب على المغرب خاصة في تجارته مع أوروبا[1].

-العامل النفسي الذي جعل الموريسكيين يلعبون دورا أساسيا في حركة الجهاد البحري[2]وكان من نتائجها أن ذكر الأب لويس دوسان أوغست (*luis de San Augustin*)الذي كان يطبب الأسرى ويشرف عن افتدائهم، أن ما بين سنة 1672م و1676م كان عدد الأسرى المسيحيين قد بلغ ألفا ومائتين أسير (1200) حيث يوجد في مراكش مائتان أسير(200) وفي فاس خمسمائة أسير (500)،وفي سلا نحو ثلاثمائة أسير (300) وفي سنة 1672م أحصى الأب جوان دال بيرتو(*Juan delpuerto*)أن في مصب أبي رقراق حوالي مائتين وخمسين أسير، وفي سنة1684وحسب شهادةأحد الأسرى في مكناس أن عدد الأسرى الأسبان بلغ خمسمائة أسير.

رسم بياني للأسرى الأسبان والأوربيين في فترة مولاي إسماعيل[3].



الأصل	العدد	النسبة
الأسبان	400	%49
البرتغاليون	200	%24
الفرنسيون	200	%24
آخرون	20	% 3
المجموع	820	% 100 [4].

(1) *Ibid,p311.*
(2) *Ibid.*
(3) *Ibid,p 312.*
(4) *Ibid,pp312,313*

ومع كل مابذله المولى إسماعيل من جهود في الجهاد إلاّ أنّ "الشّيخ البوسي"، لم يكن راضيا تمام الرضى على تغلغل الجهاد في نفوس المغاربة، حيث يقول مانصه:«**وقد حضرت بمدينة تطاوين أيام مولانا الرشيد رحمه الله،فكانوا إذا سمعوا الصّريخ تهتز الأرض خيلا ورماة وقد بلغني اليوم أنّهم سمعوا صريخا جانب البحر ذات يوم فخرجوا يسعون على أرجلهم وبأيديهم العصي والمقاليع**[...] **فعلى سيدنا أن يتفق مع السّواحل كلها ويحرضهم على الجهاد والحراسة، بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم**...»[1].فالنص يبيّن أنّ روح الجهاد والدفاع عن الأرض ومقومات المسلمين باتت ضعيفة في نفوس المغاربة وأنهم أصبحوا لايلبون نداء الجهاد وصاروا يتخاذلون في نصرة المظلومين وهذا ما لم يكن في أيام المولى الرشيد ويلوم الشيخ البوسي السلطان المولى إسماعيل تلميحا لاتصريحا بأنّ يبذل جهدا في حشد العزائم وإحياء فريضة الجهاد في نفوس المغاربة حتى يستطيعوا رد النصارى عن الثغور.

ت- الأسرى المغاربة في إسبانيا في عهد المولى إسماعيل:

يبدو أنّ المعلومات عن الأسرى المغاربة في البلاد الأوروبية عامة وإسبانيا خاصة قليلة، ولم تتطرق إليها المصادر المحلية أو الأجنبية كثيرا ،ولاشك أن المعاملة القاسية التي كان يتلقاها الأسرى كانت تصل إلى المغرب بطرق مختلفة[2]،مما أدّى بالمولى إسماعيل أن يكاتب الملك الإسباني كارلوص الثاني بخصوصهم، فقد ذكر الغساني في رحلته إلى إسبانيا بعض ما شاهده عن الأسرى في مدريد بقوله:«**فلقينا من بها من الأسرى وهم فرحون مسرورون معلنون بلفظ الشهادة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء بالنصر لسيدنا المنصور بالله تعالى**»[3]فيظيف الغساني في هذا النص أن الأسرى المغاربة في إسبانيا متمسكون بدينهم بالرغم من محاولات الكنيسة إجبارهم على تخليهم عن الدين الإسلامي .

2-علاقات السّلم والهدوء الدبلوماسي:

---

[1]ينظر نص الرسالة عند، أبي عبد الله سيدي محمد المهدي بن محمد بن محمد بن الخضر الوزاني الشريف العمراني الحسني: **النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية** ،4مج،مطبعة فضالة المحمدية المغرب 1992،مج1،ص ص 406، 407،408، 409.

[2]محمد الغساني الأندلسي:**رحلة الوزير في إفتكاك الأسير**، تحقيق نوري الجراح،ط 1،دارالسويدي،أبو ظبي 2002،ص 67.

[3]حسن السايح: "**الدبلوماسية الإسماعيلية**"،في مجلة دعوة الحق المغربية،عدد خاص ،مارس 1974 م،ص 186.

زاوج المولى إسماعيل في علاقاته الخارجية مع إسبانيا، بين سياسة القوّة ،التي انتهجها معهافي تحريره للثغور المحتلة، وبين الدبلوماسية الهادئة،في مفاوضاته معها،بخصوص قضايا القرصنة،والأسرى وقد تبلورت هذه الدبلوماسية في تبادل السّفارات بين البلدين :

1- تبادل السّفارات الدبلوماسية:

أ- سفارتا مانويل فييرا دي ليقو(*Manuel viera delugo*) 1690م:

انهزم الأسبان في العرايش، وتكبدوا خسائر جسيمة في الأرواح،كما وقع الكثير من قادتهم العسكريين في الأسر، مما دفع بالملك الإسباني كارلوص الثاني،أن يوجه وفدا سفاريا بقيادة مانويل فييرا دي ليقو(*Manuel viera de lugo*) للتفاوض مع مولاي إسماعيل في قضية الأسرى،وإيجاد السّبيل لإطلاق سراحهم[1].

أ- سفارة الغساني إلى اسبانيا سنة 1690 م/1691م:

بعث مولاي إسماعيل سفيره محمد بن عبد الوهاب الغساني[2]،إلى الملك الإسباني كارلوص الثاني سنة 1102هـ/1690-1691م في مهمة دبلوماسية دوّن الغساني أخبارها،في رحلته الموسومة بـ رحلة الوزير في إفتكاك الأسير[3]وعن مهمته الدبلوماسية هذه، ذكر الغساني مانصه[4]:

«وكانت همته مصروفة لفكاك الأسرى،لاستخراجهم بيد من كانوا في يده،من النصارى ليغتنم ثواب فكاك الأسير ويفوز بما ورد في ذلك،عن الرسول البشيروكنت ممن أمّن الله عليه لخدمة

---

[1] لطفي عبد البديع:"**وثيقة مراكشية بالإسبانية**"،في مجلة معهد المخطوطات العربية،مج 3،جامعة الدول العربية،الإسكندرية مصر،ماي 1957،ج1،ص324.

[2]ولد أبو عبد الله محمد بن عثمان المكناسي بمدينة مكناس في أواسط القرن 12هـ/18م،كان أبوه واعظا في أحد مساجد مكناس،بعثه مولاي إسماعيل في مهمة دبلوماسية لإسبانيا،يرجح المؤرخ بن زيدان أن وفاته كانت سنة 1212هـ/1798م بسبب وباء الطاعون، للمزيد أكثر ينظر محمد الفاسي:" **الكاتب الوزير محمد بن عثمان المكناسي**" في مجلة معهد المخطوطات العربية،جامعة الدول العربية ،جمادى الأولى 1371هـ، مج 7،ج2،نوفمبر 1961م، ص ص45، 72.

[3] قال الإمام مالك رضي الله عنه :« **واجب على الناس أن يفدوا الأسرى بجميع أموالهم وهذا لا خلاف فيه لقوله صلى الله عليه وسلم:"فكّوا العاني أي الأسير** " ينظر أبو عبد الله القرطبي:**الجامع لأحكام القرآن**،تحقيق عبد الرزاق المهدي،ط 1،دار الكتاب العربي،بيروت1434 هـ،/2013،ج 5،ص 268.

[4]عبد الهادي التازي:المرجع السابق،مج9، ص 108.

بابه وتفضل عليه بالانحياز لجنابه، وجّهني أدام الله علاه لبلاد الروم الآتية، بمن هناك من أسرى الإسلام، وأبحث في الخزائن الأندلسية،عما أبقاه المسلمون هناك من كتب الأحكام،ليكون مع هدام مجده كفل من الثواب»[1]كان المولى إسماعيل قد طلب من سفيره،العمل على جلب الكتب المأسورة في الإسكوريال وإطلاق سراح الأسرى وقد عبّر الغساني عن ذلك بقوله:«**فلما عجم الكتاب ورأى ما فيه،وما أشار به أمير المؤمنين أيده الله من إعطاء خمسة آلاف كتاب و خمسمائة أسير،ثقلت عليه الوطأة العلوية ولم يدركيف يتلقى هذه الإشارة[...]وقعت المشورة مع أهل ديوانه فتشاوروا في ذلك أياما طويلة... »**[2].

تحدث المولى إسماعيل في الرسالة التي حملها "الغساني" "لكارلوص الثاني" بنبرة قوية،تنم على أنّه كان في مركز قوّة حيث يقول مانصه:« **إنّ المائة من الأسرى،الذين كنا أعطينا الوعد بتسريحهم،قاموا بأعمال استفزازية،الأمر الذي أثار احتجاج رجال الدين،وعلماء الشّريعة،الذين يرون أنّ هؤلاء الأسرى أُخذوا بالسّيف،ولذلك فلا وجه لإطلاق سراحهم،بدون عوض...»**[3].

ث –بعثات الافتداء الإسبانية إلى المغرب :

لقد تعدى العمل القرصني مطاردة السّفن وأسر ركابها،إلى القيام بغارات ضد سواحل الخصم،مما جعل أعداد الأسرى يرتفع إلى عشرات الآلاف،سواء بالجهة الإسلامية أو الجهة المسيحية، وأصبح هؤلاء الأسرى،يباعون في الأسواق التي اشتهرت بهذا النّشاط كأسواق إسطنبول أو أسواق الإسكندرية والقاهرة و طرابلس و تونس و الجزائر وتطوان وفاس ومراكش وسلا،كما كانوا يباعون

---

(1) محمد الغساني الأندلسي:المصدر السابق،ص 26.وينظر عن هذه السّفارة *Saloua el Aoufir: **Al Ghassani dans l Espagne du XVII ,**in revue Zamane,Juin 2011,pp 68,69.*

(2) محمد الغساني الأندلسي:المصدر السابق،ص 84.

(3) عن هذه الرسالة ومضمونها ينظر، عبد الهادي التازي:المرجع السابق،مج9، ص 108.

في الأسواق المسيحية،كالبندقية و جنوة ومالقة وبلنسيا وإشبيلية و لشبونة،وازدهرت التّجارة بالإنسان الذي صار يُباع ويشترى كأيٍّ سلعة أخرى.

وقد نتج عن هذا التحرك، بعثات دينية مسيحية نحو المغرب من أجل إفتكاك الأسرى الأسبان، الذين تزايد عددهم بعد تحرير الثغور المغربية المحتلة من طرف الأسبان[1]ومن الملاحظ أن هذه البعثات التي انتقلت إلى شمال إفريقيا، ومنها إلى المغرب، كانت تتكون من ثلاث مجموعات دينية[2] وهي:

أ-مجموعة الثالوث المقدس(*Trinitaires*):

تنسب هذه المجموعة إلى أخوية (***la sainte trinité***)،تأسست سنة 1198م على يد كل من سان خوان (*San Juan de mata*)وخوان فيليبي فلوا .

ب-المجموعة الثانية المرسدير (*Mercédaires*):وينتسبون إلى أخوية السيدة الرحيمة (*Notre dame de la merci*) وقد تم تأسيسها بغرناطة حوالي سنة 1218م.

ج-المجموعة الثالثةالفرنسيسكان(*Franciscaines*):وقد أسسها سان فرانسواداسيز (***François d` Assise Saint***) سنة 1209م،وقد كانت حركة هذه المجموعات نشر المسيحية بين الكفار المسلمين(حسب زعمهم)[3]،لقد تعددت الأدوار التي لعبها رجال البعثات الدينية الاسبانية بالإضافة إلى افتكاك الأسرى الاسبان من يد المغاربة ؛فإنهم قاموا بدور التبشير وسط الأسرى والجاليات المسيحية،كما اهتموا بالرعاية الصحية لهم، هذا فضلا عن لعب بعضهم لأدوار مهمة على الصّعيد الدبلوماسي في توثيق الصّلات بين المغرب و إسبانيا [4]،و بخصوص الرحلات التي نظمها هؤلاء إلى المغرب نذكر رحلة مجموعة المرسدير (*Mercédaires*)سنة 1674م إلى تطوان، و تمكنوا من الإفراج عن 128 أسير إسباني، وفي سنة 1676م نظموا رحلة لنفس الغرض إلى

---

[1] عبد الحي بنيس:"**البعثات الدينية الإسبانية إلى المغرب ومسألة الأسرى خلال النصف الثاني من القرن 17م**"،في مجلة البحث العلمي،جامعة محمد الخامس،المعهد الجامعي للبحث العلمي،عدد 45،الرباط 1998، ص 98.

[2] نفس المرجع، ص 98.وينظر عن هذه البعثات الدينية . André Vovard :**En Espagne au XVIII siècle** ,in Bulletin Hispanique ,T48,N^{O}_{4},France1946,PP365,369.

[3] عبدالحي بنيس:المرجع السابق، ص 98 .

[4] نفس المرجع،ص ص 104-107 .

مكناس،ولم تشر المصادر إلى عدد الأسرى المفرج عنهم[5]،وفي جويلية من سنة 1692م تمكنت مجموعة الفرنسيسكان(*Franciscaines*)التي حلّت بمكناس من الإفراج عن 123 أسير، وفي شهر أفريل من السنة الموالية تمّ تحرير مجموعة أخرى لم تحدد المصادر عددها،إن كثرة تردد بعض رجال الدين الإسبان على المغرب من أجل تحرير أسراهم، مكنهم من كسب صداقة المسؤولين المغاربة الذين أصبحوا يتساهلون في تيسير مهمة تحرير بعض الأسرى، و تأجيل أداء فديتهم إلى آجال لاحقة،و من أمثلة ذلك سعاية الراهب الفرنسسكاني الإسباني الأب دييكو(*Diego*)الذي استغلّ صداقته بالمولى إسماعيل وتمكن من الإفراج عن ستمائة(600) أسير ما بين سنوات 1688م و1723[1].

ج –الدور الدبلوماسي لهذه البعثات :

قام أفراد البعثات الدينية الإسبانية بربط الصّلات الدبلوماسية والسياسية،بين المغرب و بلادهم؛ إذ كانوا سفراء لملوكهم الإسبان لدى المولى إسماعيل، و نظرا لطبيعة مهامهم الدبلوماسية،والانسانية بوصفهم مبعوثين، فقد ساهموا في تعزيز التعاون الانساني،و الدبلوماسي، بين البلدين في كافة المجالات، و يأتي على رأس هؤلاء الأب الفرايل خوان (*FrailJuan*)الذي حمل رسالة من ملك إسبانيا كارلوس الثاني إلى المولى إسماعيل،وكذا الأب دييكو دولوس أنخليس (*DiegodelosAngeles*)بالإضافة إلى الأب مانويل دو فييرا لوبو (*Manuel de vaira Lobo*) الذي كلفه الملك الإسباني بمهمة دبلوماسية بخصوص التفاوض من أجل الأسرى لدى المولى إسماعيل فقد زار المغرب مرتين مبعوثا رسميا بين سنتي 1690م 1691م[2].

د – موقف المولى إسماعيل من هذه البعثات :

تدل الوثيقة التّالية على أنّ المولى إسماعيل كان يصدر لهذه البعثات ترخيصا،و جوازات، لتسهيل وصولهم إلى المغرب،و تيسير مهامهم، وهذه نماذج من تلك التّسهيلات.

مضمون الوثيقة :

---

(5) نفسه.

(1)نفس المرجع.

(2) نفسه.

نموذج من الرخص التي كان يسلمها السّلطان المولى إسماعيل لرجال البعثات الدينية الإسبانية لدخول المغرب.

الحمد لله وحده. ولا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم. الطابع الشّريف

«**كتابنا هذا أسماه الله و أعزه بيد حملته النصارى الفرآئلية** [1]، **يتعرف منه بحول الله و قوته أنّ جميع من يقف على هذا الكتاب الكريم من قواد مراسينا عمرهم الله و أشياخ الرعية أن يتهلّأوا في الفرآئلية المذكورين الذين يجوزون في بلادهم و يقفون معهم و يقضون لهم كل ما يحتاجونه عندهم من أمور الطريق و يعسّون عليهم عند المبيت و يقطعونهم الوديان ويعرفونهم بالطريق التي يريدون المشي معها لتبلغهم لمقصودهم وأن لا يتعرضون لهم قواد المراسي المباركة في حوائجهم التي يأتون بها من بلادهم وأن لا يحثونهم في شيء منها و كذلك الحوائج التي يذهبون بها من بر المسلمين عمره الله يتركونها لهم سوى العدة و القمح فقط و الواقف يعمل به انتهى**» وكتب في السّادس عشر ربيع النبوي المفضل عام اثنين و عشرين وماية وألف[2].

و- علاقات المولى إسماعيل بحاضرة الفاتيكان:

إرتبط المولى إسماعيل بعلاقات سياسية ودبلوماسية مع حاضرةالفاتيكان، في إطار البعثات الدينية التي كانت تبعث بها الكنيسة إلى المغرب، وهذا للوقوف على أحوال الأسرى المسيحيين هناك، وكان المولى إسماعيل يستعين ببعض هؤلاء الفاراييلية(رجال الدين) لقضاء بعض المهام الدبلوماسية، كوسطاء لدى هذه الجهة،أو تلك،من أجل فك أسير أو حل مشكل من المشاكل،إضافة إلى أنّ هؤلاء الرهبان كانوا يبعثون بتقارير مفصلة عن مهامهم داخل المغرب،ومما يوحي بوجود بعض التّسامح الديني، نجد المولى إسماعيل يسمح بدخول بعض البعثات الدينية

---

[1] من الاسم اللاتيني المفرد(*Fraile*)ويطلق على رجل الدين أو الراهب .

[2] عبد الحي بنيس:"**موقف ملوك الدولة العلوية من رجال البعثات الدينية الإسبانية إلى المغرب من خلال الوثائق المخزنية**" في مجلة كلية الآداب بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي،العدد 9، 1999م،ص 209.

ليقدموا مساعدات طبية للأسرى في بعض المدن المغربية كفاس وتطوان[3]، وقد ورد على المغرب مبعوث الفاتيكان سنة 1087هـ-1676م جيرولومو(*Girolomo*) وأجرى محادثات مع السّلطان مولاي إسماعيل، وقد زوّده السّلطان بجواز مرور عبر المدن المغربية التي يوجد فيها مسيحيون،و قدم المولى إسماعيل بهذا الخصوص مساعدات أخرى للراهب الإسباني الأصل دييكو(*Diego*)، الذي نال ثقته وساعده على تشيّيد بعض الكنائس في مكناس، وعلى تخصيص مقابر للمسيحيين،وقد كتب المولى إسماعيل لولده الأمير مولاي عبد الكريم، رسالة يوصيه فيها خيرا بالرهبان ومما جاء فيها:«**لاتترك من يقربهم ولا من يترامى عليهم**...»[1]،هذا التّسامح الذي أبداه المولى إسماعيل مع المسيحيين الأسرى،والرهبان بالسّماح لهم ببناء الكنائس لأداء طقوسهم الدينية بكل حرية، وتشيّيد بعض المستشفيات لعلاج الأسرى والحرية التامة في التنقل والحركة لهؤلاء المبعوثين الدينيين،يدحض مزاعم بعض المؤرخين الغربيين الذي يوجهون أصابع الإتهام للمسلمين في شمال إفريقيا عامة، والمغرب الأقصى خاصة،من سوء معاملة الأسرى الأوروبيين وتعذيبهم،في حين لم نقرأ لدى الباحثين والمؤرخين المسلمين أو غير المسلمين من أنّ الأسرى المغاربة في الدّول الأروبية كانوا يتمتعون بهذه الحقوق.

ومما تقدم يمكن القول:

- يمكن القول بأنّ علاقات المولى إسماعيل السياسية والدبلوماسية مع الإسبان كانت متوترة وصدامية، بسبب أن الإسبان يحتلون أجواء كبيرة من المغرب فانتهج المولى اسماعيل معهم سياسة المواجهة العسكرية لتحرير الثغور المحتلة، فحررت المعمورة في أفريل1092هـ/1681م وطنجة 1095هـ/1684م والعرايش 1101هـ/1690م أصيلا 1102هـ/1690م و ضرب حصارا مطولا دام سنوات على سبتة 1695/1694 ثم حصار مليلة .

---

[3]عبد الهادي التازي:المرجع السابق،مج9، ص 283.

[1] ينظر عبد الهادي التازي:المرجع السابق،مج9، ص 284.

-كان المولى إسماعيل يستقبل رجال الدين المسيحيين، وقد أبدى معهم بعض اللّين والتّسامح في مجال إفتداءالأسرى وكذا تحسين أوضاعهم المعيشية والصّحية، وتسهيل لهم أداء مشاعرهم الدينية في كنائسهم الشيئ الذي كان يفتقر إليه الأسرى المسلمين في فرنسا أو غسبانيا أو الدويلات الإيطالية.

المبحث الثاني:

مظاهر العلاقات السّياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا في عهد السّلطان المولى إسماعيل1672م/1727

تمكنت فرنسا في عهد ملكها القوي لويس الرابع عشر"*Louis XIV*" (1661-1715م) والملقب بالملك الشّمس(*le Roi-Soleil*)،من أن تبني لنفسها مكانة دولية مرموقة،وارتبطت بعلاقات دبلوماسية متميزة، مع المغرب في عهد السّلطان المولى إسماعيل، الذي أعطى اهتماما دبلوماسيا خاصا معها، وقد مرت العلاقات الدبلوماسية بين فرنسا والمغرب بثلاث مراحل هي:

1-مرحلة التقارب والتفاهم الدبلوماسي1672/1682م:

تبتدئ هذه المرحلة باعتلاء مولاي إسماعيل عرش البلاد،وتنتهي بتوقيع سفير السّلطان المغربي محمد تميم مع بعض وزراء لويس الرابع عشر، معاهدة السّلم والتجارة بين البلدين.

أ- سفارة الحاج محمد تميم 1681/1682م:

يبدو أنّ المصادر المحلية لم تتناول بشيئ من التفصيل حياة محمد تميم ،وكل ما عرف عنه،أنه تولى منصب باشا تطوان،ثم مدينة سلا، وهو أوّل سفير أرسله السّلطان مولاي إسماعيل إلى بلاط الملك الفرنسي لويس الرابع عشر،وذلك في 30 ديسمبر من سنة 1681م، قابل خلالها السفير محمد تميم الملك الفرنسي لويس الرابع عشر في 24 ذي الحجة عام 1092 هـ الموافق لـ 04 جانفي 1682م،وعلى تلك المقابلة ابتدأت المفاوضات بين محمد تميم من جهة والوزيرين الفرنسيين كولبير دوكراسي(*Colbert de Croissy*) وسنيلي (*Seignelay*) من جهة أخرى[1]، وقد نتج عن سفارة

---

[1] *younés Nékrouf:* ***Une Amitie Orageuse ,Moulay ismail et Louis XIV****,éditions Albin Michel,paris 1987,p142.*

محمد تميم مع الفرنسيين توقيع معاهدة تجارية بتاريخ 29جانفي1682بمدينة سانجرمان أولاي(*Saint-Germain-en-Laye*).

ابتدأت المفاوضات بين الطرفين المغربي والفرنسي سنة 1682م ،وأسفرت عن عقد معاهدة بينهما نصّت على ما يلي:

1- بنود المعاهدة [1]المنبثقة عن هذه السّفارة1682م :

-البند الأول:

سيتوقف مستقبلا كل عمل عدواني بين القوات البرية والبحرية، لرعايا إمبراطور فرنسا ورعايا إمبراطور المغرب .

-البند الثاني:

سيعم السلم مستقبلا بين إمبراطور فرنسا ورعاياه، وإمبراطور المغرب ورعياه،ويمكن لرعايا البلدين أن يمارسوا التجارة بكل حرية في الإمبراطوريتين،كما يمكن لهما استعمال البحر بكل حرية كذلك.

-البند الثالث:

لايجوز للسفن الحربية المغربية، أن تعترض سبيل السفن الفرنسية في البحر،الحاملة للراية الفرنسية والمتوفرة على جوازات سفر أميرال فرنسا،المطابقة للنسخة التي تنص عليها هاته المعاهدة،كما يقضي هذا البند، بأن تقدم السفن المغربية كل الإسعافات والمساعدات الضرورية للسفن الفرنسية عند الاقتضاء،ونفس المعاملة ستتلقاها السفن المغربية من السفن الفرنسية.

-البند الرابع:

ضمان المساعدة، وتقديم الإغاثة من الطرفين، لسفن وتجار البلدين،مع أداء أثمان هذه الخدمات بالأسعار المعتادة، في الأماكن التي سيتم الرسو بها.

-البند الخامس:

---

[1] ينظر أحمد الأزمي:**العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السلطان مولاي إسماعيل (1672م/1727م)**،منشورات ما بعد الحداثة،فاس2007، ص19-23

إذا حصل أن تعرضت إحدى السفن التجارية الفرنسية لاعتداء من بعض السفن العدوة في أحد الموانئ التابعة للمغرب،ولو تعلق الأمر بأعداء من الجزائر وتونس أو أعداء من موانئ إفريقية أخرى،يتوجب الدفاع عنها بمدافع حصون الموانئ المغربية،مع منح السفن الفرنسية الوقت الكافي للابتعاد عن الموانئ المذكورة،ونفس العمل سيقوم به إمبراطور فرنسا،شريطة أن لا تقوم السفن الحربية المغربية بأعمال "قرصنية" في المياه الفرنسية على بعد ستة فراسخ.

-البند السادس:

يتم الإفراج فورا عن كل الفرنسيين الذين يقعون في أسر أعداء فرنسا،والذين يساقون إلى الموانئ المغربية دون أن يتعرضوا إلى الاسترقاق،ولو كان الأعداء جزائريين أو تونسيين أو طرابلسيين وسيصدر إمبراطور المغرب من الآن فصاعدا أمره لكل عماله بالاحتفاظ بالأسرى المذكورين، والعمل على افتدائهم بواسطة قنصل فرنسا، بأحسن ثمن ممكن،ونفس الشيء يطبق على رعايا إمبراطور المغرب بفرنسا.

-البند السابع:

كل الأسرى الفرنسيين الموجودين حاليا في أسر إمبراطور المغرب،يمكن افتداؤهم مقابل 300 ليرة(Ecus).

-البند الثامن:

لا يسمح باستعمال المسافرين الأجانب المأسورين بالسفن الفرنسية ولا باستعباد الفرنسيين المأسورين على السفن الأجنبية حتى ولو كانت السفينة التي قبضوا عليها دافعت عن نفسها،ونفس الإجراء يراعى بالنسبة للأجانب المأسورين بالسفن المغربية والرعايا المغاربة المأسورين بالسفن الأجنبية.

-البند التاسع:

إذا حدث أن غرقت إحدى السفن الفرنسية في الشواطئ المغربية ،نتيجة مطاردة عدو أو بسبب رداءة أحوال الطقس،يتوجب منحها كل ما يلزم من المساعدة لتستأنف مسيرها أو تستعيد سلع حمولتها بعد أداء أيام العمل لكل من اشتغل في ذلك دون تسديد أية ضريبة على السلع التي أنزلت إلى الأرض ،ما عدا تلك التي تم بيعها في نفس الموانئ.

-البند العاشر:

يمكن للتجار الفرنسيين الذين يرتادون الموانئ و الشواطئ المغربية أن ينزلوا سلعهم إلى الأرض أن يبيعوا و يشتروا بكل حرية دون أن يدفعوا شيئا غير ما اعتاد رعايا امبراطور دفعه و نفس الشيء

يراعى في موانئ فرنسا، و في حالة إذا ما أنزل التجار المذكورون سلعهم قصد الإيداع فقط فبإمكانهم شحنها دون أداء أيّ شيء .

- البند الحادي العاشر:

لن يسمح بتقديم أية نجدة أو حماية للسفن الطرابلسية و الجزائرية و التونسية،و لا لمن يعمل لحسابهم كما يتوجب على امبراطور المغرب أن يمنع على رعاياه منعا كليا القيام بعمل عدواني لصالح أي أمير أو عدو ضد فرنسا، كما يتوجب عليه أن يمنع أعداء فرنسا من استعمال موانئه لمطاردة الرعايا الفرنسية .

- البند الثاني عشر:

يسمح لإمبراطور فرنسا بتعيين قنصل بسلا و تطوان، أو في أي مكان آخريراه مناسبا لمساعدة التجار الفرنسيين في جميع أغراضهم،و يمكن لهذا القنصل أن يمارس بكل حرية في منزله ديانته المسيحية بالنسبة له، و لجميع المسيحيين،و نفس الشيء ينطبق على الرعايا المغاربة بفرنسا، و للقنصل كامل السلطة للفصل في النزاعات التي يمكن أن تنشأ بين الفرنسيين دون أن يتدخل قضاة المغرب في ذلك .

- البند الثالث عشر:

إذا حدث خلاف بين فرنسي و مغربي لا يسمح لقضاة عاديين بالفصل بينهما، بل يكون ذلك من اختصاص المجلس الخاص للإمبراطور،أو الحاكم باسمه في الموانئ التي تنشأ فيها هذه الخصومات .

- البند الرابع عشر:

لا يسمح بمتابعة القنصل لأداء أي دين عن التجار الفرنسيين إذا لم يكن ذلك مثبتا كتابة، وإذا مات فرنسيون بالمغرب فإن أمتعتهم تسلّم إلى أيدي القنصل ليضعها رهن إشارة الفرنسيين من المستحقين لذلك، ونفس الشيء يراعى بالنسبة للمغاربة الذين يريدون الإقامة بفرنسا.

-البند الخامس عشر:

يتمتع القنصل بالإعفاء من كل الواجبات فيما يخص المؤن الضرورية لمنزله

- البند السادس عشر:

كل فرنسي اعتدى على مغربي لا يمكن معاقبته إلا بعد إشعار القنصل ليدافع عن قضية لفرنسي،وإذا حدث إن فرّ الفرنسي المعتدي؛ فإن القنصل لا يعتبر مسؤولا عنه .

- البندالسابع عشر:

إذا ارتكبت مخالفة في تطبيق هذه المعاهدة لا يجب استعمال القوة إلا بعد اللجوء إلى القضاء.

– البند الثامن عشر:

إذا الحق قراصنة فرنسيون أو مغاربة ضررا بسفن فرنسية أو مغربية بالبحر فإن جزاء العقاب و تحمل مسؤولية ذلك يرجع لمجهزي السفن و أربابها .

– البند التاسع عشر:

إذا كتب لهذه المعاهدة أن أصبحت ملغاة لا قدر الله فإنه يسمح لكل التجار الفرنسيين بالمغرب بالانسحاب حيث أرادوا دون أن يوقفهم أحد طيلة ثلاثة أشهر .

– البند العشرون:

ستتم المصادقة على البنود أعلاه،و تزكيتها من إمبراطور فرنسا و إمبراطور المغرب ليتم العمل بها من طرف رعاياهما لمدة ستة سنوات،وستقرأ و تنشر و تعلق هذه البنود في كل مكان حتى لا يتذرع أي أحد بجهله بها

2–تقييم نتائج سفارة محمد تميم:

–مصالح فرنسا في المعاهدة:

نستطيع أن نحكم على سلبية هذه المعاهدة،أو إيجابيتها بالنسبة للمغرب،من خلال مناقشة بعض بنودها، والتي اتضح أنها تخدم الطرف الفرنسي بالدرجة الأول، ومنها.

–البند الخامس:الذي يقضي بأن يدافع المغرب عن السفن الفرنسية في المياه المغربية ويحميها، إذا تعرضت لهجوم من السّفن الجزائرية،أو التّونسية،أو أي عدو من إفريقيا، فيمكن القول أن هذا البند سيحدث مشاكل كبيرة للمغرب باعتبار أن الجزائريين والتّونسيين إخوة للمغاربة، يتقاسمون هموم المنطقة، ولا يمكن للمولى إسماعيل أن يكون الحارس الأمين لفرنسا في الجنوب الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

–البند السّابع:يبين رغبة الفرنسيين في حل مسألة الأسرى عن طريق الافتداء، بدل التبادل، وهو عمل مقصود الهدف من ورائه الاحتفاظ بالأسرى المغاربة، ويضمن تحرير الرعايا الفرنسيين[1].

–البندان التاسع والعاشر:يهدف إلى تقديم امتيازات،وتسهيلات للتجار الفرنسيين في أرض المغرب، ومن المعلوم أن التجار المغاربة، لم يصلوا بتجارتهم إلى الموانئ الفرنسية فهو إجراء أحادي.

---

(1) أحمد الأزمي: المرجع السابق،ص25.

–البندان الرابع عشر والخامس عشر:يجعلان من القنصل الفرنسي شخصا لا يمكن متابعته، بأداء أي دين عن التجار الفرنسيين.

3–عدم التزام فرنسا بالأعراف الدبلوماسية:

تعرض السّفير محمد تميم أثناء مهمته الدبلوماسية سنة 1681م – 1682م إلى معاملة مهينة، لم تراع فيها الأعراف الدبلوماسية، حيث تعرض إلى إهمال و مماطلة مقصودين من طرف الفرنسيين، فمنذ أن نزل بميناء بريست (*Brest*) إلى أن غادر فرنسا عائدا إلى المغرب في نهاية شهر مارس 1682م[1]،إضطر محمد تميم إلى المكوث ما يزيد عن الشّهرين، وفي ظروف مناخية جد صعبة أثناء الشّتاء في ميناء بريست (*Brest*)،ينتظر السّماح له بتقديم أوراق اعتماده سفيرا للمولى إسماعيل لدى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، ولم يسمح له بالالتحاق بالعاصمة الفرنسية إلاّ بعد أن تأكد المكلفون بمراقبته من الفرنسيين من صحة أوراق اعتماده، ولم يحض باستقبال بروتوكولي لائق كما جرت العادة في اعتماد سفراء الدول[2].

في حين يرى "جاك كيلي" أنّ محمد تميم إستقبل بحفاوة، وأنزلته الحكومة الفرنسية مع حاشيته بفندق السّفراء، و وضعت تحت تصرفه عربة خاصة، وأقيمت على شرفه مأدبة عشاء،و حفلات راقصة،وقد أعجب بالاستقبال؛حتى قال:«**أنّه قد عاد من فرنسا،و قد قوّى اعتقاده بالجنة...**»[3].

---

[1]جمال سهيل:**البعثات الدبلوماسية المغربية للبلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م**، مذكرة ماجستير غير منشورة،مركز غرداية،2011،ص118.

[2]أحمد الأزمي: المرجع السابق،ص27.

[3]جاك كيلي: "**السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا**"في مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية،منشوراتكلية الآداب، معهد مولاي الحسن ،تطوان المغرب،عدد 6، 1961 م،ص ص 155-194.

2-مرحلة التناحر والصّراعات رغم تبادل السّفارات1682م/1699م:

تبدأ هذه المرحلة بسفارة "دوسانت أمان(*Saint Amans*)

1-سفارة "دوسانت أمان (*Saint Amans*)إلى المغرب 1682م:

جاءت هذه السّفارة ردا على سفارة محمد تميم إلى فرنسا، وكانت تهدف إلى الحصول على مصادقة المولى إسماعيل و موافقته على معاهدة سان جرمان السّابقة، التي كانت جل بنودها لصالح فرنسا، حيث نصت التّعليمات التي تلقاها السّفير دوسانت أمان بأن يعدّ لائحة بالأسرى الفرنسيين الذين يوجدون بالمغرب، و يبعث بها إلى لويس الرابع عشر، لكن هذا الأخير لم تكن له نية في تحرير الأسرى المغاربة بالمقابل؛ولذلك فقد حاول بشتى الطرق التهرب من مناقشة الموضوع،والبث فيه بدعوى أنه لم يرخص له بالتفاوض حوله.

لقد كان لويس الرابع عشر يرغب في الافتداء المتبادل بالمال بمبلغ 300 ليرة للأسير الواحد، مع رفض حل مسألة الأسرى عن طريق تبادل إطلاق الأسرى أسيرا بأسير؛ لأن هذا الإجراء يفرّغ سفن ملك فرنسا من الأسرى المغاربة[1].

و من التعليمات الأخرى للسفير الفرنسي هي الحرص على تسوية قضية علي بدري[2] الذي ألقي عليه القبض و طاقمه، قبل توقيع معاهدة سنة 1681م- 1682م،واتخاذه حجة ووسيلة ضغط للمطالبة بتحرير عدد مماثل من الفرنسيين،ومن أول المتاعب الذي صادفت السفير هي الرسائل التي عثر عليها بحوزة "عبد الحق معنينو"[3] الذي زوده بها الأسرى المغاربة بفرنسا،وقد كان متواجدا معه على متن السفينة التي نقلته إلى المغرب، هذه الرسائل التي تفضح معاناة الأسرى المغاربة وبينت أصناف التنكيل والاضطهاد التي يتعرضون له على أيدي الفرنسيين،مما جعلت السفير الفرنسي يخشى من تسرب أسرار أخرى تحبط مسعاه وسفارته لدى المولى إسماعيل.

---

[1] أحمد الأزمي:المرجع السابق، ص ص 41-46.

[2]علي بدري أو بودري هو أحد مجاهدي البحر المغاربة ،وقع أسيرا عند الماركيز لانجورون Langeron سنة 1681.

[3]هو ابن السفير الحاج علي معنينو مرافق السفير محمد تميم، وقع أسيرا لدى الفرنسيين، بعث برسالة إلى عمه يخبره بظروفه الصعبة في الأسر، وهو في معتقل صعب وشاق مقيد اليدين والرجلين بالحديد، وجاء في الرسالة أن "الفرنسيين الكلاب" عوض العناية بمحمد تميم القادم من تطوان كانوا مرة يلاطفونه، ومرة يخلعون ملابسه، وهكذا لم يستطع أن يشاهد أي أحد منا ينظر الحاج أحمد معنينو:**عائلة معنينو السلاوية**،دط،1996م،ص39.

أ–نتائج سفارة "دوسانت أمان (*Saint Amans*) إلى المغرب 1682م:

صادف وصول السفير الفرنسي دوسانت أمان إلى المغرب،وجود المولى إسماعيل بالجنوب لإخماد ثورة أحمد بن محرز،حيث استقبله المولى إسماعيل يوم 11ديسمبر سنة 1682م استقبالا حسنا.

ب– فشل السّفارة:

قصد السّفير سان أمان(*Saint Amans*) المغرب سنة 1682م، مبعوثا من الملك لويس الرابع عشر تحت ضغط الكنيسة، بقصد التفاوض مع السلطان المغربي مولاي إسماعيل حول المعاهدة التي أمضاها السفير محمد تميم، و رفض المولى إسماعيل المصادقة عليها، لكونها لا تنص على تبادل الأسرى رأسا برأس،وإنما تنص على فديتهم بالمال،وتقديرا للهدايا التي بعث بها لويس الرابع عشر للمولى إسماعيل وبدافع المجاملة وحسن النية، فقد قرر السلطان تحرير عشرين أسيرا فرنسيا[1]،عبّر مولاي إسماعيل للسّفير سان أمان(Saint Amans) عن حرصه للمحافظة على السلم مع فرنسا، وأكّد له الاقتراح الخاص بتحرير الأسرى تبادلا،وبموجب المعاملة بالمثل، لم يرخص المولى إسماعيل للسّفير الفرنسي بشراء الخيول المغربية، ولم يسمح له بالمرور بمكناس، حتى لا يرى الأسرى الفرنسيين مثلما، لم تسمح فرنسا للسّفير المغربي محمد تميم برؤية الأسرى المغاربة في فرنسا[2].

والملاحظ أن كلا من مولاي إسماعيل ولويس الرابع عشر كانت تحذوهما الرغبة في تمتين العلاقات، إلا أن سوء التفاهم بينهما حول كيفية إيجاد حل ناجع لمسألة الأسرى أثر تأثيرا سلبيا على مستقبل العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا إلى حد بعيد [3]،وأتهم المولى إسماعيل لويس الرابع عشر في رسالة شديدة اللهجة وجهها له بتاريخ 08جويلية 1684م وصفه فيها بعدم الجدّية في المفاوضات وبتدخل أهل ديوانه بعدما أدرك محدودية الصّلاحيات الممنوحة لسفيره سان أمان(*Saint Amans*) [4].فقال للملك الفرنسي في ثنياها:« **ولا أظنك إلاّ غلب عليك أهل ديوانك،وصاروا يلعبون بك كما يشاءوا ...**»[5].

---

[1]الحاج أحمد معنينو:المرجع السابق،ص40.

[2]أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 45.

[3] نفس المرجع،ص 47.

[4] ينظر رسالة المولى إسماعيل إلى لويس 14 عند محمد الصغير اليفرِني:**روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**،ط2، المطبعة الملكية الرباط، 1995، ص97.

[5]عبد الهادي التازي: المرجع السابق، مج 9، ص 77.

2-إخفاق سفارة أوجيه (*Augiers*)1100هـ / 1688م:

تعثرت المفاوضات واستأنفت أعمال القرصنة بين البلدين، و سقط المزيد من الجانبين، و سيقوا إلى مكناس وطولون،و قد أجبرت مواقف مولاي إسماعيل المتشددة، لويس الرابع أن يبدي بعض التنازلات في شروطه، فبعث الفارس أوجيه (Augiers)من أجل إستئناف المفاوضات وأعطيت له صلاحيات التفاوض على مشكلة الأسرى،على مبدأ رجلا برجل،لكن هذه السّفارة تعثرت بسبب أن عرضا قدم للمولى إسماعيل من أحد المبعوثين الدينيين من لكسمبورغ،عارضا عليه تسليم مغربي واحدا بالإضافةإلى600 ليرة مقابل كل أسير يتم تحريره[1].

3- سفارة " بيدو دوسانت أولون (*pidou de saint Olon*)" 1693م:

حلّ بيدو دوسانت أولون (pidou de saint Olon) بمدينة تطوان يوم 12 ماي 1693م وكان في استقباله السّفير محمد تميم وبعض التجارالفرنسيين في المدينة، وفي يوم 14 من نفس الشهر استقبله حاكم المنطقة الشمالية القائد "علي بن عبد الله" وفي 2جويلية حل السفير بيدو دوسانت أولون (pidou de saint Olon) بمكناس فوجد في إنتظاره اليهودي "ميموران" ولم يحض باستقبال السّلطان إلاّ يوم 6 من نفس الشّهر، وحضي بإستقبال آخر من السّلطان يوم11 بالقصر الملكي[2].

ويذكر هذا السفير أنّه طيلة المدة التي قضاها ضيفا على السّلطان، مُنع عنه إستقبال أيِّ شخص،حتى يوم موعد إستقباله للسّلطان، وكان السّفير بصحبة اثني عشر عبدا مسيحيا يحملون الهدايا للمولى إسماعيل والتي تتشكل من بعض الأسلحة الجميلة، وعدد من السّاعات الفاخرة، وبعض الأثواب الحمراء، والزرقاء، وبعض حمر الوحش، وبساطين ناصعين،ويعطي السّفير الفرنسي إنطباعا غير لائق للمولى إسماعيل حيث يقول:

«**أنّ السّلطان كان يمسك رمحا قصيرا، وحربة، مرتديا لباسا بسيطا يشبه أقل رعاياه شأنا، وفي يده أيضا منديلا متسخا،وبعد أن سلم الرمح لأحد عبيده السّود، جاء ليجلس دون بساط على عتبة مدخل أحد البيوت**.»[3].

---

[1] *younés Nékrouf : Op.cit ,p176.*

[2] أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 56.

[3] إدريس الكنبوري:"**سفير لويس الرابع عشر يكشف أسرار أقوى السّلاطين العلويين**"،في جريدة المساء المغربية، عدد 2347، ليوم13 / 04/ 2014.

وبهذه الأوصاف غير البريئة، نجد أن هذا السّفير يصف المولى إسماعيل في مذكراته بالحاكم المستبد، الذي لايعرف من الحضارة ولا من عيش الملوك شيئا يذكر، والدليل كما يزعم لباسه القديم، ومنديله المتسخ، وعدم إفتراشه عند الجلوس.

أ-فشل سّفارة بيدو دوسانت أولون(*pidou de saint Olon*)":

تحدثت المصادر على أن سبب سفارة "بيدو دوسانت أولون"،يرجع إلى تنافس النائب علي بن عبد الله، الذي حرص على توقيع الاتفاقية، و بين القائد محمد حدو الذي كان يعارضها، إضافة إلى أن هناك أسبابا أخرى ساهمت في فشل المهمة؛و يتعلق الأمر بقضية احتلال سبتة؛ حيث كان المولى إسماعيل يريد أن يعقد مع فرنسا حلفا عسكريا، يهدف إلى تحرير ثغر سبتة من يد الأسبان،في مقابل إرضائه للمطالب الفرنسية إلا أن ذلك لم يتحقق [1].

4- سفارة الأميرال عبدالله بن عائشة: 1698 -1699 م :

أ-شخصية السّفير ابن عائشة:

أهملت المراجع والمصادر شخصية بن عائشة، ولم تعط معلومات كافية عن حياته،سوى ما قال عنه ابن زيدان :« **و من عمال السّلطان إسماعيل،قائد الثغور و الأسطول، عبد الله بن عائشة الأندلسي الرباطي الولادة و الوفاة، كان قائد الرباط و الأسطول و سفير المترجم...**»[2]،وقال عنه القنصل الفرنسي في سلا جان باتيست إيستيل(*Jean Baptiste Estelle*)[3] والذي كان معاصرا لعبد الله بن عائشة،و تربطه به علاقة قوية :«...**كان هو رئيس البحرية الملكية في المغرب،وهو واحد من أشهر قراصنة سلاالمرعبين...**»[4]، كما وصفه أحد المفاوضين[5]الفرنسيين بقوله:«...**إنّه كان رجلا مليئا بالأمل وقمة في الأدب واللياقة لايمكن أن نتصورهما من رجل عمل في القرصنة بل ويعتبر من مواليد بلاد البربر...**»[6].

---

[1]عبد الهادي التازي: المرجع السابق، مج 9،ص 78.

[2] عبد الرحمن بن زيدان: **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**، ص 260 .

[3] سياسي ودبلوماسي فرنسي من مواليد مارسيليا في جانفي 1662م، عين سفيرا لفرنسا في المغرب ثم في سوريا توفي في مسقط رأسه في جانفي 1723م.

[4] فهد بن محمد السويكت : المرجع السابق، ص 17 .

[5] اسمه لويس نيكولا تونولي،دبلوماسي فرنسي كتب مذكراته، ووصف تحركات السفير بن عائشة في فرنسا خلال الفترة من 11نوفمبر 1698 إلى 5ماي 1699، ينظر فهد بن محمد السويكت: المرجع السابق، ص 17 .

[6] نفس المرجع، ص 17 .

ب–أسباب سفارة ابن عائشة إلى فرنسا 1698–1699:

– حصار السّفن الفرنسية للموانئ المغربية :

تـوترت العلاقات بين المغرب و فرنسا توترا شديدا ؛ فكتب وزير الحربية الفرنسي "بونشطران" في1698/9/26م في مذكراته، يقترح من خلالها الطريقة المثلى لتحطيم الأسطول المغربي و لجم قراصنة سلا، مشيرا بأن سلطان المغرب يملك ثماني سفن قرصانية،بينما يملك بن عائشة واحدة؛ لذلك أوصى بضرورة تخصيص بعض السفن الفرنسية، لتضرب حصارا على هذه الموانى[1]،و تنفيذا للتهديدات الفرنسية ضد المغرب، أبحرت السّفن بقيادة "الماريشال دوكويط لوكون" لمطاردة القراصنة السّلاويين،و إلقاء القبض عليهم، لكن النتيجة كانت عكسية؛ بحيث تمكن بن عائشة من العودة إلى سلا يوم 1698/7/15م بعد أن أسر عددا من الفرنسيين؛ مما جعل القنصل "جان باتيست إيستيل"(Jean Baptiste Estelle) يعبر عن استيائه،و غادر مدينة سلا بصفة نهائية، و كله أسى و حسرة أمام الفشل الذريع،الذي أصاب البحرية الفرنسية في إجبار المغرب على توقيع السّلم بالقوة[2].

– إخفاق حملة الماريشال ديستري 30 جويلية 1698م :

أمام الانتصارات المتتالية التي حققها عبد الله بن عائشة على القراصنة الفرنسيين، أصدر بونشطران(de*Pontchartrain*)يوم30 جويلية 1698م أوامره إلى الماريشال ديستري ***(d'Estrées)***بالتوجه إلى قادس، و مطادرة سفن السّلاويين،و القضاء عليها،إلاّ أنه لم يحقق النتائج المرجوة،في هذا الوقت المشحون اقترح ابن عائشة على الماريشال أرضية تفاهم، مع إمكانية استئناف مفاوضات السلم بين المغرب و فرنسا، و توصل الطرفان بعد ذلك إلى إبرام اتفاقية هدنة في شهر سبتمبر 1698م، تمهّد إرسال سفارة مغربية إلى لويس الرابع عشر،وايقاف كل الأعمال العدوانية بين البلدين[3].

– خطبة الأميرة دو كوندي *La Princesse de condé* :

حاول المولى إسماعيل في إطار توطيد العلاقات مع الملك الفرنسي لويس الرابع عشر،مصاهرته بخطبة ابنته الأميرة دو كوندي (***La Princesse de condé***)؛كما ورد في بعض المصادر التاريخية

---

[1] فهد بن محمد السويكت : المرجع السابق.،ص 38 .

[2] نفس المرجع، ص 66 .

[3]نفسه، ص 67 .

الفرنسية، إلاّ أنّ سفيره ابن عائشة الذي كلّف بهذه المهمة لدى البلاط الفرنسي لم يفلح في ذلك ؛ بسبب اختلاف العوائد و التقاليد بين المغرب و فرنسا.

و قد أنكر المؤرخ المغربي عبد الرحمن بن زيدان حدوث هذا الأمر؛ مدعيا بأنّه من مزاعم المؤرخين الفرنسيين؛ لكن الوثائق التاريخية الفرنسية تحول دون الشّك في ذلك، فضلا عن أنّ التاريخ المغربي والتقاليد المألوفة و الأحكام الشّرعية لا تمنع السّعي فيه [1]،وقد عرض لويس الرابع عشر على السّلطان المغربي أن يتنصّر لتلبية طلبه في الزواج من ابنته، ومن المحتمل أن تكون المفاوضات حول الخطبة قد اختلقت اختلاقا لتضفي على البلاط الفرنسي وملكه، مظهر العظمة الممزوجة بالاستخفاف بطلب الملك المغربي [2]،في حين لو نجح هذا الزواج،فلا شكّ أنّ العلاقات الاقتصادية، والعسكرية والدبلوماسية،ستتوطد كثيرا بين البلدين [3].

– انتصارات لويس الرابع عشر في أوربا (حرب الوراثة) :

تزايدت قوة الملك لويس الرابع عشر و توسع نفوذه في أوربا بعد انتصاراته المتتالية؛حيث خاض حروباً كثيرة ابتدأها بحرب الوراثة سنة(1667- 1668)بعد موت ملك إسبانيا فيليب الرابع،ليطالب بحق زوجته – ابنة الملك فيليب– بوراثة هولندا، فشنّ الحرب على إسبانيا،واستولى على حصون إسبانيا وقلاعها، فكانت حرب الوراثة الإسبانية التي لم تكن في الواقع، إلا نزهة أمام جيش فرنسا القوي [4].

ولذلك اضطرّ المولى إسماعيل إلى كسب ودّه، واستمالته ليقيم معه مشروع تحالف، فأوفد سفيره الأميرال ابن عائشة إلى باريس لعلّه ينجح في تحقيق مشروعه،وإيجاد حلول للمشاكل العالقة بين البلدين كموضوع الأسرى والتجارة .

---

(1)حسن السائح : "**السّفير عبد الله بن عائشة**"، في مجلة دعوة الحق المغربية، عدد 4،جويلية 1972،ص129.

(2)إبراهيم حركات: "**ابن عائشة أمير البحر في عهد مولاي إسماعيل**"، في مجلة دعوة الحق المغربية، عدد 4، السنة 12، ماي 1969،ص ص 128، 129 .

(3)*Rabih Saïd :**Deux Ambassadeur Marocaines en France aux 17 siècle**, Université de Picardie jules verne ,Année 1998-1999,p171.* أنظر كذلك،

*Reynold L Adreit :**Moulay Ismailet la princesse de Conti in France** in Maroc-France, revue Mensuelles N^0 15,Octobre1917,Maroc, pp15,17.*

(4)نور الدين حاطوم: **القرن السابع عشر في أروبا**، ط1،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،دمشق،1986م،ص 474.ينظر كذلك عن هذه الحرب، جلال يحي: **التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى**،المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة ،الإسكندرية، ص ص 65، 66.

ب- إخفاق سّفارة ابن عائشة 1699-1698م:

لم يبد الدبلوماسيون الفرنسيون الاهتمام البالغ الذي تعودوا أن يولوه للسّفراء الأوربيين لدى استقبالهم للسفير المغربي ابن عائشة،حينما حلّ يوم العاشر من شهر فيفري سنة 1698م،وغيّروا الأثاث الفاخر في فندق السّفراء، الذي كان معدا أصلا لاستقبال السّفير البريطاني، وهذا خروجا عن مبدأ المساواة مع نظرائه الأروبيين[1].

كما أن هذه السّفارة لم تحظ بالترحيب الشّعبي المطلوب في فرنسا،بل قوبلت بسخط، واحتجاجات عدائية تسببت في إلحاق الأذى ببعض مرافقي السّفير المغربي، رغم أن السيد "بارون دو بري تويل" مقدّم السّفراء،كان في استقباله عند وصوله إلى فندق السّفراء .فحاول الفرنسيون إبهار ابن عائشة بزيارة معالم باريس، كجزء من برنامج زيارته للتأثير عليه أثناء المفاوضات المزمع عقدها بين الطرفين، فزار برج نوتردام المطل على باريس، فضلا عن متحف اللوفر والمطبعة الملكية،كما تجوّل في مصنع الأسلحة مطلعا على جهود الفرنسيين في تطوير أسلحتهم،وتفقد الأكاديمية الملكية للرسم، وختم جولته بدار الأوبرا؛ حيث استمتع وشاهد بعض العروض المسرحية[2].

ج-استقبال لويس الرابع عشر للسّفير ابن عائشة :

أذن الملك الفرنسي بمقابلة السفير المغربي ابن عائشة، في الصّباح الباكر من يوم 16 فيفري 1698م،ليقدم أوراق اعتماده[3]،كسفير للسّلطان مولاي إسماعيل،وبعد مراسيم الاستقبال الدبلوماسية ألقى ابن عائشة أمام الملك خطابا ضمنه رغبة المولى إسماعيل في إرساء السلم بين البلدين،وإيجاد سبيل لحل مشكلة الأسرى،كما أثنى على الملك بعبارات التمجيد والإجلال[4]وبعد مرور عشرة أيام أي في 26 فيفري بدأت المفاوضات الرسمية بين الطرفين حيث عرض المفاوضون الفرنسيون على ابن عائشة بعض بنود اتفاقية الحاج محمد تميم التي وقعها مع الفرنسيين سنة 1682م

---

[1] فهد بن محمد السويكت: المرجع السابق، ص 55

[2] نفس المرجع، ص 57 .

[3]هي وثائق رسمية يقدمها السفير لدى تعيينه كمبعوث أو سفير لمسؤولي الدولة المستقبلة، ليعين رسميا كسفير لتلك الدولة ويتمتع بالحصانة الدبلوماسية.

[4] فهد بن محمد السويكت: المرجع السابق،ص 62 .

مع إجراء بعض التّعديلات الخاصة بافتداء الأسرى[1]،ليجد ابن عائشة نفسه يفاوض الفرنسيين على أرضية معاهدة 1682م المتحفظ عليها من الجانب المغربي،لأن معظم بنودها كما رأينا سابقا كانت في صالح فرنسا.

بالرغم من أن عبد الله بن عائشة قدم بعض التنازلات،إلا أنّه أظهر تصلبا لا يقاوم حول ثلاث نقاط وهي عدم قبوله بإدخال جبل طارق[2]ضمن المنطقة القريبة من شاطئ البلدين والتي يحرم على الطرفين ممارسة الأعمال القرصنية،وألح بأن يكون الرعايا الفرنسيون المأسورين من طرف المغاربة على سفن العدو غنيمة مشروعة لهم،وأبدى عدم اعتراضه على تسليح سفن دول إسلامية في حروب مع فرنسا بالموانئ المغربية [3]،هل ستنجح سفارة عبد الله بن عائشة إلى البلاط الفرنسي،في ترسيم السلم بين المغرب و فرنسا، بعد فترة سادها الصراع،و التوتر،و التناحر بين البلدين؟أم سيكون مصيرها الفشل وإزدياد أسباب التوتر و القلق الدبلوماسي،الذي سيقود إلى القطيعة والجمود كسابقاتها ؟

د- تقييم سفارة عبد الله بن عائشة:

لم يكتب لسفارة ابن عائشة النجاح على المستوى الدبلوماسي،لأنّ وزراء الملك الفرنسي لويس الرابع عشر،كانوا يريدون دفع السّفير المغربي للتوقيع على معاهدة كانت بنودها في صالح فرنسا،ولا تختلف في محتواها على معاهدة سان جرمان 1682م،بالرغم من أنّ السفير المغربي كان يحمل تفويضا بذلك من المولى إسماعيل[4]

ويمكن تلخيص أسباب هذا الإخفاق في النقاط التالية :

-سوء التفاهم الذي نشأ حول بعض بنود المعاهدة [5].

-مشاعر العداء الذي يكنها المفاوضان الفرنسيان طورسي (Torcy) ومورباس(*Maurepas*)، اللذان

---

[1] نفس المرجع ،ص 64.

[2]مضيق في أقصى جنوب شبه جزيرة إيبيريا، على منطقة صخرية متوغلة في مياه البحر الأبيض المتوسط، تسمى محليا بـ "جبرلتار" وهي كلمة محرفة تعني جبل طارق، عرفت قديما بعواميد هرقل،ويسمى كذلك بجبل الفتح، وهو اليوم من ممتلكات بريطانيا وقاعدة عسكرية كبيرة، ينظر **المنجد في الأعلام** ،ط14،دار المشرق بيروت،1986،ص208.

[3]أحمد الأزمي:المرجع السابق، ص 75.

[4] ينظر الرسالة التي بعثها المولى إسماعيل إلى لويس الرابع عشر بتاريخ 26 سبتمبر 1698م،بخصوص تفويض أميرال البحر ابن عائشة بكل الصّلاحيات عند .

*Pierre de genival: **les sources inédites de lhistoire du Maroc ,deuxieme série ,deynastie filalienne** ,Archives et Bibliotéques de France ,T IV,Mai 1693,Novembre1698,pp 673 -674-675.*

[5] أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 76.

لم يكونا في المستوى المطلوب لجهلهما بالشؤون الإفريقية والمغربية على الخصوص، وكان يتعاملان مع السّفير باستعلاء، معتقدين أنّ انبهار ابن عائشة بالحضارة الفرنسية،والأماكن التي زارها سيؤثر عليه في المفاوضات.

-اعتقاد الفرنسيين أنّ ابن عائشة ليس مخولا بصلاحيات كاملة من مولاي إسماعيل لإمضاء أي اتفاق مع فرنسا[1].

-كانت لسفارة عبد الله بن عائشة نتيجة أخرى، تمثلت في تأسيس شركة تجارية اسمها شركة سلا،مع التّاجر الفرنسي "جان جردان"،تهدف إلى القيام بالتجارة مع المغرب وفق تحرير محضر بينهما بتاريخ 27جانفي 1700 م.[2]وقد قدمت الوعود لهذا التاجر الذي تربطه صداقة مع ابن عائشة بتشجيع تجارته في المغرب[3]،كان المولى إسماعيل يهدف من كل هذا النّشاط الدبلوماسي مع فرنسا إلى غايتين اثنتين، هما تحرير الأسارى المغاربة المشتغلين كمجدفين على السّفن الملكية، والحصول على إمدادات عسكرية في حالة نجاح هذه المساعي الدبلوماسية،لاستكمال تحرير البلاد، في حين كان من الصّعب على الملك الفرنسي لويس الرابع عشر عقد تحالف مع دولة إسلامية، ضد دولة مسيحية[4]فكل هذه المؤشرات السّلبية في العلاقات الفرنسية المغربية في الفترة مابين 1682م/1699م،أدت إلى قطيعة دامت سبعة وعشرين سنة.

3-مرحلة القطيعة والجمود الدبلوماسي1700 م/1727 م:

أدّى فشل سفارة عبد الله بن عائشة إلى البلاط الفرنسي،إلى تأزم الوضع في العلاقات بين البلدين، فدخلا في مرحلة جمود وقطيعة دبلوماسية دامت سبعة وعشرين سنة،تميزت هذه المرحلة بالتوتر المستمر، بسبب انشغال العاهلين بمشاكلهم السّياسية،والعسكرية،إضافة إلى المناورات السّياسية والدبلوماسية لبعض الدول الأوروبية ومنها بريطانيا، ثم سوء التفاهم الحاصل بين التجار الفرنسيين ورعايا المولى إسماعيل[5].

---

[1] نفس المرجع، ص 76.

[2] فهد بن محمد السويكت : المرجع السابق، ص 93 .

[3] عبد الهادي التازي: المرجع السابق،مج 7، ص 82.

[4] عبد العزيز بنعبد الله :المرجع السابق،ص 24.

[5] أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 97.

ساعدت الأجواء المشحونة بين المغرب وفرنسا إلى ظهور قوة أخرى منافسة لفرنسا في المغرب وهي بريطانيا،التي كانت تسعى لنسج علاقات متميزة مع المولى إسماعيل وتكون هي البديل لعلاقات العاهل المغربي،فانسحبت من مدينة طنجة سنة 1684 م[1] هذا الانفراج الدبلوماسي والسّياسي مع بريطانيا، توج بإبرام معاهدة 1721م لإرساء السلم والتعاون بين البلدين[2] ممّاأزعج الفرنسيين، فسعوا جاهدين لإعادة العلاقات المغربية الفرنسية ومحاولة تحسينها من جديد،وبذل المساعي لدى المولى إسماعيل من أجل تطبيع العلاقات،غير أنّ هذه المحاولات باءت بالفشل[3]،بالرغم من الجهود التي بذلها القنصل الفرنسي بقادس[4]السّيد "بارتيي" *(party)* وقنصل جنوة بجبل طارق السّيد "جان باتيست ستورلا"(*p.Sturla*) الذي كان يرعى مصالح بريطانيا في نفس المدينة[5]و قد أرجع القنصل بارتيي *(partyet)*القطيعة بين المغرب وفرنسا بالدرجة الأولى إلى المعاهدة التي أبرمها المولى إسماعيل مع الإنجليز،ودعا إلى ضرورة أن تسلك فرنسا مع مولاي إسماعيل نفس المسلك، الذي سلكه الإنجليز بالتقرب إليه، بالهدايا الثمينة،وكانت فرنسا جادة في العمل من أجل فتح حوار لإعادة ربط العلاقات من جديد، غير أنّ كبر سن المولى إسماعيل،ومرضه،وظهورحالات التمرد في البلاد[6]منعت من إعادة اللحمة في العلاقات من جديد.

ومما سبق يمكن القول:

-أنّ المولى إسماعيل عوّل في علاقاته السّياسية والدبلوماسية كثيرا على الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، وكان يأمل أن يمدّ له هذا الأخير، المساعدة العسكرية اللازمة لمواصلة تحرير الثغور المحتلة لكن أصيب المولى إسماعيل بخيبة أمل كبيرة تجاه الملك الفرنسي.

-سفارة الحاج محمد تميم 1682/1681م إلى فرنسا والتي وافق على معاهدة 1682م بعد مفاوضات مع الوزير كلبير، قد فتحت الباب واسعا لفكرة الإمتيازات الفرنسية في المغرب والواضح أنّ المسلمين في ذلك الحين، لم يتنبهوا لخطورة الإمتيازات الأروبية على العالم الإسلامي.

---

(1) *younés Nékrouf: Op.cit ,p375.*

(2) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 118.

(3)نفس المرجع، ص 97.

(4) مدينة إسبانية ساحلية تقع جنوب الأندلس .

(5) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 119.

(6) نفس المرجع،ص 122.

– إنّ سفارة "دوسانت أمان (*Saint Amans*)إلى المغرب 1682م ،كانت تهدف أساسا إلى تثبيت معاهدة 29جانفي 1682م ومحاولة إقناع السّلطان المغربي المولى إسماعيل بالإلتزام ببنودها.

– بعث المولى إسماعيل رسالة إلى لويس الرابع عشر بتاريخ 9شعبان 1095هـالموافق لـ 22جويلية 1684م والتي يقارن فيها بين طريقة الفلمنك[1] وانجلترا في التعامل معه من جهة، وبين تصرفات الملك الفرنسي تجاهه، ويعاتبه على تردده في تحرير الأسرى المغاربة، وينبهه إلى أنّ الملك الفرنسي إذا كان يرغب في ترسيخ قواعد السّلام مع المغرب عليه أن يبعث شخصية دبلوماسية لها كامل الصّلاحيات، للتفاوض بخصوص القضايا العالقة بين البلدين، ومن ضمنها أسرى الطرفين، في إشارة إلى سفارة "دون سانت أمان (*Saint Amans*) [2].

---

[1]هم سكان منطقة الفلا ندرز وهي توجد في الجزء الشّمالي من بلجيكا، والمصطلح يدل على غالبية البلجيك ينظر الموسوعة الحرة.

[2] عبد الهادي التازي: **الوسيط في التاريخ الدولي**، ط1،دار شركة المعرفة،3ج،الرباط2011 ،ج3،ص155.

المبحث الثالث:

مظاهر العلاقات السّياسية والدبلوماسية في عهد مولاي إسماعيل العلوي مع الجزائر1672-1727 م

1-مرحلةالصّراع والصدام:

استمر حكم السّلطان مولاي إسماعيل فترة طويلة تجاوزت النّصف قرن،استطاع من خلالها تثبيت ركائز دولته في المغرب،وباتت الدولة العثمانية ممثلة في الإيالة الجزائرية تخشى طموحه الإقليمي بتجاوز خط نهر ملوية،وفق معاهدة الحدود الممضاة سنة 1065هـ/1654م مع أخيه محمد الأوّل (1632م/1664م) و اعترف بها أخوه المولى الرشيد(1666م/1672م) ومن مظاهر هذه المرحلة:

أ-دعم الجزائر لتمرد ابن محرز1090هـ-1679م/1096هـ-1685م:

تذكر المصادر التاريخية المحلية أنّ الجزائريين دعموا وساندوا تمرد أحمد ابن محرز ضد عمه المولى إسماعيل،بسبب العداء بين هذا الأخير والأتراك العثمانيين في الجزائر لعلم الجزائريين من أنّ المولى إسماعيل له أطماع توسعية في الشّرق، فأرادوا بهذا الدعم إحراجه وتهديد ملكه،ومما يدلل على أنّ ابن محرز كان على اتصال بالجزائريين هو ما ذكره الزياني بقوله:

«**وأن كلامهم مع ابن أخيه أحمد بن محرز راسلهم وراسلوه** »[1]وقد بيّن كذلك النّاصري هذا الاتصال بين ابن محرز والأتراك العثمانيين في الجزائر بقوله:

«**ثم بلغه أنّ الترك خرجوا بعسكرهم، واستولوا على بني يزناسن[2]وعلى دار ابن مشعل[3]وأنّهم قد مدوا يد الوفاق إلى ابن محرز وراسلوه وراسلهم،وانبرم كلامهم معه على حرب السّلطان**»[4].

---

[1] الضعيف الرباطي:المرجع السابق،ص65.

[2] قبائل أمازيغية في شمال شرق المغرب ،موطنهم الأصلي مدينة وجدة و يمتد مجال هذه القبائل إلى حدود الأراضي الجزائرية ومنهم من يقول أنّهم من عرب اليمن ينظر، قدور بن علي بن البشير اليزناسي العتيقي الورطاسي الحسني:**بنويزناسن عبر الكفاح الوطني**:مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط 1976م،ص ص18، 19.

[3]هي عبارة عن حصن يعود إلى اليهودي ابن مشعل بناحية تازا ،ينظر أبو القاسم الزياني:**البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، ص 165.ينظرمحمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص 40.

[4]أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص 65.

ب–مهاجمة المولى إسماعيل للجنوب الغربي للجزائر 1676 م:

خرج مولاي إسماعيل سنة 1089هـ/1676م غازيا للصحراء الجزائرية فترك مدينة تلمسان عن يساره،وذهب موغلا في الصّحراء مستقطبا القبائل وعاد بهم إلى أن وصل نهر الشلف،و على الضفة المواجهة للنهر فاجأتهم القوات الجزائرية،وأطلقت على الجيش المغربي نيران المدفعية،فأنهزم جيش السّلطان وتشتت تلك القبائل وقتل الوزير منصور الرامي[1].

ت–وقعة الكويعة 1112هـ/1700م:

واجه مولاي إسماعيل في إحدى حملاته على الغرب الجزائري في موقعة الكويعة قرب الشلف سنة 1112هـ/1700م[2] القبائل المتحالفة ضده، مستعملا خدعة عسكرية تمثلت في قصف مدفعي طيلة الليل للترهيب، ثم الهجوم الكاسح عند الصّباح فكانت النتيجة حاسمة، حيث قتل من القبائل حسب المصادر اثنا عشر ألف[3]،وسبب ذلك أن قبائل بني عامر العربية المتحالفة مع المولى إسماعيل إنسلوا من معسكره ليلا، عندما سمعوا مدافع الترك تطلق قذائفها لإرهابهم،وفي الصباح عندما علمت القبائل بفرار بني عامر إنهزمت هي بدورها دون قتال، ولم يبق مع السّلطان إلّا الجيش الذي قدم به من المغرب، وكان هذا سببا في رجوع المولى إسماعيل إلى عاصمة ملكه[4].

وعن هذه الموقعة ذكر عبد الكريم بن موسى الريفي:« **إلى أن وصل إلى بلاد شليف والقويعة وبقي هناك نحو تسعة أشهر إلى أن أكل من زرعها ونهب كثيرا من أموال أهلها وكانت بينه وبين الأتراك مقتلة عظيمة وملحمة كبيرة مات فيها القائد منصور بن الرامي والقائد عبد الله بن أحميدة وكثير من الناس وذلك في سنة إثنتي عشرةومائة وألف**»[5].

---

[1]عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**،ط2، شركة دار الأمة،الجزائر 2007،ج3،ص191.

[2]حسين مؤنس: **تاريخ المغرب وحضارته من الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، العصر الحديث للنشر والتوزيع،مج3،بيروت، 1992 ،ج2و3،ص243.

[3]محمد القبلي:**تاريخ المغرب تحيين وتركيب**،ط1،منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب،مطبعة عكاظ الجديدة،الرباط 2011،ص 408.

[4]عبد الله العمراني:**"سياسة مولاي إسماعيل الخارجية"** ،في مجلة البحث العلمي،عدد 4 و 5،السنة الثانية،المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط 1965،ص 300.

[5]عبد الكريم بن موسى الريفي:**زهر الأكم** ،دراسة وتحقيق آسية بنعدادة،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1992،ص191. وينظر أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي: **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**،تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي،ج1،الرباط 1994،ص127.

ث–وقعة المشارع في1103 هـ /1692 م:

اجتازت قوات سلطان المغرب مولاي إسماعيل الحدود الجزائرية،فما كان من الداي شعبان إلاّ أن يعلن الحرب ضد سلطان المغرب، فجهز عشرة آلاف من المشاة، وثلاثة آلاف من الفرسان، وفي مصادر أخرى، أربعة وعشرين ألف من المشاة وعشرين ألف فارس[1]والتقى الجمعان في مكان يسمى "المشارع" على نهر ملوية وهي في الحقيقة سلسلة من المعارك بدأت شرق تلمسان[2] ودارت المعركة بين الطرفين، تكبد فيها الطرف المغربي خسائر جسام، قدرتها المصادر بحوالي خمسة آلاف قتيل من المغاربة، بينما لم يقتل من الجزائريين سوى مائة[3]،فطلب مولاي إسماعيل الصّلح من الداي شعبان ونصبت خيمة لهذا الغرض تتوسط الجيشين، فاجتمع فيها الداي مع السّلطان وعقد الصلح[4]وعن هذا الصّلح يقول قاليبار*(Galibert)*:« **إنّ السلطان مولاي إسماعيل عندما كان ذاهبا إلى الخيمة التي نصبت من أجل إبرام عقد الصلح، كانت يداه مكتوفتين، وذلك إشعار باستسلامه، وخضوعه، وعندما وصل أمام الخيمة قبل الأرض ثلاث مرات، وأردف قائلا للداي:"أنت خنجر وأنا اللحم فإن شئت قطع" فلم ينله مكروه من الداي بيد أنّه اشترط عليه شروطا عجز عن تطبيقها فيما بعد**»[5] .

ج–تحالف المولى إسماعيل وباي تونس ضد الجزائر 1105هـ/1694م:

استغل مولاي إسماعيل توتر العلاقات بين الجزائر وتونس، وعقد تحالفا مع الباي "مراد " الذي حاصر مدينة قسنطينه سنة1700[6]،ليشن هجوما على الحدود الغربية للجزائر،فقرر الداي الحاج مصطفى(1700–1705) مهاجمة التونسيين وسحقهم، ثم تحرك قاصدا جيش مولاي اسماعيل الذي جمع حشودا قدرت باثنين وعشرين ألف مقاتل،وبعد قتال ومطاردة هزم مولاي إسماعيل بعد أن فقد خمسة آلاف قتيل[7]وغنم الجزائريون غنائم كثيرة ومن بينها فرس السّلطان مولاي إسماعيل، الذي

---

[1] *L éon Galibert :**Histoire de L'Algérie Ancienne et Moderne** ,Paris 1843,p 234.*

[2]ينظر محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق، ص 76.

[3] ينظر محمد بن ميمون الجزائري:**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1981،ص 24.

[4] نفس المصدر،ص 24.

[5]*L éon Galibert: Op.cit. ,p234.*

[6] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: المرجع السابق،ج3،ص206.

[7]عزيز سامح التر:المرجع السابق،ج 2، ص 441.

أهداه الجزائريون للملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" فيما بعد،هذا التّحالف الذي وردت إشارات عنه في الرسالة التي بعث بها "الداي شعبان"(1689م-1695م)،إلى الملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" بتاريخ 1سبتمبر1694م[1].

ح-وقعة الجديوية في 1112ھ/1700م:

تكبد المولى إسماعيل في صراعه مع الجزائريين هزائم كبيرة، ومنها هزيمة موقعة الجديوية[2]سنة 1112ھـ/1701م فبعدما توغل بقواته المقدرة بخمسين ألف جندي إلى حدود نهر الشّلف، وفي مكان يدعى "الجديوية" إلتقى الجمعان يوم 28 أفريل 1700م صباحا، وبعد أربعة ساعات من القتال،هزم جيش المولى إسماعيل، وجرح وترك رمحه عند أعدائه ولولا سرعة فرسه لقتل وعاد الجيش الجزائري بغنائم كبيرة[3]،رجع المولى إسماعيل مهزوما وشرع في تحصين المدن خوفا من الأتراك.

خ-حملة المولى إسماعيل على وهران سنة 1701م:

جهز مولاي إسماعيل حملة عسكرية على وهران لضمها للمغرب، في حالة استخلاصها من الأسبان، بقوة قدرت بعشرة آلاف من المشاة وثلاثة آلاف فارس وكانت الفرصة مواتية للجزائريين لو أنّهم وجدوا القابلية للتّعاون مع سلطان المغرب،ووحدوا جهودهم ضد الإسبان، لفتحت وهران قبل الفتح النهائي بسنين عديدة[4]،فاعترضت الحامية الجزائرية المجاورة لوهران قوات مولاي إسماعيل وباغتتها بمدافعها على نهر ملوية، وألحقت بالقوات المغربية خسائر كبيرة في الأرواح وعن هذه الغزوة قال الآغا يحي المزاري:«**ولما سمع الشريف سلطان المغرب مولاي اسماعيل بن الشريف العلوي بقتل العرب المتنصرة للداي شعبان[5]استغاظ غيظا شديدا وجمع جيشا عظيما لا يكاد**

---

[1]*Eugene Plantet:**Correspondances des deys d Alger avec la cour de France 1579-1833**,T1,Paris,1889,p415.*

[2] تقع مدينة الجديوية غرب الجزائر في وسط إقليم غليزان،يحدها واد رهيو، ومن الغرب مدينة الحمادنة، ومن الجنوب بلدية أولاد يعيش ومن الشمال بلدية الحمري .

[3]*H .D. degrammant : **Histoire D Alger sous la domination Turc ,1515-1830**, Ernest leroux ,Paris 1887,p270.*

[4]محمد علي داهش:**الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف**،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، 2011،ص79.

[5] ينظرعن المعركة آغا يحي المزاري:**طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**،تحقيق يحي بوعزيز،دار الغرب الإسلامي ،1990،ج1،ص229.وينظر عن القبائل المتعاونة مع الأسبان(المغاطيس) عبد القادر بن عبد الله المشرفي: **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عام**، تحقيق محمد بن عبد الكريم ،دار مكتبة الحياة،بيروت،د ت.

يسمع بمثله في أقاصي سوس وجاء حاركا به وهران سنة اثنا عشر من الثاني عشرفنزل بجبل هيدور وعاين احكامها ومنعها وإتقان صنعها فقال:"هذه أفعى تحت حجر تضر ولا تضر"وارتحل عنها مشرقا فقامت عليه الأعراب مع الأتراك إقامة الغضب»[1]،وقد ذكر إرنيست مرسيي مقولة المولى إسماعيل في وهران فقال مانصه:" *Ora ,dit il est une vipére alabri dun Rocher* "[2]

2-مرحلة الهدوء الحذر1727/1708م:

تعرض مولاي اسماعيل لهزائم عديدة أمام الجزائريين،كلما فكر في اختراق الحدود بين البلدين وهو واد التافنة،وأعتقد أنّه اقتنع بفكرة أنّ لا جدوى مع الصّدام المسلح معهم،فالتجأ إلى السّلطان العثماني مستثمرا العلاقات الودية بينهما لعله يستطيع التأثير على إيالة الجزائر وهذا ما توضحه الرسائل المتبادلة بين مولاي إسماعيل والسلطنة العثمانية.

- تقديم شّكوى بإيالة الجزائر للباب العالي:

بدأت مساعي السّلطان المغربي نحو السّلطنة العثمانية مذكرا إياها بالتّجاوزات المستمرة لحكام الجزائر، والتي تسيء إلى العلاقات المغربية العثمانية، لذا بعث برسالة للسلطان العثماني محمد الرابع (1648-1687م) مؤرخة في 5أوت 1683م يخبره بصنيع رجاله في الجزائر،ويذكره بمعاهدة التافنة التي ترسم الحدود بين الدولتين، وقد كان موقف السّلطان متفهما ومؤكدا الميل للسلام والاحترام بقوله:**«إن إيّالة الجزائر عند أمره ونهيه»**[3]

ب-الرد على الشكوى :

وصلت رسالة مولاي إسماعيل إلى السّلطان العثماني بخصوص الشّكوى بأهل الجزائر،التي إدّعى فيها السّلطان أنّ الجزائريين يتحرشون بالمغرب، فجاء الرد من السّلطان العثماني في رسالة مؤرخة بسنة 1725م يطلب فيها السّلطان من المولى إسماعيل السّماح والعفو عن الجزائريين ويهدد السّلطان

---

(1) آغا يحي المزاري:المرجع السابق، ص ص 231، 232.وينظر عن هذه الحملة كذلك محمد بن أحمد بن أبي راس الناصري:،المرجع السابق،ص 46.

وينظر أحمد بن عبد الرحمان الشقراني:**القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط**،تحقيق وتقديم ناصرالدين سعيدوني،دار الغرب الجزائري،ط1، 1991،ص69.

(2)*Ernest Mercier*:***Histoire Lafrique septentrionale (berberie)*** *,T3 ,Paris ,p317.*

(3) محمد علي داهش: المرجع السابق،ص 77.

العثماني إيّالة الجزائر في حالة الاعتداء على المغرب-وبكلمة عامية-**"بأن يمحي جرتهم"**[1]وهذه مقتطفات من الرسالة:«**إعلم أيّها السّيد الولي أن قبل أن يصل إلينا كتابكم الأسمى وخطابكم الأنمى كنّا لا نعرف ما هم عليه أهل الجزائر ولا أنهى إلينا فعلهم أحد كما أنهيتموه لنا ولا عرفنا ما صار عندهم ولاماهم عليه [...] وقد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد محلتهم وأرادوا الشرّ معكم وإنا لا نرضى منهم ذلك [...]وتلك الخرجة التي خرجوا لبلادك نطلب من كمال فعلك وحسبك أنّ تسمح لهم لوجهنا وإن عادوا يراجعونك ولو بكلمة نمحي جرتهم...** »[2].

فالمتعن في الرسالة التي بعث بها السّلطان للمولى إسماعيل، يتضح أنّ السّلطان العثماني قد أيّد المولى إسماعيل فيما أدعاه ضد الجزائريين، بالرغم من أنّه يقر بأنّ لا علم له بالصراع الدائر بين إيّالة الجزائر والمغرب.

ومما تقدم يمكن القول: أن علاقات مولاي إسماعيل مع إسبانيا مرت بمرحلتين وهما:

- المرحلة الأولى هي مرحلة الصّراع والمواجهة وتمثلت في العمليات العسكرية من أجل تحرير الثغور المغربية المحتلة وما نتج عنها من العمليات الجهادية.

-المرحلة الثانية هي مرحلة السّلام الحذر و التي طبعت بطابع تبادل السفارات بين البلدين واستقبال مولاي إسماعيل لرجال البعثات الدينية الإسبانية من أجل تحرير الأسرى.

أمّا علاقاته مع فرنسا فمرت بثلاث مراحل هي:

-مرحلة السّلم والتفاهم وتمثلت في تبادل السفارات وإمضاء المعاهدات .

-مرحلة الصراع والمواجهة وتمثلت في المواجهة العسكرية والحصارات.

-مرحلة القطيعة وجمود العلاقات من 1700-1727م

أمّا العلاقات مع الجزائر في عهد المولى إسماعيل فقد مرت هي الأخرى بمرحلتين وهما:

-مرحلة الصّراع والصدام العسكري.

-مرحلة السّلم الحذر.

---

[1] عبارة عامية متداولة عند الجزائريين ،ذكرها السّلطان العثماني في رسالته ،وتعني أدمرهم وأقطع دابرهم.

[2] ينظر عبد الهادي التازي:المرجع السابق ،ج9،ص22.

-

الفصل الخامس

جوانب الاختلاف في سياستهما و دبلوماسيتهما مع دول ضفتي الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

المبحث الأول:

عصر أحمد المنصور السّعدي وعصر مولاي إسماعيل العلوي.

المبحث الثاني:

بنية رسائلهما الدبلوماسية.

المبحث الثالث:

أوجه الاختلاف في علاقتهما السّياسية والدبلوماسية مع إسبانيا.

المبحث الرابع:

أوجه الاختلاف في علاقتهما السّياسية والدبلوماسية مع فرنسا.

المبحث الخامس:

أوجه الاختلاف في علاقتهما السّياسية والدبلوماسية مع إيالة الجزائر

تمهيد:

كان الأداء السّياسي والدبلوماسي لكل من السّلطانين أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل العلوي مختلفا من حيث تعاملهما مع دوّل ضفتي غرب البحر الأبيض المتوسط، هذا الإختلاف يتبلور بوضوح في عصري كل منهما، ويتجلى ذلك في المظاهر السّياسية والدبلوماسية التي طبعت كل عصر بطابع خاص،فبرزت دوّلا كانت ضعيفة فيما مضى، وتراجعت أخرى كانت قوية في السّابق، وحدثت معارك غيّرت مجرى العلاقات الدولية.

فماهي جوانب الإختلاف وعوامل التباين في أداء السّلطانين في المجال السّياسي والدبلوماسي مع دوّل ضفتي غرب البحر الأبيض المتوسط؟

المبحث الأول:

عصر أحمد المنصور السّعدي وعصر مولاي إسماعيل العلوي.

(1578م - 1603م) / (1672م - 1727م)

تقتضي المقارنة بين دبلوماسية السّلطانين أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل العلوي معرفة خصائص وسمات عصريهما،والوقوف عند الدوّل المؤثرة، والفاعلة في الأحداث أنذاك، إضافة إلى الشّخصيات الدولية التي تعامل السّلطانان معها في مجال السّياسة والدبلوماسية .

1-سمات عصر أحمد المنصور السّعدي1578م/1603م:

اتّسم القرن العاشر الهجري /السّادس عشر الميلادي، بمميزات جعلت منه قرنا مليئا بالأحداث، والصراعات، أثرت على دوّل ضفتي الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط،وبرزت فيه شخصيات سياسية، تركت آثارها في العلاقات الدولية، فما هي الخصائص العامة لهذا العصر؟

-الغزو الإيبيري للسّواحل.

عُرف القرن العاشر الهجري /السّادس عشر الميلادي،بقرن الإسبان والبرتغاليين،فقد كان المد الإيبيري في المغرب الأقصى خاصة، وشمال إفريقيا عامة، الصّدمة التي أذهلت المغاربة[1]،فقد كوّن البرتغاليون بالرغم من صغر مساحتهم الجغرافية -تسعون ألف كلم- إمبراطورية استعمارية كبيرة بسطت نفوذها في الشّرق الإسلامي، كما سيطرت على معظم السّواحل الأطلسية المغربية، وباتت تتطلع إلى الدواخل منه،كما توجه الأسبان إلى الهيمنة على السّواحل الجزائرية، والتونسية، وأحكموا القبضة عليها،ومن بين الشّخصيات السياسية القوية والمؤثرة والصّانعة للأحداث الدولية في المنطقة الأيبيريةفي الثلث الأخير من القرن السّادس عشر الميلادي،نذكر الملك الإسباني فيليب الثاني الذي تعزز نفوذه وقويت إمبراطوريته،بعد أن نجح في ضم ممتلكات الإمبراطورية البرتغالية سنة 1580م[2]إثر هزيمتها في معركة وادي المخازن سنة 1578م[3].

– ظهور الأتراك العثمانيين في الحوض الغربي للمتوسط:

أحدث ظهور الأتراك العثمانيين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مع مطلع القرن 10هـ/16م ، نوعا من توازن القوة في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، والتي عرفت

---

[1]عبد المجيد القدوري: **المغرب وأوربا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر(مسألة التجاوز)**،ط1،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب،2000،ص82.

[2] *L.A.Rebello de la silva : **invasion et occupation du royaume de Portugal en 1580**, librairie Auguste Durand ,Paris 1864,T1,pp284 ,285.*

[3]ينظر جلول بن قومار: المرجع السابق،ص14.

التّفكـك والانهيـار وانعـدام الوحـدة السّياسـية بعـد سـقوط دولـة الموحـدين، فكـان مجـيء الأتـراك العثمانيين كمسلمين،وممثلين للخلافة الإسلامية لشمال إفريقيا بالغ الأثر على التواجد الإسباني في شمـال إفريقيـا[1]،إذ سـرعان مـا اصـطدم الأتـراك العثمـانيون بـالقوة الإسـبانية، وأفشـلوا مشـروعها في السّيطرة على الحوض الغربي للمتوسط، وخاصة بعد أن دانت لهم كل من الجزائر،وتونس،وطرابلس الغرب،وتطلعوا إلى دولة الأشراف السّعديين الناشئة لضمها للحكم العثماني في إفريقيا، لولا استماتة بعض السّلاطين السّعديين في الدفاع عن المغرب مبدين معارضتهم مرة، ومصطدمين مع الأتراك العثمانيين مرات عديدة[2]ومراوغين ومداهنين لهم كالسّلطان أحمد المنصور في السّياسة الخارجية حالة أخرى[3].

– من معارك القرن السّادس عشر الكبرى:

عاصر أحمد المنصور معارك كبيرة،كان لها أبلغ الأثر في الحوض الغربي للمتوسط،وترتبت عنها نتـائج سياسية،ودبلوماسـية،وأخرى إسـتراتيجية،ميّزت عصـر المنصور،وسـاهم تفـي إعـادة تشـكيل الخريطة السّياسية والإستراتيجية للدوله،فانكمشت من جرائها قوى إقليمية كبيرة،وبرزت إلى مصاف الدول المؤثرة أخرى،ومن هذه المعارك.

– التّراجع العثماني (معركة ليبانت) 1571م:

كانـت معركـة "ليبـانتو" إحـدى المعـارك الـتي اسـتطاعت فيهـا القـوات الأوروبيـة، والرابطـة المقدسـة مجتمعتين تحت لواء "جوان" النمساوي في فجر السّابع من أكتوبر سنة979هـ/1571م من إلحاق هزيمة كبيرة بالأسطول العثمـاني[4]،الـذي كـان تحـت إمـرة "علـي باشـا" وقـد أكسـب هـذا الانتصـار

---

[1] ينظر صالح كليل:**سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط**،مذكرة ماجستير في التاريخ غير منشورة،كلية الآداب والعوم الإنسانية،قسم التاريخ،جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة 2006،2007،ص87.

[2] ينظر عن هذه الصدامات العثمانية المغربية،عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1، ص ص 176،177،178.

[3] محمد خير فارس: المرجع السابق،ص 53. وينظر عمار بن خروف :المرجع السابق ،ج1،ص219.

[4] كانت المعركة بالقرب من "ليبنته"،واشتبكت فيها قوات العثمانيين مع الأساطيل المسيحية مدة ثلاث ساعات، انتهت المعركة بانتصار المسيحيين فغنموا 130سفينة عثمانية،وأحرقت وأغرقت 94 ،وغنموا 300 مدفعا،وأسروا 30ألف، وكان لهذا النصر فرحة عارمة في كامل أوروبا. للمزيد من الإطلاع ينظر:محمد فريد بك المحامي:**تاريخ الدولة العلية العثمانية**،ط3،مكتبة الآداب، القاهرة،مصر 2009،ص 111. وعـن مشـاركة الجزائـريين في معركـة ليبانـت سنة 1571م ينظـر عمـار بـن خـروف :المرجع السابق،ج1،ص108. وينظر كذلك

*Ernest Charrière:**négociations de la France dans levant** ,T3,imprimerie impériale ,Paris ,P240.*

الكاسح الأوروبيين المتحالفين ثقة بالنفس،وفي المقابل كانت المعركة بمثابة العد التنازلي للقوة العثمانية.

– التّفوق المغربي(معركة وادي المخازن) 986هـ/ 1578م.

انتهت معركة وادي المخازن التي توفي فيها الملوك الثلاثة، الأوّل ميتة طبيعية، هو عبد الملك السّعدي،والثاني بالسّيف هو "الضون سيبستيان البرتغالي"، والثالث غريق الواد هو "المتوكل السّعدي وقد هلك الثلاثة وهم يتطلعون إلى عرش المغرب،ولم يتمتع به أي منهم، وعند مغيب الشّمس كان كل شيء قد انتهى،ودقّ الأمير أحمد بوق التّجمع،وفي صمت عميق مليءبالحزن والأسى أعلنت وفاة أخيه مولاي عبد الملك،أسفرت معركة وادي المخازن الحاسمة عن نتائج بعيدة الأثر سياسيا، واجتماعيا،واقتصاديا،فقد نقلت المغرب نقلة نوعية في تاريخه الحديث،وانعكست نتائجها على العلاقات الدولية في تلك الحقبة،فأصبح المغرب ليس ذلك القطر التي تصارعت من أجله القوى الدولية المجاورة،كمنطقة نفوذ حيوية،بل اكتسب من القوة السّياسية، والعسكرية،والاقتصادية، ما أهله إلى أن يلعب دورا بارزا مع القوى التي هيمنت على البحر الأبيض المتوسط في القرن السادس عشر[1].

2–سمات عصرالمولى إسماعيل1672- 1727 م:

عرف الثلث الأخير من القرن السّابع عشر الميلادي، وبداية العقد الثالث الميلادي ، تحولات كبرى على السّاحة الدولية، برزت فيه قوى كانت في القرن السادس عشر متواضعة، وتهاوت أخرى كانت إلى أمد قريب قوية شكلت إمبراطوريات كبيرة،هيمنت على العالم الإسلامي،والمسيحي على السّواء،في هذا العصر عاش المولى إسماعيل،واستطاع أن يبقى في حكم المغرب أكثر من نصف قرن،تمكن خلالها من التّعامل مع مستجدات عصره، وتفاعل دبلوماسيا، وسياسيا،مع الجهات الدولية المؤثرة فيه، فما هي المميزات العامة لهذا العصر؟

–تدهور القوة العسكرية للإسبان:

كانت إسبانيا في القرن السّادس عشر قوة عسكرية كبيرة،استطاعت أن تفرض وجودها في الحوض الغربي للمتوسط من خلال احتلال أجزاء كبيرة من شمال إفريقيا، وشن غارات وحملات عسكرية قوية على منطقة المغرب الإسلامي، حتى أضحى لقمة سائغة للإسبان والبرتغاليين ،برز

---

[1] إبراهيم حسن شحاتة: **وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب**،ط1،دار الثقافة ،الدار البيضاء،1979،ص09. وينظر أيضا جلول بن قومار:المرجع السابق ،ص ص77، 78.

على رأس هذه الإمبراطورية ملوك أقوياء نذكر منهم شارل الخامس (1519-1556م) وابنه فيليب الثاني(1556-1598م) لكن بوفاة هذين الملكين دخلت إسبانيا في صراعات داخلية، وتعرضت لهزائم، فقدت من خلالها الكثير من مستعمراتها،فتراجع دورها الريادي في السّياسة الدولية[1] لتترك المجال لكل من فرنسا في عهد لويس الرابع عشر (الملك الشمس)، ليدخل هذا الأخير في معارك وصراعات مع ألمانيا وبريطانيا لما يعرف بحرب الوراثة [2]،ومن خلال الرسالة التي بعث بها المولى إسماعيل الى الملك الإسباني "كارلوص الخامس" واللهجة التي خاطبه بها، لدليل على أن إسبانيا لم تكن في وضعية قوية كما كانت في عهد الملوك الأقوياء في القرن السّادس عشر،ومما جاء في الرسالة: « **إذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا والجد من ابتغاء مرضاتنا فلا ترونا إلا ما يعجبكم**»[3].

- بروز فرنسا(لويس الرابع عشر):

كانت فرنسا في القرن السّادس عشر منشغلة بترتيب بيتها الداخلي،ولم يكن لها صلات قوية مع المغرب،و بحلول القرنين السّابع عشر والثّامن عشر وصل رجال أقوياء إلى سدة الحكم بفرنسا كالوزير ريشيليو والكاردينال مزران الذي سيطر على الملك حتى وفاته سنة 1661 بعدما كان لويس الرابع عشر تحت وصاية أمه آن النمساوية ،و لما بلغ الملك سن الرشد وتقلد زمام الحكم، اتخذ لويس الرابع عشر لنفسه في حكم فرنسا سياسة الاستبداد، والحكم المطلق، وعمل على تقوية الملكية المطلقة إلى ذروة مجدها وأوج سطوتها، وتميزت الحقبة ما بين (1683-1715) بكثرة حروبه ومشاريعه التوسعية في أروبا والمعروفة بحرب المحالفة العظمى[4] وهو صاحب المقولة الشهيرة

---

[1]ينظر هربرت فيشر:**أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية**،ط 3،تع زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى،دار المعارف مصر،ص ص 252، 253.

[2] إمتدت حروب الوراثة الإسبانية ،سنوات طويلة من سنة 1668إلى سنة 1713، إثر وفاة الملك الإسباني شارل الثاني الذي لم يترك عقبا ،وقد تنازع عن وراثة حكم إسبانيا كل من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر وإمبراطور ألمانيا ليبولد ينظر جلال يحي:**التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العامية الأولى** ،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،ص65.

[3] عبد الهادي التازي:المرجع السابق،مج 9،ص 109.

[4] حرب المحالفة العظمى(1688-1689) ،حرب بين فرنسا ودوّل حلف أوجزبرج، المعروف بالمحالفة العظمى بعد سنة 1689، فقد وعد لويس الرابع عشر ملك إنجلترا جيمس الثاني بالوقوف بجانبه لإسترداد عرشه بعد أن خلعه منه وليم الثالث ينظر الموسوعة الحرة.

"أنا الدولة والدولة أنا"[1]،وفي عهد وزيره "كولبير" عرفت البحرية الفرنسية إصلاحات كبيرة،رفعت من جاهزيتها القتالية، إلا أنها لم ترق للمستوى المطلوب، مقارنة بالقوات البرية ويتضح ذلك من تقرير "كولبير" المؤرخ في سنة 1664 والذي جاء فيه:«**احتلت فرنسا طوال حكم لويس الرابع عشر المكانة الأولى في أروبا،وكانت مركزا للسياسة الدولية،وحين دعت إنجلترا إلى ضرورة تحية السفن الإنجليزية،رفض لويس الرابع عشر ذلك بشدة،وطلب من إنجلترا أن تبدأ هي بتحية البحرية الفرنسية، ثم يقوم بعد ذلك بالرد عليها**»[2]،أشعل "لويس الرابع عشر" في أوروبا سلسلة من الحروب كانت بدايتها الأولى من سنة 1667م إلى سنة 1668م، لتبدأ مرحلة أخرى وهي الحرب مع هولندا من سنة 1675إلى سنة 1697م وأخيرا حرب الوراثة في فرنسا وإسبانيا سنة 1701[3].

– إشتداد القرصنة:

مع نهاية القرن السّابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الميلادي،إزداد نشاط القرصنة والقرصنة المضادة في الحوض الغربي للمتوسط، فقد كان هذا النّشاط البحري سمة القرن، مارسته معظم الدول المطلة عليه،سواء الإيالات العثمانية– الجزائر وتونس وطرابلس الغرب – أو المغرب الأقصى الممثل في دولة الأشراف العلويين باعتبار هؤلاء، يمثلون دار الإسلام،والدول الأروبية النصرانية في الجهة الشّمالية منه الذين يمثلون دار الحرب، فقد دارت على صفحة مياه البحر الأبيض المتوسط معارك بحرية شرسة،نتج عنها مآسي كثيرة بين الجانبين وأفضت إلى الآلاف من الأسرى من الجانبين[4].

واتّخذت الدول النشاط القرصني كأهم مورد اقتصادي لخزائنها، من جراء ما يدره الأسرى عند البيع أو الافتداء من أرباح [5] أصطلح عليها بعائدات البحر، وتوزع النسب والأرباح حسب مشاركة البحارة على المتن الأسطول،ومن الأسباب التي أدّت إلى تزايد نشاط القرصنة– إضافة إلى الصّراع

---

[1]*Poncet Olivier : **L'état Royale XVII, XVIII, une anthologie** in ,bibliothèque de L'école des chantes, Année, 2006,V164,N^{O} 164 ,P240.*

[2] نفس المرجع،ص 73.

[3]جيفري براون : **تاريخ أوروبا الحديث** ،تر علي المرزوقي،ط1، الأهلية للنشر والتوزيع،عمان الأردن،2006،ص291.

[4]ابراهيم حركات:"**مساهمة المغرب في حركة الجهاد البحري**"،في مجلة دعوة الحق،العددان 6 و7،جوان،جويلية،المغرب 1979م،ص88.

[5]*Jean Malthis : **Trafic et prix de Lhomme en Méditerranée aux XVIIe et XVIII siècle** ,in Annales économies ,sociétés ,civilisation , 9^{e} année ,N^{0} 2 ,1954,P161.*

الديني – هو الرفض الذي أبداه المسيحيون من دخول السّفن التجارية الإسلامية لموانئهم قصد الاتجار معهم،وفي نفس الوقت يطالب الفرنسيون والإنجليز وغيرهم، من الإيالات العثمانية في شمال إفريقيا ووفق معاهدات بينهم، بحماية تجارتهم من القراصنة،و من مبدأ التعامل بالمثل، ازدادت حدة الصّراع بين الجانبين ليتحوّل البحر الأبيض المتوسط إلى حرب[1]، شبه مقدسة بين الدول المسيحية الصّاعدة بسبب ما أنتجته النهضة الأروبية من وسائل القوة العسكرية، ثم تنامي الروح الدينية في نفوس النصارى إحياء لأمجاد الحروب الصليبية ضد المسلمين في القرون الوسطى ،وبين الطرف الإسلامي الذي كان يسعى إلى رد الغزو المسيحي عن أراضيه واعتباره واجبا دينيا يفرضه الجهاد إذا تعرضت ثغور المسلمين إلى الإعتداء والغزو.

---

[1] *H.Degrammont**: la course L'esclavage la Rédemption A Alger** in revue Historique 9Année ,T26,Ancienne librairie germer ,Ballienne ,Paris 1884,p2.*

المبحث الثاني: بنية رسائلهما الدبلوماسية.

-رسائل أحمد المنصور والمولى إسماعيل الدبلوماسية:

عرفت الحالة الثقافية في العهد السّعدي عامة، وفترة أحمد المنصور خاصة، بالازدهار وقد تجلى ذلك في تزايد معاهد العلم وكثرة العلماءوتشجيع المنصور لهم[1]،وقد ذكر عبد العزيز الفشتالي مانصه:

«**وكان أيضا يتعاطى أيده الله، بمحضر الملأ من الفقهاء والعلماء، الذين يجمعهم للتحليق في مجلسه الكريم للمذاكرة**... »[2]،وحتما فإنّ أحمد المنصور اكتسب من كل علم نصيب، وظهرت فصاحته حتى أنه كان يقرض الشّعر، بينما عرفت الحالة الثقافية في العهد العلوي الأول نوعا من الجمود والتراجع فماهي الصفات المميزة للسطانين في رسائلهما الدبلوماسية؟

أ-قوّة اللّغة عند المنصور:

إتصفت رسائل أحمد المنصور الدبلوماسية التي وجهها إلى ملوك العالم وقادته، بقوة اللغة، وحسن البيان،ومتانة الأسلوب،مما يدل على أن أحمد المنصور متمكن من ناصية اللغة، وقواعد النحو العربي، فجاءت رسائله قوية السّبك، جزلة الألفاظ[3]، ذات عبارات موحية،فيها سجع غير متكلف،تتميز بطول الديباجة كعادة الرسائل الديوانية في تلك الفترة حيث يبالغ المرسل في عبارات الشّكر والثّناء إلى المرسل إليه،ويطيل في ذلك، ومن الأمثلة،الرسائل التي نشرها المؤرخ الأستاذ عبد الله كنون في كتابه رسائل سعدية، ومنها الرسالة التي بعثها المنصور إلى قائد الأساطيل البحرية "علج علي"،عندما رجع عن فكرة غزو المغرب،وديباجتها تتميز بالطّول لتصل إلى أحد عشر سطرا، وبسجع جميل للكلمات، ولغة متينة واستعمال صيغة اسم التّفضيل على وزن أفعل حيث يقول:

« **المثابة التي لها في تدبر الأساطيل الجهادية الخاقانية الأثر المشهور والمكانة التي لقدرها في الأبواب العثمانية التنويه المسموع، والصيت المذكور،الحازم الذي لاينفك ممتطيا لنكاية الكفرة متون البحو،والأصيل الذي له في إيثار الجهاد السند المروي والخبر المأثور الأجل الأفضل،الأحفل الأكمل،الأثير الأحظى ...**»[4].

---

[1] عبد الكريم كريم:المرجع السابق،ص317.

[2] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص268.

[3] محمد جادور:المرجع السابق،ص132، 133.

[4] ينظر أسلوب الرسالة كاملة عند عبد الله كنون:المصدر السابق،ص68.

ب- ركاكة اللّغة عند المولى إسماعيل:

جاءت رسائل مولاي إسماعيل الدبلوماسية في المجمل ضعيفة التركيب،مهلهلة الأسلوب، تحتوي على الكثير من اللهجة العامية، أو الدخيلة على العربية،مما يوحي بتدني مستوى الكتابة الديوانية في بلاط المولى إسماعيل،فهل يعود ذلك لإنتشار الجهل ؟ أم لتعمد المولى إسماعيل إتخاد الأساليب القريبة من العامية لتسهيل الترجمة للمرسل إليه [1]،أو يكون مرد ذلك أنّه لم يكن في كثير من الأحيان، يكتب رسائله بنفسه،بل كان يملي على الكاتب الرسالة،ويلزمه بقراءتها عليه قبل ختمها،ومثال ذلك الرسالة التي بعث بها المولى إسماعيل إلى الملك الإسباني كارلوس الثاني مؤرخة في 20سبتمبر 1690م والتي تحتوي على بعض الهفوات اللغوية، والأسلوبية، كاستعمال-كلمة الفرايلي وهي كلمة إسبانية معناها الراهب – وقوله بأسلوب لغوي ضعيف:«**كيف وقد أخذوا العرايش من أول وهلة بل ضغطوا الشيخ ابن السّلطان الذهبي**»[2]،وفي وثيقة جواز و ترخيص من المولى إسماعيل للبعثة الدينية الإسبانية التي قدمت للمغرب لتفقد وافتداء الأسرى، جاءت عبارات ركيكة منها قوله :«**أن يتهلاّوْا في الفرآيلية المذكورين،الذين يجوزون في بلادهم ويقفون معهم ويقضون لهم كل ما يحتاجونه عندهم من أمور الطريق ويعسّون**[3]**عليهم**...»[4]،وماتجدر الإشارة إليه أنه بالرغم من تدني أسلوب رسائله الدبلوماسية إلا أنها تدل على أنه سلطانا قويا،كما بدا المغرب في زمنه من الدول الفاعلة في السياسة الدولية،في الحوض الغربي للبحرالأبيض المتوسط[5].

ت- استعمال المصطلحات العثمانية في رسائل المنصور:

استعمل المنصور في رسائله الدبلوماسية الكثير من مصطلحات اللغة العثمانية، ومنها الرسالة التي يخاطب فيها جيش الجزائر والتي وردت فيها مصطلحات عثمانية منها، ياباش لار،بلكباش لار،واطنباش لار،يلظاش[6].

---

[1]عبد الله العمراني:"**سياسة مولاي إسماعيل الخارجية**"،في مجلة البحث العلمي،العدد 4 و5،السنة الثانية،جانفي،أوت 1965م،ص299.

[2]نفس المرجع،ص 295.

[3] لفظة في اللسان الدارج تعني يحرسونهم.

[4] ينظر عبد الحي بنيس: المرجع السابق،ص 209.

[5] عبد الله العمراني: المقال السابق، ص 299.

[6] ينظر نص الرسالة كاملة، عبد الله كنون:المصدر السابق ،ص 92.

ج – استخدام مصطلح خديمنا الأكبر الأعز في رسائل المولى إسماعيل:

كانت الألقاب الدبلوماسية في رسائل مولاي إسماعيل توصف بعبارة خديمنا الأكبر الأعز مرة، وبالسّفير مرة أخرى، وبكلمة الإنباشدور حينا آخر، حيث خاطب لويس الرابع عشر بقوله:«**وجهنا إليكم إنباشدور من عندنا وسفيرا من جانبنا العلي بالله** ... »[1] وورد في رسائله الموجه إلى فرنسا كلمة صاحبنا، في إشارة إلى السّفير ابن عائشة، وقد استخدم مولاي إسماعيل مبعوثين كسفراء في مهام دبلوماسية من مختلف الشّرائح الاجتماعية في المجتمع المغربي، فمنهم التجار اليهود "كحاييم طوليدانو" و "ابراهيم ميموران" أو من فئة رياس البحر "كعبد الله بن عائشة"و"محمد تميم" أو من الكتاب "كحمو بن عبد الوهاب الغساني[2]و "عبد السلام بن جسوس"[3]

ت – استخدام مصطلح الخادم – الرسول في رسائل المنصور:

كان أحمد المنصور يستخدم في مراسلاته الدبلوماسية في مكاتباته مصطلح خادمنا، أو رسولنا، وفي الرسالة التي بعث بها إلى الملكة الإنجليزية إليزابيث الأولى[4]فقد خاطبها بعبارة نبعث اتجاهكم رسولا من قبل مقامنا العلي،وأنه يرد على مملكتك خدامنا حملة هذا الكتاب الكريم، أوحامل هذا الخطاب الكريم خديم مقامنا العلي،أو ورد على مقامنا خدامنا القافلون من جهتكم[5].

ت– استعمال مصطلح الطاغية مع الأسبان في رسائل المولى إسماعيل:

درج المولى إسماعيل في رسائله الدبلوماسية مع ملك إسبانيا فيليب الخامس، أن يصفه في بداية الرسالة **بالطاغية**[6] وهذا ما ورد في الرسالة التي بعث بها المولى إسماعيل بتاريخ 1128هـ/ 1716م إلى الملك الإسباني فيليب الخامس يطلب فيها تحرير أسير جزائري في إسبانيا، ومما جاء فيها:«**إلى طاغية قشتالة،ليون،أرغون،نبارة،ميورقة الأندلسية العليا والسفلى وغيرها فيليب كينط سلام الله على من اتبع الهدى**... »[7]وفي رسالة أخرى مؤرخة في عشرين محرم 1129هـ/ 1717 م تتعلق

---

[1]محمد جادور: المرجع السابق، ص ص 225، 226.

[2] نفس المرجع، ص251.

[3] نفسه.

[4]*Henry de Castries:* Henry De Castries **: les sources inédites de L histoire du Maroc** *T2, 1925 ,Angleterre, p20.*

[5] محمدجادور:**الدبلوماسية السعدية والدبلوماسية العلوية استمرارية أم قطيعة أحمد المنصور والمولى إسماعيل نموذجا**،مقال في كتاب التاريخ والدبلوماسية،المرجع السابق،ص225.

[6] شديد الظُّلم، متكبِّر عاتٍ، جبَّار، عنيد، يأكل حقوق الناس ويقهرهم ينظر: مادة طغى في قاموس المعاني الجامع.

[7] عبد الرحمان بن زيدان:**روضة التعريف**،ص 130،131.

بمعاملة الإسبان المشينة لرعية يهودية من خدام المولى إسماعيل جاء فيها:«**إلى فيليب كينط طاغية قشتالة،ليون،أرغون وبسكاية... »**[1]،بينما نجده في رسائله مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا يخاطبه بقوله:«**إلى عظيم الروم وكبير مملكة الفرنسيين... »**[2]ومرة أخرى«**بإلى المعظم المبجل...»**[3]وفي حالات أخرى يخاطبه بقوله:«**إلى عظيم الروم النبراضور لويش الرابع عشر صاحب مملكة الفرنسيس... »**،ولم أقف في رسائله تجاه لويس الرابع عشر بأن وصفه بالطّاغية،فلا أدري أنّ استعمال عبارة الطّاغية في مراسلته مع ملك إسبانيا "كارلوس الخامس" هو مجرد تعبير دبلوماسي درج عليه المولى إسماعيل،أم أنّ المصطلح تعوّد عليه المسلمون في مخاطبة ملوك النّصارى،أم أنه كان يقصد بهذا النعت،التقليل من شأن هذا الملك،الذي يعاني من مصاعب سياسية،عكس الملك الفرنسي القوي لويس الرابع عشر،أم أن العداء التّاريخي بين البلدين هو الذي دفع بالمولى إسماعيل أن يصفه بهذا النّعت[4].

ث- استخدام المنصور للشفرة:

حافظ المنصور في مراسلاته على سرية المعلومات، فكان يستعمل الرموز السّرية أو ما يعرف بالشّفرة، وهو ابتكار قديم، فقد فهم المنصور أهمية وقيمة المعلومة في الرّسالة، وكان حريصا على أن لا تصل للآخرين، فعندما وجه المنصور سفارة مغربية برئاسة ظ سنة 1600م للملكة إليزابيث الأولى، في شأن تنظيم نزول عسكري في الهند الشّرقية والغربية لإحكام الخناق على المصالح الإسبانية، حتى تستجيب لتحرير الثغور المغربية[5]،فنجده يستعمل هذا الأسلوب من الكتابة والتي سمّاها الأستاذ عبد الهادي التازي "**بالكتابة الباطنية**"[6]،أمّا من حيث المبعوثين الدبلوماسيين فإنّ

---

[1] ينظر الرسالة كاملة في الملحق رقم 18، ص242.

[2] ينظر الرسالة كاملة في الملحق رقم 07،ص229.

[3] ينظر الرسالة كاملة في الملحق رقم 08 ،ص231.

[4] لم تشر المصادر التاريخية أو كتب السيرة، أن النبي إستخدم مصطلح الطاغية في مرسلاته مع الملوك الذين عاصروه، بالرغم من ظلمهم وتعسفهم لرعياهم، ورعايا الأمم الأخرى، فقد خاطبهم بقوله:إلى عظيم الروم، إلى عظيم الفرس،إلى المقوقس عظيم القبط.ينظرمحمد أمين شاكر حلواني وعبد الوهاب عبد السلام طويلة:**عالمية الإسلام ورسائل النبي (ص) إلى الملوك والأمراء**، دار القلم، دمشق،ص ص 112، 125، 133.

[5]عبد الهادي التازي:"**لغة الوثيقة الدبلوماسية في مغرب الأمس بين التأثير والتأثر بالنسبة للغات الأخرى** "في مجلة المجمع العلمي، مؤتمر الدورة الرابعة والخمسين،ج 62، القاهرة 1988،ص86.

[6]عبد الهادي التازي: " **تقديم مخطوطة مغربية حول المراسلات بواسطة الأرقام العربية**"،في مجلة مجمع اللغة العربية،بحوث مؤتمر الدورة التاسعة والأربعون،القاهرة 1983،ص 200.

أحمد المنصور إعتمد على شخصيات لها مكانة علمية، واجتماعية كبيرة نذكر منهم الكاتب "أحمد بن علي الهزالي"، والقائد "أحمد بن ودة العمري"، والقاضي "أبو القاسم الشّاطبي"،و"الرايس رزوق".

لقد وفق السّلطان أحمد المنصور الذهبي في إخفاء معلوماته، وأخباره السّياسية والدبلوماسية عن أعدائه في الداخل والخارج، واستطاع أن يظلل جواسيس إسبانيا، الذين كانوا يتتبعون أخبار المغرب في داخله وخارجه،ومرة أشاع أحمد المنصور الذهبي أنه بعث سفيره "عبد الواحد بن مسعود عنون"[1]إلى ميناء الأسكندرونة[2]بالشّام للحصول على الأحجار الكريمة،التي كان المنصور مولعا بها،وأن البعثة إنما إتخذت طريقها عبر إنجلترا لتحصل على عون الملكة الإنجليزية إليزابيث لتسيير رحلة بحرية تنقل السفير إلى ميناء الإسكندرونة، وفعلا حرر المنصور رسالة إلى الملكة إليزابيث بتاريخ 12من رمضان 1008هـ الموافق لـ 27 مارس 1600م ومما جاء فيها :

«...والذي أوجب لمكانك المكين أنه سيرد على مملكتك خدامنا حملة هذا الكتاب الكريم الذين وجهناهم إلى حلب لقضاء بعض مئاربنا »[3]

وبعد مفاوضات تمهيدية في مراكش بين المنصور وبين ممثل الملكة البريطانية،وصلت المعلومات إلى سفير إسبانيا بمراكش ديمارشينا (*Démarchénal*) فكتب لدولته رسالة حررت بتاريخ 01سبتمبر 1600م مفادها،أن السّلطان المغربي بعث سفيرا إلى الشّام عبر بريطانيا لشراء اللؤلؤ، وقد إنطوت عليه الحيلة، وأوصل معلومات مغلوطة لحكامه،وظل السّفير "عبدالواحد بن مسعود عنون" يكاتب السّلطان السّعدي طيلة الشّهور التي قضاها في لندن وظل يحرر مذكراته حول مهمته، ليس عن طريق الأسلوب المعتاد في كتابة الرسائل الدبلوماسية ولكن بواسطة الأشكال السّرية [4]،وما تجدر الإشارة إليه أن الملكة إليزابيث تتجاوب مع أحمد المنصور حول تقييم أخبار هذه السّفارة كثيرة، ثم يبعث لها المنصور برسالة شكر وإمتنان للإستقبال الذي خصصته لسفيره ويقبل العذر منها[5].

---

[1]عبد الواحد بن مسعود بن محمد عنون من مواليد 1558م لم يعرف تاريخ وفاته،كان الكاتب الأول للسلطان أحمد المنصور الذهبي،بعثه في سفارة للملكة الإنجليزية إليزابيث الأولى عام 1600م،لعقد تحالف إنجليزي مغربي ضد إسبانيا.

[2]هو ميناء سوري متنازع عليه، يقع في الزاوية الشمالية، الشرقية للبحر الأبيض المتوسط،يعد المنفذ الطبيعي لمدينة حلب،استولى عليه كمال أتاتورك سنة 1939م.

[3]عبد الهادي التازي: **الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ**،مطبعة المعارف الجديدة،نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي،الرباط 1983م، ص 41.

[4]نفس المرجع، ص 41.

[5] نفسه، ص 42.

ومما تقدم يمكن القول:

- يمكن القول أن جوانب الإختلاف في الأداء السياسي والدبلوماسي للسلطانيين هي كثيرة أذكر منها:

- من ناحية العصر الذي عاش فيه السّلطانان، أجِد أنّ العصرين مختلفان من حيث الأحداث والوقائع فقامت فيه دولا كانت قوية مؤثرة في الأحداث، وانهارت أخرى وتدهور غيرها وتراجع، فعندما أتحدث عن القرن السّادس عشر فإنّ القوتين العسكريتين الكبيرتين المتنافستين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط هما الإسبان والعثمانيين، أمّا عصر المولى إسماعيل فكان عصر القوتين الصاعدتين فرنسا وانجلترا.

-تميز عهد أحمد المنصور عن عهد المولى إسماعيل بمعارك القرن السادس عشر الكبرى والتي غيّرت مجرى الأحداث، وأثّرت في العلاقات الدولية تأثيرا كبيرا، أذكر منها معركة ليبانت سنة 978هـ/1571م والتي تعتبر من المعارك الحاسمة في تاريخ التحالف المسيحي ضد الدولة العثمانية فهذه الهزيمة تعتبر بمثابة العد التنازلي للقوة العثمانية، ثم معركة وادي المخازن 986هـ/1578م والتي وضعت حدا للأطماع الإيبيرية في المغرب الأقصى وأدّت إلى إنهيار إمبراطورية البرتغال وكذلك كارثة الأرمادا سنة 1581م والتي أودت بالأسطول الإسباني إلى الهاوية ووجدت الكارثة صدا واسعا في الأوساط الأروبية والإسلامية على السواء.

- من ناحية رسائلهما الدبلوماسية فنجد أنّ رسائل المنصور أقوى لغة وأحسن سبكا وهو ما يعكس الحياة الفكرية للسّعديين والعلويين في عهد هاذين السّلطانين،إضافة أن السلطانين في مرسلاتهما إستخدم مصطلحات دبلوماسية مختلفة.

فإذا كان الإختلاف في بنية الرسائل التي إستعملها كل من أحمد المنصور والمولى إسماعيل قد عكست بوضوح المستوى الثقافي للسّلطانين، فماهي أوجه الإختلاف في سياسة ودبلوماسية أحمد المنصور والمولى إسماعيل مع إسبانيا؟

المبحث الثالث:

أوجه الاختلاف في علاقتهما السّياسية والدبلوماسية مع إسبانيا

-علاقات أحمد المنصور والمولى إسماعيل مع إسبانيا :

دشّن أحمد المنصور الذهبي عهد إنفتاح مع إسبانيا على الرغم من أنه كان يخطط بصبر واهتمام لغزوها[1] وتعامل معها بحذر شديد يعكس شخصية أحمد المنصور الحذرة، والمراوغة، والتي استطاعت أن تتعايش مع قوتين كبيرتين متنافستين، هي الدولة العثمانية وإسبانيا.

أ- سياسة أحمد المنصور (التّسويف والمماطلة):

أوضح شالدانيا (*Antonio de Saldanha*) [2] أنّ دبلوماسية المنصور كان يغلب عليها طابع القلق، والتردد، والحيطة، والحذر،مما يفسر مخاوفه من الخطرين الإسباني والعثماني،لكنه نجح في ربح كل الجولات التفاوضية بمهارة عالية، استهدف من ورائها ربح الوقت،بتسويفه الدائم ومماطلته لمطالب "فيليب الثاني" بخصوص تسليم مدينة العرايش[3] وكان الحصول عليها بالنسبة للملك الإسباني هاجسا، لا يفارقه، و يسعى جاهدا لتحقيقه بكل السّبل،و لهذا كان يتحمل بصبر، مماطلة أحمد المنصور، و مناوراته؛ في الوقت الذي كان الملك المغربي يتعمد سياسة التّسويف والتأجيل، والازدواجية ربحا للوقت، واستغلالا للطرفين التركي والإسباني لتحقيق مراميه فاستمر فيليب الثاني في التغاضي عن تلاعبات المنصور، وإخلافه لوعوده، مؤثرا العمل بالقنوات الدبلوماسية،حيث أرسل القس مرين" (*padre marin*) و"بييروبنيغاش"(*perovengeas*) لإبلاغ المنصور بكل تطلعاته[4]،ومتجنبا الدخول في مواجهة سافرة مع المغرب، لاسيما وأن نتائج معركة وادي المخازن مازالت ماثلة في الأذهان.وبحلول سنة 1586م،أصرّ الملك "فيليب الثاني" وألحّ بشكل

---

[1] للمزيد من التوسع ينظر إبراهيم حركات:أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة ،المرجع السابق ، ص78.

[2] نبيل برتغالي عاش أسيرا في البلاط السّعدي من1592م إلى 1606م، تمتع بحرية الحركة عاش اتصالات المنصور وراقب دبلوماسيته مع الدول الأجنبية وأورد معلومات هامة عن هذه الفترة، ينظر مجلة المؤرخ ، عدد 4، جوان،جويلية ،أوت 2009م، ص 4.

[3] ينظر جلول بن قومار :المرجع السابق ، 108.

[4] حسين بوزينب:"**من العرايش إلى فضالة أربعة عقود ونصف من الإستراتيجية الإسبانية في احتلال مراسي مغربية 1578م/1624م**"،في مجلة التاريخ العربي،جمعية المؤرخين المغاربة،المغرب شتاء 2000،عدد 13،ص ص1- 2 .

كبير،على المطالبة بتسليمه العرايش؛الأمر الذي كان يقابله الشّريف السّعدي بدهائه المعهود، فتسليم مدينة العرايش من قبله انتحار سياسي ومخالفة شرعية، له انعكاساته الداخلية،والخارجية التي تضعف من موقفه،ونفوذه و تسيء إلى سمعته بعد انتصاره البطولي الأخير في وادي المخازن،كما تؤثر على أمن بلده،وتهدد مصالح دولته، و لذلك فضل الاستمرار في سياسة كسب الوقت من وراء هذه المسألة؛ لكي لا يثير حفيظة الأتراك و الأسبان على حد سواء.

ب- سياسة المولى إسماعيل(الإعتماد على القوة):

اكتسب المولى إسماعيل من القوة العسكرية التي أنشأها من العبيد[1]الجرأة على مواجهة الأسبان عسكريا، ومحاولة تحرير المدن المحتلة بالقوة التي لطالما قضى بها على خصومه، مما جعل الكثير من المؤرخين يصفونه بالدموية[2]،التي لم يسلم منها حتى أبناؤه "كمحمد العالم" عندما خرج عليه،وأمام تمكن المولى إسماعيل من هذه القوة، نجده يواجه إسبانيا عسكريا، فيفتح المعمورة يوم 11ربيع الثاني 1092هـ/30أبريل 1681م وبعدها،وجّه قواته إلى تحرير العرايش فأقتحمها سنة1689[3]وأسر المئات من الإسبان،وغنم أربعين مدفعا[4]هذا التّشدد وعدم المهادنة الذي أبداه مولاي إسماعيل في سياسته الخارجية،وعلائقه الدبلوماسية، مع خصومه الإسبان سواء في معاركه من أجل تحرير الثغور أو فك الأسرى،ترجمه الكثير من المؤرخين الغربيين على أن الرجل ميال للعنف وسفك الدماء[5]، وبالرغم من استعمال القوة مع الأسبان، فإن المولى إسماعيل لم يحقق من خلالها غايته في تحرير كامل الأراضي المغربية،إذ مازالت سبتة ومليلة تحت الاحتلال الإسباني رغم محاولات التحرير المتواصلةومدينة الجديدة (مازكان)-كما سماها البرتغاليون-وفي هذا الصدد قال المولى اسماعيل لرجل برتغالي جاء ليفاوض على إطلاق الأسرى، ويدعى جوسي ألفار(*José Alvares*):«**كتبت منذ سنتين إلى ملكك الكلب،بخصوص تخليه عن مدينة (مازكان)،ولم يجبني**»[6]

---

[1] قال الزياني عن هذا الجيش: «...ولع هذا السلطان بجمع العبيد جعلهم عسكرا ... وكان في الدفتر من العبيد ماية وخمسون ألفا،ينظر أبو القاسم أحمد الزياني:المرجع السابق،ص ص15 ،16.

[2]*P.Henry Koehler : Op.cit , p430.*

[3] عبد الهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي،مج9،ص105.

[4] ينظر

Robert Ricard : ***Lieutenant colonel H. de Castries ,les sources inédites de histoire de Maroc , 2série , Dynastie Filalienne ,Archives et bibliothèques de France , T III****, Paris , in bulletin Hispanique ,Année 1928,V30, No 4, p p353,354,*

[5] *P.Henry Koehler : Op.cit , p430.*

[6]*Robert Ricard :Op.cit , p p353,354.*

ت-سياسة أحمد المنصور الخارجية مع إسبانيا (التّحالف والسّلام الحذر):

كانت سياسة المنصور مع الأسبان يغلب على ظاهرها المجاملة، أمّا في الواقع فكانت مشوبة بالحذر المتبادل،فقد أخلت إسبانيا أصيلا سنة1000هـ/1592م لأن فيليب الثاني كان يخشى أن يسارع الملك المغربي لمساعدة أحد مطالبي العرش البرتغالي(الضون أونطونيو) على الاستقلال[1]،وقد علم السّلطان العثماني بهذا التقارب، فعين "رمضان باشا" حاكما على الجزائر خصيصا، لإحباط ذاك التقارب وبإستعمال القوة إن لزم الأمر ضد المنصور، وأمام هذا التّهديد العثماني ضد المنصور توجهت سفارة إسبانية إلى المغرب في سنة 989هـ/1581م، للتفاوض مع المنصور في شأن المساعدة العسكرية؛التي يحتاجها المنصور من إسبانيا في حالة تعرضه للهجوم،[2]كما استقبل المنصور سفارة "القسيس مرين" بمعسكره "بتانسيفت"،ودخل معه في مفاوضات لوضع مشروع معاهدة عسكرية ضد الأتراك، على أساس التنازل للإسبان على مدينة العرايش الإستراتيجية بالنسبة لهم ،قصد القيام بعمليات عسكرية، وملاحقة القراصنة؛ الذين كانوا يلحقون خسائر فادحة بالتجارة الإسبانية في عرض البحر،وقرب الشواطئ المغربية الأطلسية[3]،وقد ذكر الأسير البرتغالي "شالدانيا"(Antonio de *Saldanha*) بما قيّده من معلومات هامّة حول سياسة أحمد المنصور، و إيضاح خبايا علاقاته الخارجية؛ خصوصا وأن هذا الأسير عاش في كنف السّعديين وتمتع بحرية الحركة،وكان شاهد عيان على هذه الفترة، أتاحت له ظروفه على الإطلاع على تحركات المنصور الدبلوماسية،حيث أفاد أن "فيليب الثاني"،كان يضغط على أحمد المنصور بشتى الوسائل[4]لكي يسلمه مدينة العرايش أو يستبدلها إمّا بمدينة الجديدة، أو مدينة أصيلا،وبرر ذلك بكون مدينة أصيلا لا تصلح لرسو السّفن، بينما يوفر نهر اللوكوس الأمن للسفن الإسبانية التي تحتاج إلى الإصلاح في حالة العطب،وأنّه قادر على استيعاب ثلاثمائة سفينة تستخدم لمواجهة الجهاد البحري المنطلق من الجزائر،وكان المنصور قد اعترف في معاهداته مع باشاوات الجزائر بأنه تابع للأتراك،وأكّد ذلك باتخاذ "ذيل الفرس" الأبيض (وهو رمز تركي كشعار لإرضاء علي باشا حاكم الجزائر)،ونيل صداقته،بل أدّى أتاوات التبعية للباب العالي[5]،أمّا بخصوص مدينة العرايش،فقد أرسل السلطان بعثة إلى إسبانيا بقيادة الأب "مرين"

---

[1]إبراهيم حركات:**السياسة و المجتمع في العهد السعدي**، ص 89 .

[2] *henryDe Castries* ***: les sources inédites de L histoire du Maroc*** *,1serie, dynaste saadienne , Archives bibliothèques de France , T2 , éditeur Ernest leroux , Paris 1909.p99.*

[3]عبد كريم كريم : المرجع السابق، ص 113 .

[4]نفس المرجع .

[5]محمد جادور: "**ديبلوماسية أحمد المنصور السّعدي من خلال تقاييد أسير برتغالي**"، المرجع السابق ،ص4.

(*Marin*)، الذي اقترح عليه خلال عودته قطع كل علاقاته مع القسطنطينية، ومع باشوية الجزائر كما بعث المنصور سفارة بقيادة "عنون" إلى القسطنطينية للتفاوض حول تسليم العرايش للأتراك، خاصة بعد تهديدهم بانتزاع المدينة بالقوّة، وتعيين "إسماعيل بن عبد الملك" اللاجئ لدى العثمانيين كسلطان للمغرب،لذا ردّ المنصور على هذه التّهديدات العثمانية بتخليه عن شعار الأتراك "ذيل الفرس الأبيض"،وتدشين سياسته بالقطيعة مع الأتراك،مقابل الحماية التي وعدته بها إسبانيا عن طريق سفيرها"بيدرو فينكاس"(*pedroVengas*)،غير أنّ والي الجزائر بدأ يستعد،ويدق طبول الحرب،مما أجبر المنصور على التعجيل بإرسال الأب مرين(*Marin*) إلى لشبونة للقاء "فيليب الثاني "بهدف الحصول على ضمانات عسكرية لحمايته من أي هجوم تركي محتمل يسعى إلى احتلال العرايش[1].

د-سياسة المولى إسماعيل الخارجية مع إسبانيا(العداء والصّدام):

تعامل مولاي إسماعيل في علاقاته مع إسبانيا –والتي فقدت في عهده الكثير من مظاهر القوة، التي كانت تتميز بها في عهد أحمد المنصور- بطريقة مخالفة،وفق مقتضيات القرن، وتغير موازين القوة الدولية،وإن كان قد إعتبرها دولة معادية مازالت تحتل ثغري سبتة ومليلة، وعلى هذا الأساس بنى سياسته تجاهها بالمناوئة العسكرية في أحيان كثيرة وبالدبلوماسية المتشددة في أحايين أخرى، وكان ميدان الأسرى بين البلدين وجهود المولى إسماعيل في تحرير الثغور هي الميزة التي طبعت علاقات المولى إسماعيل بالإسبان تحركها وتغذيهاالأحقاد التاريخية بينهما، وحاول أنّ يتجه في سبيل تحقيق أهدافه الإستراتيجية على إسبانيا إلى قوى إقليمية أخرى ظهرت على مصرح الأحداث،وأثرت في العلاقات الدولية آنذاك، وقد سعى بكل جهد دبلوماسي وسياسي أنّ يستثمر العداء التقليدي بين إسبانيا وفرنسا من جهة، وبين فرنسا وإسبانيا والإنجليز من جهة أخرى، لعله يصل إلى محاولة عزل إسبانيا سياسيا، أو قتالها عسكريا بدعم من هذه القوى الصاعدة،بمحاولة إنشاء تحالفات ومعاهدات تصب كلها في المسعى الذي يرمي إليه،ويمكن القول أنّ المولى إسماعيل في تعامله مع إسبانيا، قد زاوج بين الدبلوماسية والقوة العسكرية،التي آمن بها.

---

[1] نفس المرجع.

ج- أحمد المنصور (دبلوماسية المراوغة):

كانت انكلترا في صراع مستمر مع إسبانيا، وكانت هذه الأخيرة تحاول أنّ تجد لنفسها ميدانا للتفاهم مع "أحمد المنصور"؛ غير أنّ هذه المحاولة لم تسفر عن أي نتيجة تذكر، خاصة عندما أقدم "فيليب الثاني" على ضم البرتغال لمملكته في16مارس 1581م[1]، ليضمّ أيضا الممتلكات البرتغالية على السّاحل المغربي؛ وهي سبته وطنجة ومازاغان،وبعد احتلال البرتغال وفشل المقاومة، فرّ "الضون أنطونيو"إلى إنكلترا يطلب النجدة لاسترجاع ملكه، فاستغلت "إيليزبيث"ملكة انكلترا التباعد المذكور بين "المنصور" و"فيليب الثاني"، وأرسلت إلى السلطان المغربي، تعرض عليه مشروعا يهدف إلى تحرير البرتغال[2]، وينص على أن تقدم إنكلترا "للضون أنطونيو" أسطولا كاملا،في حين يتولى" المنصور" تحمل النفقات والمؤونة، وعندما يطرد الإسبان من البرتغال،يتنازل الأمير" أنطونيو" عن الجيوب المحتلة الساحلية للمغرب، غير أنّ هذا المشروع فشل لأسباب أهمها:أنّ كلا من المنصور و إنكلترا لم يكونا جادين فيما يقولان، وإنما كانا يتخذان من المشروع وسيلة للمساومة فقط، ومن جهة أخرى كان "فيليب الثاني" يأوي في قصره اثنين من أسرة "أحمد المنصور"؛كانا يطالبان بالعرش،فلمّا علم فيليب الثاني أنّ" المنصور"مستعد للاستجابة لرغبة الإنجليز وتلبية مطالبهم، هدد بأنّه يدعم هو أيضا المطالبين بالحكم المغربي، ويضع تحت تصرفهما جيشا يقاتلان به[3]،وقد كان "المنصور" يتمنى إنقاذ البرتغال من الحكم الإسباني، والتّخلص من "فيليب الثاني"، لكنه كان يتعامل بحذر في ذلك نظرا لورقة الضغط التي يمتلكها "فيليب" والمتمثلة في وجود الناصر شقيق" المتوكل" و"محمد الشيخ" عنده[4].

---

[1] أقدم الملك فيليب الثاني على تجهيز جيش بقيادة "دون الفا"(Duke of alva)،ودخل لشبونة،وأعلن انضمام عرش البرتغال لإسبانيا قائلا للبرتغاليين أنه لم يأت محتلا بل موحدا للدولتين، لكن المعارضة لهذا الضم ازدادت،فقام الأمير "انطونيو" والقائد " دوق "أوف باركانزا " بمقاومة مسلحة ضد الجيش الإسباني، وأصطلح على ذلك بالأزمة البرتغالية،ينظر ذلك عند.

*Robert Ricard et Chantal de laveronne et autres: sources **inédites de l histoire du Maroc,1 série dynastie saadienne** ,Archive et bibliothèque de Portugal , T6 ,1552-1580.Paris, 1953.p123.*

[2] محمد العربي الزبيري:**مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، مطابع المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1975م،ص 51.

[3] نفس المرجع،ص 51.

[4] محمود علي عامر ومحمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث**، منشورات جامعة دمشق 2000/1999 ، ص 67.

ومما تقدم يمكن القول:

-أنّ أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل انتهج في سياستهما ودبلوماسيتهما مع إسبانيا نمطا مختلفا عن بعضهما البعض، فقد إعتمد أحمد المنصور في تعامله مع فيليب الثاني على سياسة التسويف والمماطلة وربح الوقت وهي سياسة أتقنها المنصور جيّدا ووفق في تطبيقها بحيث جنّب المغرب من أن يتعرض للغزو الإسباني، علما أن فيليب الثاني كان في كامل قوته العسكرية وازداد قوة بعد هزيمة البرتغال في معركة وادي المخازن سنة 986هـ/1578م، حيث ضمّ ممتلكات البرتغال في المغرب وفي مختلف المستعمرات في 16مارس 1581م بالرغم من أن فيليب الثاني وديوانه كانوا يعرفون معرفة جيّدة أن المنصور يتلاعب بهم وأنه غير جاد في تسليم مدينة العرايش لهم، وهذا ماعبّر عنه السّفير الإسباني "الضون خوان دي سيلفا" في رسالة إلى الملك فيليب الثاني مؤرخة في 983هـ /1583م جاء في مضمونها : « **إنّ إمبراطور المغرب يسخر منّا فهو متأرجح بين مصانعتنا ومصانعة الأتراك، فعندما يطالبه صاحب الجلالة بالعرايش يقول له :هيا بنا إلى الأتراك في الجزائر، وعندمايهدده الأتراك يقول:هيا بنا إلى إسبانيا مرة أخرى**»[1]

بينما واجه المولى المولى إسبانيا عسكريا، فنظم حملات عسكرية كانت تهدف إلى تحرير الثغور المحتلة، وتشدد في تعامله مع الإسبان خاصة في تحرير الأسرى بين الطرفين مع أنه ترك هامشا للتفاوض بالسّبل الدبلوماسية لحل القضايا العالقة بين البلدين ،فالمولى إسماعيل آمن بالقوة لتحقيق أهدافه، خلاف أحمد المنصور الذي آمن بالدبلوماسية وسياسة اللّين والمراوغة.

ولكي يحكم المولى إسماعيل الخناق العسكري والسّياسي على إسبانيا، نجده يقترب أساسا من الإنجليز، لعله يستطيع أن ينتزع من الملكة الإنجليزية "آن" شبه تحالف عسكري أو حتى إعانة عسكرية، تساعده على تحرير الثغور المغربية المحتلة، مستثمرا الخلافات التاريخية والسّياسية بين الإنجليز والإسبان،فإذا كانت علاقات أحمد المنصور والمولى إسماعيل مع إسبانيا بهذا النّسق المتناقض والمطرد. **فكيف كانت الإختلافات السّياسية والدبلوماسية في علاقات أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل العلوي مع فرنسا في عهد الملك "هنري الثالث" المعاصر للمنصور والملك "لويس الرابع عشر" المعاصر للمولى إسماعيل؟**

---

[1] عبد الهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي،المرجع السابق، مج8،ص145.

المبحث الرابع:

أوجه الاختلاف في علاقتهما السّياسية والدبلوماسية مع فرنسا.

-علاقات أحمد المنصور والمولى إسماعيل مع فرنسا :

نظرا لأن أوضاع فرنسا كانت مضطربة، فإنّ العلاقات الفرنسية المغربية في أوائل حكم المنصور لم تكتس صفة الدبلوماسية الحقيقية[1]، نظرا لأوضاع فرنسا المضطربة سواء في عهد الملك الفرنسي "هنري الثالث" (1574م/1589م)،أو الملك "هنري الرابع"(1589م /1610م) ثم بسبب التهديد الإسباني لاجتياح أراضيها[2]فانغلقت على نفسها لترتيب بيتها الداخلي،فإنّ المولى إسماعيل قد سعى جاهدا لرسم علاقات دبلوماسية مع الملك الفرنسي القوي "لويس الرابع عشر" ولهذا يمكن إيجاد أوجه الإختلاف في هذه العلاقة.

أ-علاقات أحمد المنصور مع فرنسا (دبلوماسية متواضعة):

كانت العلاقات الفرنسية المغربية في عهد المنصور محتشمةبحيث كانت تدور مضامينها حول مسألة الأسرى، والتجارة،ولم ترق إلى علاقات دبلوماسية، وسياسية، يمكن أن نقول عنها أنها إستراتيجية،سعى الملك "هنري الثالث" (1574م/1589م) بأن يربط علاقات مع حاكم المغرب الجديد أحمد المنصور،واستغل فرصة انتصاره في وادي المخازن ليوجه إليه سفارة،يقودها القنصل"كيوم بيرار" بتاريخ 21جمادي الأولى987هـ /16جويلية 1579م يهنئه بالملك،وبانتصاراته عن أعدائه،مذكرا إياه بالعلاقات الطيبة؛ التي كانت بين فرنسا وأخيه المولى عبد الملك [...] مضيفا إلى هذه العواطف،رجاء فرنسا في أن يأذن لمراكبها بدخول الموانئ المغربية، وبأن يعمل على تحرير ما يوجد من أسرى فرنسيين بالمملكة،وأن يسمح لهم بتصدير أربعين ألف قنطار من الرزينة "*rosette*"لاستعمالها في الأصباغ، وبتصدير خمسة وعشرين ألف قنطار من ملح البارود، وتقدم السّفير الفرنسي بطلب للمولى أحمد المنصو،يلتمس منه إقراض الملك الفرنسي"هنري الثالث"مبلغا وقدره مائة وخمسين ألف*écus* [3]، مما يدل على المكانة السّياسية،والاقتصادية؛التي وصل إليها المغرب، بعد الرخاء

---

[1] إبراهيم حركات :**المغرب عبر التاريخ**، ج2، ص 345.

[2]عبد الكريم كريم : المرجع السابق،ص 108.

[3] *H enryDe Castries* ***: les sources inédites de L histoire du Maroc*** *,1serie, dynaste saadienne , Archives bibliothèques de France , T2 , éditeur Ernest Leroux , Paris 1909.P22.*

الإقتصادي الذي شهده بعد غزوة وادي المخازن، وتوجهه جنوبا نحو بلاد السّودان[1]ومما قاله الفشتالي حول هذه السّفارة ما نصّه:

«وكان ممن وصل أيضا عن فئة ذلك يومئذ،إرسال طاغية الإفرنجة ويقال أفرنصة وبه يعرفون اليوم فقضوا فرض التهنئة،واقتفوا سنن غيرهم ،من إرسال ملوك الأرض...»[2].

ب-علاقات المولى إسماعيل مع فرنسا(سياسة ودبلوماسية قوية):

أولى المولى إسماعيل إهتماما كبيرا في علاقاته الخارجية مع فرنسا،وارتبط معها بعلاقات سياسية وأخرى دبلومايية قوية،دون الدول الأوروبية الأخرى، بسبب أنّ المولى إسماعيل كان يبحث عن حليف قوي في أوروبا[3]يمكن له أن يجد عنده الدعم لمشاريعه السّياسية والعسكرية في المنطقة، خاصة وأنّ الإسبان مازالوا يحتلون أجزاء هامة من المغرب،فكان يأمل أن يحقق مع الملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" تحالفا إستراتيجيا هاما،خصوصا وأنّ المولى إسماعيل كان يرى في نفسه أنّه ندا وكفئا لملك فرنسا القوي،هذا ما وضحته البعثات الدبلوماسية والرسائل المتبادلة بينهما،والتي مست في جوهرها قضايا هامة كالتجارة والأسرى والتعاون الإستراتيجي في المنطقة، والتنسيق الأمني بينهما،[4]بل تعدى ذلك إلى مشروع زواج المولى إسماعيل من ابنة "لويس الرابع عشر" الأميرة "دو كوندي" *(de condé)*.وهذا لربط علاقة مصاهرة بين السّلطان والملك الفرنسي، من شأنها توطيد العلاقات بينهما أكثر وقد وافق لويس "الرابع عشر" مبدئيا على هذه الخطبة، بشرط أن يعتنق المولى إسماعيل النّصرانية وهو موقف دبلوماسي لا يتعدى حدود المجاملة، واللّياقة بين الملوك، ومن المؤرخين من يرفض أصلا هذه الحادثة لأن المصادر المغربية المحلية لم تؤكدها، وربما تكون المفاوضات حول الخطبة قد اختلقت لتضفي على الملك الفرنسي هالة من العظمة[5]،وفي موضوع آخر تذكر المصادر

---

[1]عبد الهادي التازي:المرجع السابق،ص 174.

[2] ينظر أحمد الأزمي :المرجع السابق، ص ص11،10،9.

[3]*Mohamed Jadour* ***: Les usages du Temps Historique dans la diplomatique ,le cas du Moulay Ismail*** *,Faculté des lettres et des sciences Humaines ,Ben msik , Casablanca ,Maroc , p 36.*

[4] البند الخامس من معاهدة 1682م والذي يعطي الحماية الكاملة للسّفن الفرنسية قي المياه المغربية ينظر،عبد الرحمان بن زيدان:**المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**،ص 197.

[5]إبراهيم حركات:"**ابن عائشة أمير البحر في عهد مولاي إسماعيل**"،ص ص 128، 129 .

التّاريخية،أنّ المولى إسماعيل وجه رسالة إلى "لويس الرابع عشر" مؤرخة في2 رمضان 1092هـ/15 سبتمبر 1681م يذكره فيها،أنّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان قد أرسل خطابا إلى جدّه هرقل(*Heraclus*)يدعوه فيه إلى الإسلام،ويستفسر منه من أنّ نسخة من هذه الرسالة مازالت موجودة في أرشيف البلاط الفرنسي[1].

ت-سياسة لويس الرابع عشر مع المولى إسماعيل(العصا والجزرة):

تعامل "لويس الرابع عشر" مع المولى إسماعيل بسياسة مزدوجة،مزج فيها بين الليونة واستعراض القوة، حيث كان يستعمل الدبلوماسية للوصول إلى اتفاق مع المولى إسماعيل بخصوص الأسرى وعقد معاهدات تجارية معه،وعندما تفشل مساعيه في إقناع المولى إسماعيل بما يريد ويرغب،نجده يعطي الأوامر لأساطيله البحرية بحصار الموانئ المغربية وتوجيه حملات عسكرية كحملة 1670م بقيادة جون ديستري (*le compte Jean d' strés*) التي تعتبر وجه من وجوه، استعراض القوة وإبراز الإمكانات العسكرية للملك الفرنسي وترهيب المولى إسماعيل كانت مهمتها تطويق ميناء سلا ومحاربة القراصنة المغاربة[2]،وفي سنة1671 كانت حملة شاطورونو(*Château -Renault*) التي كانت تهدف للقضاء على قراصنة سلا[3]،وحملة شاطورونو(*Château -Renault*)الثانية سنة1680م /1581م التي من مراميها، إرغام السّلاويين على إمضاء وثيقة السّلم الفرنسي، وفي سنة 1698م كانت حملة كوتلغان(*le Chevalier AlainEmmanuel de Coétolgen*) على سلا،والتي أدّت بالأميرال ابن عائشة لطلب عقدة هدنة مع الفرنسيين،واستمرت الحملات الفرنسية على المغرب طويلة،طبعت العداء السّافر للمغرب،وإصرار الملك الفرنسي بأن يقضي على تهديد القراصنة المغاربة،وأن يبعث برسائل وإشارات إلى السّلطان المغربي مفادها أنّ ما عجزت عنه فرنسا بسياسة الجزرة، يمكن أن تأخذه بسياسة العصا الغليظة،حتى كانت القطيعة الدبلوماسية النهائية مع الفرنسيين سنة 1700-1727م[4].

---

(1)عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج9،ص92.

(2)حسن رميلي:المرجع السابق،ص251.

(3) نفس المرجع،ص266.

(4)جمال سهيل:المرجع السابق،ص130.

ث-سياسة هنري الرابع مع المنصور(التحالف والتعاون):

توجهت فرنسا في عهد الملك "هنري الرابع"إلى تكثيف العلاقات الإقتصادية مع الإيالات العثمانية، ومع المغرب الأقصى خاصة، ولذلك حرصت فرنسا أنّ تكتسب حرية الملاحة في البحر الأبيض المتوسط وتسهر وعلى سلامة سفنها التجارية،التي كثيرا ما كانت تتعرض للقرصنة المغربية، فاستغلت فرنسا علاقاتها التّاريخية الحسنة مع الدولة العثمانية، فكتب الملك الفرنسي "هنري الرابع" رسالة إلى السّلطان العثماني "محمد الثالث" يشكو فيها أمر القرصنة المغربية، ويدعوه لمراسلة السّلطان المغربي أحمد المنصور لينظر في الأمر،لما للسلطان العثماني من نفوذ ومكانة لدى البلاط المغربي، وقد كان بالفعل،ما أراد الملك الفرنسي حيث وجه السّلطان العثماني الرسالة إلى السّلطان المغربي بتاريخ 23 أوت 1603م[1].

وفي فرنسا اشتدت وطأة الحروب الدينية بأوروبا الغربية بين المعسكرين الكاثوليكي والبروتستانتي،وازدادت حدة الصراع في فرنسا والأراضي المنخفضة،كما أمعنت بريطانيا في مضايقة المستعمرات الإسبانية في الهند وأمريكا والشّرق الأقصى،وأمام التهديدات الإسبانية لفرنسا، بعد ما اعتنقت هذه الأخيرة المذهب البروتستانتي،رأت من مصلحتها الإستراتيجية،أن تتقرب من رجل المغرب القوي المولى أحمد المنصور،وتعمل معه من أجل إنشاء تعاون عسكري استراتيجي، تقف فيه القوتان جنبا إلى جنب أمام التهديد الإسباني، العدو المشترك للدولتين،فالتعاون بين الفرنسيين،والإنجليز وأحمد المنصور في المجال العسكري،والاقتصادي،بات في نظر الفرنسيين أكثر من ضرورة، وفي هذا الإطار بعث الملك الفرنسي "هنري الرابع" 1589م/1610م[2]سفارة إلى المغرب يوم 13 ديسمبر 1596م القصد من ورائها تهيئة الأجواء السياسية لبناء مشروع تحالف عسكري ضد إسبانيا[3] فالفرنسيين كانوا متحمسين لهذا التحالف المحتمل ضد إسبانيا والعمل على توحيد القوى المسيحية، لمقاومة الإسبان،وإفشال خطط فيليب الثاني، وتوحيد القوى الدولية المناهضة لاحتلال البرتغال، وقد عبّر عن ذلك الفشتالي بقوله:

---

[1] *Henry de Castries : Op. Ci t , D'Angleterre ,T2, p324.*

[2] كان حاكما لمقاطعة نفاريا،حكم فرنسا من سنة 1589م إلى سنة 1610م،ينظر ترجمته عند *Léon Guérin* :***Histoire Maritime de France ,*** *Paris , p 263.*

[3] *De Castries henry* ***: les sources inédites de L histoire du Maroc*** *,1serie, dynaste sadienne , Archives bibliothèques D'Angleterre , T2 , Paul Gunther , paris et Luzace , londren .P106.*

« واتصل أهل أفرانصة وانضم بعض إلى بعض فقويت شوكتهم، واستفحل أمرهم وتعاظمت صولتهم فسمت همتهم، إلى استرجاع ملكهم،ومعاودة سلطانهم وشمروا لمغالبة طاغية قشتالة،على ما يليهم من ممالكه فصمدت عساكرهم إلى باريز فنازلوها،واجلبوا على أعماله وممالكه وزاحموه بالمناكب ولاحت لهم بوارق الظهور عليه... »[1].

وفي سنة1009هـ /1600م ،بعث الملك الفرنسي "هنري الرابع"مبعوثا لمقابلة أحمد المنصور وهو "جيربيربالم"(*Gilbert palme*)،ليطلب من المنصور إطلاق سراح القبطان "جيل جيرار"(*gilles Gérard*)؛الذي وقع في الأسر من طرف البحرية المغربية،التي تراقب التّحركات المشبوهة.

ج- تردد لويس الرابع عشر(*le Roi-Soleil*) في التحالف مع المولى إسماعيل:

أدّت الأوضاع الداخلية والخارجية الصّعبة التي واجهت مولاي إسماعيل خلال فترة حكمه على المستويين السياسي والعسكري مشكلة البحث عن حلفاء له بين الدول المسيحية للتزوّد بالسّلاح، ومواد تجهيز السّفن،ثم المساعدة في تحرير الثغور المغربية من الاحتلال الأجنبي،خاصة عندما استعصى عليه الأمر في تحرير سبته[2].

إن التقدم الذي أحرزته أوروبا في المجال التكنولوجي عقب الكشوف الجغرافية،والنهضة العلمية،جعل ميزان القوة بين المسيحيين، والعالم الإسلامي مختلا،فهذه الظروف التي يمر بها المغرب دفعت بالسّلطان المولى إسماعيل بأن يسعى جاهدا لربط علاقات دبلوماسية، وتجارية مع فرنسا،قد ترقى للتحالف الإستراتيجي باعتبار أن فرنسا الدولة المرشحة الأولى لإنشاء علاقات معها، لأنها لا تحتل أرضا مغربية، ولها عداء كبير مع إسبانيا العدو اللدود للمولى إسماعيل، إضافة إلى علاقات الود والوئام التي كانت تربط "لويس الرابع عشر" بالأتراك العثمانيين والتي كان المولى إسماعيل يريد توظيفها لكسب ودّ السّلطان العثماني[3] لكن الملك لويس الرابع عشر كان يرى في السلطان المغربي الشخصية الغير مؤهلة لنسج علاقات معه نظرا للنظرة الإستعلائية للملك الفرنسي لويس الرابع عشر.

---

[1] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص 195.

[2]بلغت الهجمات المغربية على سبتة من سنة 1695 إلى 1720م واحد وعشرين هجوما، وقد فشلت، نظرا لمقاومة الأسبان وحصانة المدينة،للمزيد من الإطلاع ينظر،حسن الفكيكي:**سبتة المحتلة ذروة وعينا الوطني(1415م،1912م)**،المطبعة الملكية،الرباط، 2003، ص 206.

[3] أحمد الأزمي: لمرجع السابق،ص ص 5،7.

ح- التوسط لإفتداء الأسرى الفرنسيين لدى المنصور:

توجهت سفارة فرنسية للمنصور لم تعرف تفاصيلها سوى بعض الإشارات الواردة في رسالة كتبها "غيوم بيرار" يوم 28أوت 1583م حيث قال: أنّ أحمد المنصور كان يرغب في إرسال سفير وحاشيته مع عدد من الخيول التي كان يريد تقديمها هدية للملك الفرنسي "هنري الثالث" على متن سفينتين من سفن "روان" إلاّ أنّ قائدي السفينتين لم يريدا الانتظار حتى ينهي مندوب السّلطان إستعدادته، ثم أنه لم يكن يروق لهما تفريغ البضاعة لشحن الخيول[1]، وبتاريخ 21 فيفري 1588م، بعث الملك الفرنسي "هنري الثالث" رسالة إلى أحمد المنصور، يطلب فيها إطلاق سراح البحارة الفرنسيين؛الذين كانوا على متن السفينة "لالوف"(*la lauve*)، وقد وقعوا في الأسر من طرف البحارة المغاربة على مقربة من مدينة أصيلا،وأرسلوا للاسترقاق في مراكش، ويذكّره بالصّداقة القديمة بين البلدين[2]، وقد استجاب المنصور لطلب الملك "هنري" عندما حصل بالمقابل على تحرير بعض الأسرى المغاربة في فرنسا.

خ-قضية التاجر بيي (*Pillet*)وتفجر العلاقات :

تعتبر مشكلة التاجر بيي (*Pillet*)ومصادرة سلع التّجار الفرنسيين بسلا سنة 1716م على يد السّلطات المغربية، القطرة التي أفاضت الكأس، وكانت السّبب المباشر لإقدام فرنسا من إقفال قنصليتها بسلا[3] وتعود قضية بيي(*Pillet*)الذي تسبب في هذه المشكلة و هو تاجر فرنسي هجر بلاده بسبب اعتناقه المذهب البروتستنتي وعمل كوسيط بين المولى إسماعيل والدول الأوروبية الراغبة في تحرير رعاياها الأسرى في هذه البلاد، ويبدو أنّ الأرباح التي كان يجنيها من هذه الوساطة لم تساعده على الثراء، بل على العكس من ذلك كان يقع في ضائقات مالية كتلك التي وقع فيها سنة 1716م وتسببت في إفلاس التجار الفرنسيين بالمغرب، ويرجع ذلك أنه كان يصرف جزءا من أمواله لإرضاء الشّخصيات النافذة في البلاط الإسماعيلي[4] هذا التبذير أدّى إلى إفلاس بيي(*Pillet*) والذي ترتب عنه حجز سلع التجار الفرنسيين، وتدهور العلاقات بشكل كبير، ففي رسالة من"لاماكدولين"(*La Magdeleine*)القنصل الفرنسي بسلا الى الوصي على عرش فرنسا بتاريخ 15 يوليوز 1716 نقرأ أنّه على أثر نزاع بين بيي(*Pillet*) ودائنه اليهودي "ابن عطار" ،تعرض هذا التاجر

---

[1] جاك كيلي:المقال السابق،ص158.

[2] *Henry de Castries : Op. Cit , T 2 , France , p141.*

[3] أحمد الأزمي:المرجع السابق،ص 115.

[4] نفس المرجع،ص116.

وعدد من الفرنسيين لإهانات ومعاملات غير لائقة، توجهوا إلى إثرها الى مكناس لتقديم شكاوى للسّلطان،ورغم أنهم صرحوا هناك تضيف نفس الرسالة أنّ ديون بيي (*Pillet*)لا تعنيهم إلاّ أنّ المولى إسماعيل قد تأثر بكلام ابن عطار[1] فأصدر أوامره بأن يؤدي التجار الفرنسيون هذه الديون، التي بلغت حوالي ستون ألف وخمسمائة ليرة(60500)،ولجمع هذا المبلغ عمل اليهودي "ميموران " على حجز وبيع السّلع الفرنسية الموجودة في المستودعات بسلا، وبما أنّ هذه السّلع التي بِيعت بخسارة لم تف بتسديد الدين،فإنّ التجار الفرنسيين إقترضوا مبالغا كبيرة لتسديد ما تبقى، لأنهم كانوا مرغمين على أدائها فورا،وإلاّ تعرضوا للأسر[2].

د–الفشل الدبلوماسي وخيبة الأمل الإسماعيلي:

أدّى التّشدد السياسي والدبلوماسي بين المولى إسماعيل،والملك الفرنسي لويس الرابع عشر إلى الإخفاق في حل المشاكل العالقة بين البلدين، كموضوع تبادل الأسرى، وعدم النجاح في توقيع معاهدة تجارية ترضي الطرفين، بسبب سياسة الملك الفرنسي المزدوجة (العصا والجزرة) الفاشلة التي انتهجها في الحقيقة مع الجزائر والمغرب الأقصى على الخصوص،ثم نظرة لويس الرابع عشر الدونية للسّلطان المغربي المولى إسماعيل،هذا الأخير الذي كان يريد من الملك الفرنسي أن يساويه ويوازيه بالسّلطان العثماني، فكان المولى إسماعيل يرى نفسه أنّه لا يقل مكانة عن السّلطان العثماني ويجب على الملك الفرنسي أن يتعامل معه على هذا الأساس[3].

كان ظهور الإنجليز على مسرح الأحداث كمنافسين في مجال السّياسة والاقتصاد[4]،قد أدّى بالمولى إسماعيل أن يصاب بخيبة أمل كبيرة في علاقاته مع الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، بالرغم من تبادل السّفارات والرسائل الدبلوماسية ومجاملة المولى إسماعيل للملك الفرنسي في رسائله واعتبره من أعظم ما أنجبت المسيحية من ملوك كبار،لكن كل ذلك لم يؤد بالدبلوماسية المغربية إلى النجاح بالرغم ما كتب عن أولئك المبعوثين الدبلوماسيين مثل الحاج محمد تميم والأميرال ابن عائشة إلى

---

(1) نفسه.

(2) نفسه ،ص117.

(3)*Henri Rabanit : **Moulay ismail ,Louis XIV et la princesse deconti** ,in revue FranceMaroc, 6 Année ,N° 62,Janvier 1922, Paris ,p02.*

(4)*M.L.chantelain :**Une Ambassadeur Anglais auprés de Moulay ismail en 1721**,in revueFrance .Maroc ,Organe du des foires du Maroc comité, N° 3,15Mars 1917,p p22,25.*

البلاط الفرنسي من حسن التدبير والدهاء السّياسي والمعرفة الواسعة بشؤون أوروبا السّياسية[1]إلاّ أنّهم لم يحققوا النجاح الذي كان يرغب فيه المولى إسماعيل مع الفرنسيين[2].

[1] عبد الرحمان بن زيدان :**المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**، ص 260.

[2] ينظر الرسالة التي بعثها المولى إسماعيل إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر بتاريخ 22جويلية 1684م والذي يلومه ويتهمه فيها، بالضّعف أمام رجال ديوانه، ويعلمه بأنّه (أعني المولى إسماعيل)قد يغيّر علاقاته باتجاه الإنجليز والأراضي المنخفضة ينظر

*H .de castries:**Sources inédites Lhistoire duMaroc ,deuxieme série ,Dynastie Félalienne** ,Archives et Biblioteques de France ,T II,Paris 1924.pp 434 – 435 – 436 - 437.*

المبحث الخامس:

أوجه الاختلاف في علاقتهما السّياسية و الدبلوماسية مع إيالة الجزائر.

إنّ المتتبع لعلاقات أحمد المنصور الذهبي والمولى إسماعيل العلوي في مجال الدبلوماسية والسّياسة مع إيالة الجزائر، يجد أنها متباينة ومختلفة من حيث الشكل والمضمون،وفق المعطيات والمتغيرات الدولية في عصريهما،فما هي أوجه الاختلاف في علاقاتهمامع الجزائر؟

أولا-علاقات أحمد المنصور والمولى إسماعيل مع إيالة الجزائر 1603/1578 م:

مرت علاقات أحمد المنصور الذهبي مع الجزائر،بمرحلتين اثنتين تميزتا بالسّلام القلق في فترة معينة، ثم السّلام التام والنهائي في فترة أخرى ، بينما تميزت علاقات المولى إسماعيل مع الجزائر بالتناحر والصراع بجملها .

1- أحمد المنصور(السّلم مع الجزائريين):

حكم المنصور المغرب زهاء خمسة وعشرين سنة،ارتبط فيها بعلاقات متشعبة مع إيالة الجزائر العثمانية، لم يحدث فيها أن المنصور واجه إيالة الجزائر العثمانية عسكريا ما عدا تدخله الوحيد في توات في الجنوب الغربي للجزائر في سنة 991هـ/1583م[1]،وخلاف ذلك، لم يعرف أنّ المنصور الذهبي قاتل الجزائريين،ومما يدلل على هذا الاتجاه السّلمي الذي طبع سياسية المنصور مع الجزائر هي النقاط التالية:

-الاستمرار في تبادل البعثات والهدايا:

تيقن المنصور أنّ حل المشاكل الطارئة مع إيالة الجزائر العثمانية لا تحل إلاّ بالطرق السّياسية والدبلوماسية، نظرا لقوة الدولة العثمانية، وإيمان المنصور أنّ أيّ مواجهة عسكرية مع العثمانيين، سيكون مآلها الفشل، ولذلك أعطى للجانب الدبلوماسي في سياسته الخارجية الإهتمام الأكبر،فكانت البعثات الدبلوماسية وتبادل الهدايا بين البلدين لم تنقطع و منها :

-سفارة حسن فنزيانو(*Hassan Veneziano*) للمغرب سنة 1580م:

هدفت هذه السّفارة من حاكم الجزائر إلى تهنئة المنصور بالانتصار على أعدائه، وتمكين أواصر التعاون، وبعث روابط الأخوة الإسلامية بين البلدين الشّقيقين، وقد حملت السّفارة هدايا قيّمة تحدث عنها الفشتالي بقوله:

---

[1]عماربن خروف:المرجع السابق ،ج1،ص 229.

« فكان أولهم وردوا سدته الشريفة وأبوابه العلية المنيعة رسول صاحب الجزائر لاقترابه فبلّغ الرسالة وأدى الهدية وكان فيها من فساطيط الهند الغربية الشكل والصفة و زرابي مبثوثة وطرف نفيسة ما يستحسن من أمثاله »[1].

فمن خلال هذا النص نجدّ أنّ الفشتالي كان معجبا بهدية الوفد الجزائري،والتي وجدت القبول والإستحسان لدى المولى أحمد المنصور.

-سفارة عثمانية في فاس سنة 1581م:

أكرم المنصور هذه السّفارة وأحسن إفادتها ومنزلتها،وكان الغرض من هذه السّفارة هو إقناع المنصور بفكرة التّخلي عن التزامه بتسليم ميناء العرايش للأسبان ،هذا الميناء الإستراتيجي الذي أقلق الأتراك العثمانيين كثيرا وخاصة عندما وعد المنصور الأسبان بالتنازل عنه لصالحهم ويؤكد علاقاته الطّيبة مع الدولة العلية وسلامه للسلطان العثماني[2].

– سفارة الشّاطبي و الشّيظمي 1582 م:

حرص المنصور أن يوصل للسلطان العثماني فكرة ينبغي أن تبنى عليها العلاقات مع الدولتين، مفادها أن المغرب ليس إيالة عثمانية، ويجب أن يقتنع السّلطان بهذا الأمر، ويعامل المغرب على هذا الأساس، ويبدو أن هذا الأمر قد تحقق للمنصور واقتنع السّلطان العثماني بذلك[3].

وعن هذه السّفارة قال الأفراني:

« فلما وردا على خاقان فرح بهما كل الفرح وضع الشياظمي كلاما بليغا أعرب فيه عن فضل الدولتين وقرر فيه حق أهل البيت وأطرأ المنصور غاية الإطراء وحضّ على إتحاد كلمة الإسلام وقرأ ذلك على خاقان يوم السّلام عليه ففرح بذلك خاقان وأهتز لسماعه »[4].

ويبدو أنّ الشّاطبي والشّيظمي عندما استقبلا من طرف السّلطان العثماني،بلّغا ما كُلِفا به من المولى أحمد المنصور، وهي إيصال فكرة للسلطان العثماني أنّ المغرب مستقل، ولا يمكن أنّ يكون تابعا للباب العالي، وركزا المبعوثان على فكرة النسب الشّريف للسلطان وهي مسألة كانت تعني للأتراك العثمانيين والسّعديين الكثير.

---

[1]عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص49.

[2]عماربن خروف:المرجع السابق،ج1،ص222.

[3] نفس المرجع.

[4]محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المصدر السابق،ص87.

-سفارة عثمانية إلى المغرب سنة 1588م:

جاءت هذه السّفارة للمنصور تحمل الهدايا، من أجل تقوية العلاقات بينه وبين الباب العالي وتدل على رغبة السّلطان العثماني في إرساء السّلم الدائم بين البلدين، ومما جاء في الرسالة :« **وما اتفق في هذا التاريخ 996هـ/1588م ورود صاحب القسطنطينية الذي أنفذه إلى حضرتنا الأمامية وعتبتنا المنيفة السامية خاطبا لسلمنا وراغبا في عقد الصلح والمهادنة معنا متبرعا بطلب ذلك من عنده وساعيا فيه غاية جهده بعد أن صدع به كما بلغنافي حضرته وجمع عليه أهل مملكته وسائر أرباب دولته...** »[1].

ويبدو من خلال الرسالة التي حملتها السّفارة العثمانية لأحمد المنصور، هي أنّ الأتراك العثمانيين كانوا يسعون لطمأنة المنصور وتبديد مخاوفه منهم، حتى لا ينزلق في تحالف مغربي إسباني ضدهم.

-سفارة أبو الحسن علي التمجروتي إلى إسطنبول في 18مارس 1589م:

في شهر مارس من سنة 1589م كانت في المغرب سفارة تركية من أجل إرساء السّلم وتوطيد العلاقات، و في 18من مارس من نفس السنة كانت بعثة دبلوماسية إلى الباب العالي يقودها أبو الحسن علي التمجروتي الذي لم يفصح عن المهمة التي كلفه بها المنصور،وغالبا ما تكون حول إرساء عوامل العلاقات الودّية بين الدولتين لتعود السّفارة إلى مراكش مرفوقة بمبعوثين تركيين للمنصور في 06جانفي 1591م[2].

-احترام المنصور للحدود الجزائرية:

كان السّلطان أحمد المنصور يخشى من أنّ تمد الجزائر يد العون لابن أخيه الثائر النّاصر، الذي فرّ إلى الحدود الشّرقية للمغرب،ولم يحصل ذلك، وقد رحّب المنصور بمبعوث باشا الجزائر وأثنى على مواقفه الودية ،وتجنب المنصور وامتنع عن ملاحقة الناصر عسكريا عند الحدود الشّرقية للمغرب مع الجزائر إحتراما لسيادة الجزائر وحسن الجوار بين الدولتين[3]ولأجل القضاء على تمرد ابن أخيه، بعث المنصور إلى خضر باشا[4]يستأذنه في قتال الناصر على الحدود الجزائرية،وقد عبر الفشتالي عن ذلك

---

[1]ينظر الرسالة كاملة عند عبد الله كنون :المصدر السابق،ص 156.

[2]*Chantal de la vaironne:Op. Ci t ,p397.*

[3] عماربن خروف:المرجع السابق، ج 1،ص236.

[4] أحد باشوات الجزائر، تولى الحكم أوّل مرة سنة 1589م،وعُيّن للمرة الثانية سنة 1595م،وفي المرة الثالثة سنة 1605م مات مخنوقا على يد الباشا كوسة مصطفى سنة 1605،ينظر ترجمته عند،حسين بن رجب شاوش بن المفتي:المصدر السابق،ص ص 44، 45. وينظر أيضا هايدو:**تاريخ ملوك الجزائر**،المرجع السابق ،ص ص202، 219.

بقولـه:«**إنّ ظنـا منّـا أنّـه يجعـل مـروره علـى تلـك الجهـة طريقـا إلـيكم وسـبيلا إلـى اللحـاق بجهتكم،فلما رأيناه تقاعس عنكم لم نرد إقحامه إلا بعد مفاوضتكم،وإعلام مكانكم** »[1].

-تحالف المنصور مع الجزائريين ضد عمار بن القاضي:

وقف المنصور مع الجزائر ضد التهديد الذي أحدثه عمار بن أحمد بن القاضي حاكم إمارة كوكو[2]عندما تمرد على السلطة العثمانية في الجزائر، وتحالف مع "فيليب الثاني" من أجل التحضير لحملة عسكرية محتملة لغزو الجزائر سنة 1598م [3]،ولهذا الغرض كتب المنصور لباشا الجزائر رسالة يعرض فيها المساعدة العسكرية، والوقوف بجانب الجزائر،ومما جاء فيها:

« **أمّا ما عرفتم من حال ابن القاضي صاحب كوكو صلة يده بيد الطاغية صاحب إسبانية دمّره الله وقذف بيده وبطواغيت الشرك في بحبوحة الهاوية ؛وما كان من إرساله إليه بالهدية، فيحيط بعلمكم أنّ هذا الخبر كان قرع أسماعنا الكريمة على ألسنة العوام فلم نصدقه، لاستغرابنا أنّ يرضى أحد الانتصار بالكفر على الإسلام إلى أن جاءنا كتابكم فزال الشك والريب** [...]**ثم اعلموا أنّه إن آنستم من جانب الكفرة دمرهم الله عمارة تنشأ أو أسطولا يؤم ناحيتكم ويغشى واحتجتم إلينا فنحن بحمد الله بأنفسنا وأموالنا وأجنادنا موجودون لنصرتكم على أتم أهبة واستعداد** »[4].

فالرسالة التي بلّغها المنصور للجزائريين بخصوص استعداده لتقديم العون لهم، وأن يقف بقواته ضد مشروع ابن القاضي الذي تحالف مع الإسبان لضرب الجزائر وإخراج الأتراك العثمانيين منها، يدخل ضمن مناورة المنصور السّياسية لكسب ودّ الجزائريين، ومغازلة الدولة العثمانية سياسيا حتى يضمن جانبهم،وهو يضمر في نفسه أنّ التهديد العثماني للسلطنة مازال قائما، وهو دهاء سياسي كان المنصور يلجأ إليه كل مرة، متى شعر بالتهديد.

---

[1]اينظر الرسالة كاملة عند، عبد الله كنون: المصدر السابق،ص ص 259، 260.

[2]أسسها أحمد بن القاضي، بجبل كوكو عند منابع واد سباو،وبالسفوح الشرقية لجبال جرجرة على بعد ثماني كيلومترات من مدينة عين الحمام بتيزي وزو، للمزيد من الإطلاع على هذه الإمارة ينظر عبد الرحمان بن محمد الجيلالي:المرجع السابق، ج3،ص48.

[3] ينظر رسالة عمار بن القاضي للأسبان كاملة، أحمد توفيق المدني:المرجع السابق، ص 284.

[4]ينظر الرسالة كاملة عند عبد الله كنون:المصدر السابق،ص ص 143، 144.وأنظر عن إمارة كوكو : *Pierre Boyer* ***Espagne** et **kouko,les négociations de 1598et 1610** in <u>révue de LOccidentMusulman et de la Méditerranée</u> ,N° 8,1970,pp25 ,40 .*

-عدم نصرة الجزائريين لمحمد الشيخ المتمرد:

بعدما استطاع المنصور أن يقضي على ثورة الناصر؛ التي كانت قوية جدا،عاش المغرب وباء الطاعون؛الذي فتك بالكثير من الناس،واستمر سائدا فيه سبع سنين،بعد ذلك تمرد محمد الشيخ عن سلطة أبيه، ولم يقدم الجزائريون إليه دعما عسكريا لإفتكاك السّلطة من أبيه،مما يوحي أنّ العلاقات المغربية الجزائرية أواخر عهد المنصور مالت إلى السلم التام، و حسن الجوار، وعن هذا التمرد وسيرة ابنه محمد الشيخ قال المجهول مانصه:

« **قبيح الذات والأفعال غدارا لمن خدمه، ونصحه، مسرعا إلى الفساد في القينات** ... **مصرا على الخمر والحشيش**...»[1].

وقد جمع حوله أعداء أبيه كعرب أولاد حسين، وعرب أولاد طلحة، وفي أكتوبر وجه المنصور حملة قوامها ثمانمئة (8000)فارسا، لتعقب ابنه "محمد الشيخ"، فلم يكن أمام ابنه المتمرد إلاّ اللجؤ إلى إحدى الزوايا ليتم القبض عليه بعد معركة عنيفة[2]،ولماوصل مبعوث السّلطان سليمان إلى إسطنبول وتلقى الخبر فكر هذا الأخير في غزو المغرب، تأديبا لسلطانه إلاّ أنّه عدل عن الأمر[3].

-فشل سياسة احتواءالمغرب:

حاول الأتراك العثمانيون ضمّ المغرب لممتلكاتهم في الشمال الإفريقي بالقوة العسكرية مرة وبالدبلوماسية مرات أخرى إلا أن العثمانيين فشلوا في مسعاهم وظهر فشلهم جليا في عهد أحمد المنصور السّعدي[4]؛ الذي استطاع بحنكته السّياسية، وإتقانه للعبة التوازنات الدولية،واغتنام فرص التناقضات بين العدوين اللدودين الأسبان والعثمانيين، ثم القوة العسكرية والمكانة الدولية التي تمتع بها المنصور بعد نصر وادي المخازن،إضافة إلى إشكالية الخلافة ومن هو الأحق بها،والتي شغلت بال السّلاطين السّعديين، ومنهم أحمد المنصور السّعدي الذي حرص أنّ يعيد للمغرب أمجاد الدولة الإسلامية الكبرى، والإعلان بحق عن إمامته الكبرى للمسلمين،حيث وجه رسالة في 8شعبان عام 999هـ/1590م إلى الشّرفاء والفقهاء،وكافة الأعيان من أهل فاس، وسائر ممالكه يبشرهم فيها بفتح السّودان الغربي ،واستهل رسالته بقوله:

---

(1) مجهول:المصدر السابق،ص 69.

(2) نفس المصدر،ص 74.

(3) عزيز سامح إلتر:المرجع السابق،ص 177 .

(4) ينظر عمار بن خروف:المرجع السابق،ج1،ص215.

« حمدا لله الذي شرف ملة الإسلام والدولة القرشية على سائر الدول وخصوصا هذه الدولة الكريمة المقدسة الفاطمية العلوية الحسنية وصدع بأنوار خلافتها النبوية...»[1].

وقد نظر السّلاطين السّعديين إلى الأتراك العثمانيين،على أنّهم من جملة المماليك والموالي بالرغم من أن المنصور لم يصرح ويجهر بذلك علانية خوفا ورهبة من قوة العثمانيين،إلا أنّه في قرارة نفسه كان يؤمن بذلك، ويجسده في ديوانه،وفي مجالسه فيتسمى بلقب الخلافة –أمير المؤمنين–وفي هذا الصّدد ذكر التمجروتي ما نصه:

« ...إنّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وإن كانوا حملوا الإمارة وقلدوا الأمر في الحقيقة نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها وهم موالينا و ساداتنا الشّرفاء ملوك بلاد المغرب الذين شرفت بهم الإمامة والخلافة وكل مسلم لا يقول عكس ذلك ولا خلافه، وقد أجمع المسلمون على أنّ الخلافة لا تنعقد إلا لمن هو من صحيح قريش... »[2].

فقد أنكر علي بن محمد التمجروتي في هذا النص بصريح العبارة،خلافة آل عثمان للمسلمين،وذكر أنّه يجب على الأتراك العثمانيين تسليم الخلافة إلى الأشراف السّعديين بالمغرب،بإعتبارهم من قريش وهم أولى بها.

–توجه المنصور نحو بلاد السّودان الغربي:

فإذا كان المولى إسماعيل قد غزا شرق حدود المغرب، فإنّ أحمد المنصور السّعدي توجه باتجاه بلاد السّودان الغربي بعدما أخذت أوضاعه الداخلية والخارجية تستقر، فبدأ المنصور يفكر في التوسع غرب إفريقيا فرسم لنفسه سياسة توسعية أساسها التمركز في مواقع إستراتيجية هامة في الصّحراء يجعلها نقطة إنطلاق، فقام بحملتين عسكريتين على توات وتكورارين سنة 991هـ/1583م ،فقد استدعى كل من أبي عبد الله محمد بن بركة، و أبي العباس أحمد بن الحداد العمري، وكان الغرض من ذلك كله تحكم المنصور في أهم الطرق التجارية التي تربط بين المناطق الصحراوية وشمال

---

[1]عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق،ص ص 142، 143. وينظر عمار بن خروف:المرجع السابق،ج1،

[2]علي بن محمد التمكروتي :المصدر السابق، ص165.

إفريقيا[1]وقطع الطريق على الأتراك في الجزائر إذا ما فكروا في التوجه نحو غربي إفريقيا وبلاد السّودان[2]وقد اختلف المؤرخون والباحثون في أهمية هذه العملية العسكرية، ولم يتفقوا على الدوافع التي شجعت أحمد المنصور لغزو السّودان، فيرى الأستاد عبد القادر العافية أنّ هناك من أوعز هذه الحملة إلى أسباب إقتصادية، وهناك من أوعزها إلى نظرة المنصور إلى صرف الجيش المغربي وتصريف قوته نحو غزو السّودان الغربي، حتى يتخلص من ضغوطهم وتطلعاتهم، وحتى لا يشكلون عليه خطرا ولأنّ صرف أنظار الجيش لغزوة في شمال المغرب لا يمكن للمنصور أن يقدم عليها، لوجود قوتين كبيرتين هي الدولة الاسبانية في الشّمال و الدولة العثمانية في الشّرق و هو يعرف جيّدا مدى خطورة إثارة هذين القوتين[3]إضافة إلى أنّ خيرات بلاد السّودان من ذهب ورقيق كانا يشغلان بال المهتمين بالثراء من ملوك سلاطين ذلك العهد، و منهم أحمد المنصور الذي استفاد من حملته على بلاد السّودان استفادة اقتصادية كبيرة، و قد عرف بالذهبي بسبب ذهب السّودان وتبره[4]

2- المولى إسماعيل (قتال الجزائريين):

حكم المولى إسماعيل المغرب مدة تزيد عن الخمسين سنة، إتسمت فترة حكمه في مجملها بالصراع والتوتر والقتال ضد إيالة الجزائر، ويعود ذلك إلى أنّ المولى إسماعيل كان يعتقد أن الأتراك في الجزائر يكنون له العداء بسبب دعمهم للحركات المسلحة الداخلية،بغرض بثّ الفوضى وعدم الإستقرار داخل المغرب،و بوجود حركات تمرد تسعى إلى الإستفادة من دعم الأتراك في الجزائر "كالخضر غيلان" "وآل النقسيس" بتطوان والدلائيين في سلا، و"أبي حسون السملالي" في درعة ثم "أحمد بن محرز" و"الحران" وابن السلطان "محمد العالم" في مراكش وتارودانت [5]،وبالتالي إنتهج المولى إسماعيل مع الأتراك في الجزائر سياسة القوة والعنف وعدم التساهل مع مطامع الأتراك في الجزائر من ضم أي شبر من أرض المغرب كما يعتقد[6] .

---

[1] *F.Braudel: **La Méditerranée ,Léspace et l histoire** ,Editeur flammarion 1985,T1 ,P166.*

[2] عبد الكريم كريم : المرجع السابق،ص 150.

[3] أنظر عبد القادر العافية: "**أحمد المنصور الذهبي قول على قول**"،في مجلة دعوة الحق المغربية ،عدد178.

[4] نفس المرجع.

[5] أحمد الأزمي:**بعض جوانب السّياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل مؤسس الدولة العلوية**،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،أعمال الدورة الأولى ،المملكة المغربية،وزارة الثقافة، ص183.

[6]عبد الهادي التازي: "**السّياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين**"،في مجلة دعوة الحق،عدد 264، أفريل،ماي،1987م،ص 80.

ولـذلك نجد أنّ المولى إسماعيـل جيّش الجيـوش وجـرّد الحمـلات العسكرية القويـة على الحـدود الغربيـة للجزائر،شانا على حـدود الإيالـة الجزائرية،الغارات المتتالية،خاصـة عنـد مـا عيّن ابنـه "زيـدان" حاكما على الجهة الشرقية، و أصطدم مع الجزائريين في العديد من المواقع والمعارك خرج في معظمها منهزما، ومنهـا موقعـة الكويعـة في الغـرب الجزائري سـنة 1089هـ/ 1678م[1] و وقعـة المشـارع حيـث التقـى الجمعـان في مكـان يسـمى المشـارع على نهر ملوية شرق تلمسـان سنة1103هـ/ 1692م[2] ثم موقعة الجديوية[3] .

- **التّحالف مع التّونسيين 1695م:**

حـاول المـولى إسماعيـل عقـد تحـالف ضـد الجزائـريين بدايـة مـع بـاي تـونس "محمـد الثـاني" 1695/1688 ثم البـاي "مـراد الثالـث" الملقـب "ببوبالـة" سـنة 1702/1698 وكلمـة بوبالـة تعـني في اللغة التركية السّيف[4]،حيث توجه هذا الأخير إلى قسنطينة وحاصرها[5]،هذا التحالف الذي وردت إشـارات عنـه في الرسـالة الـتي بعـث بهـا الـداي شـعبان(1689م/1695م)،إلى الملـك الفرنسـي بتـاريخ1 سـبتمبر 1694م[6]،إعتقـد المـولى إسماعيـل أنّـه سـيحقق النصـر علـى الجزائـريين بإغتنـام فرصـة أوضـاع الجزائـر الداخليـة،فبحث عـن قـوة أخـرى للإتفـاق معهـا، فعـرض علـى الملـك الفرنسـي المصـاهرة لكـن فرنسـا في هـذه الفـترة قـد أمضـت مـع الجزائـر معاهـدة السّـلم المئـوي[7]، ولا يمكـن أنّ تتحـالف معـه

---

[1]حسين مؤنس: المرجع السابق، مج 3،ج 2 و 3، ص 243. وينظر كذلك أبو القاسم أحمد الزياني: **التّرجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**،ص32.

[2] إثر هزيمة المولى إسماعيل في معركة المشارع ،بعث الفقيه محمد الطيب الفاسي مع وفد هام للجزائر، قصد إمضاء الهدنة مع الأتراك في الجزائر، وقد أشيع عن أعضاء هذه السفارة أنهم قتلوا جميعا، ليتبين فيما بعد، أنّ الخبر عار عن الصّحة،و عن هذه الشخصية ينظر ليفي بروفنصال: المرجع السابق،ص200.

[3] تقع مدينة الجديوية غرب الجزائر في وسط إقليم غليزان،يحدها واد رهيو، ومن الغرب مدينة الحمادنة، ومن الجنوب بلدية أولاد يعيش، ومن الشمال بلدية الحمري في مكان يسمى زبوجة العرب.

[4] أنظر الموسوعة الحرة.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي:المرجع السابق،ج3،ص206.

[6]*Eugene blantet:Opcit,p415.*

[7]هي معاهدة أبرمتها فرنسا مع الجزائر في 24 سبتمبر 1689م ،عرفت بالسلم المئوي،جاءت بعد أن فشلت الحملة العسكرية التي شنها الأميرال دوستري على مدينة الجزائر،حيث وجد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر نفسه عاجزا عن التصدي للبحرية الجزائرية وعن تموين الحرب، فأُبرِمت هذه المعاهدة لترسي السلام بين البلدين، تضمنت إحدى وثلاثين بندا،ينظر محمد بن سعيدات:**علاقات الجزائر مع فرنسا /1659-1756م**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ،غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية،جامعة غرداية 2011-81،2012.

لضرب الجزائر وفق معاهدة السّلم الممضاة بينهما، فأدرك أنّ التحالف مع التّونسيين أجدى وأكثر نفعا خاصة وأنّ التّونسيين ناقمون على الجزائريين كثيرا،فأتفق معهم وحدد الطرفان وقتا للهجوم على الجزائر[1]،علم الجزائريون بالإتفاق،وبغية إفشاله قرر الداي "شعبان" قتال التّونسيين، فهزمهم ثم توجه إلى الناحية الغربية، فعلم المولى إسماعيل بالأمر فتحرك بقواته مدعيا تأديب قبيلة "غويا فزاز"،بجيش تعداده أربعة عشر ألف جندي من المشاة، وثمانية آلاف فارس،وكان الأسرى الذين أسرهم من مسيحيي العرايش والمهدية يجرون المدفعية،ولدى وصوله إلى وجدة علم بقدوم الجيش الجزائري فعاد منسحبا إلى بلاده واستمر الجيش الجزائري يلاحقه، مستغلا إشتغاله بالإنسحاب فكبده خسائر جسيمة بعدما حاصروه عند نهر ملوية ،وطاردوه حتى أسوار فاس[2].

-طلب الصّلح من الجزائريين:

إشتدّ الصراع بين المولى إسماعيل وإيالة الجزائر،تعرض خلالها السلطان المغربي إلى هزائم عسكرية كبيرة، دفعت به إلى طلب السّلم مع الجزائر ففي سنة 1103هـ/ 1691هـ من شهر ذي القعدة، بعث المولى إسماعيل سفارة إلى أوجاق الجزائر تضم حوالي مائة وعشرون رجلا منهم ابنه المولى عبد الملك،ومفتي المملكة، والكثير من رجال الدين لطلب السلم من الجزائريين وإنهاء سبل العداء والتوتر الدبلوماسي بين البلدين[3]وقد ذكر الناصري ذلك بقوله:«**وبحلول سنة 1108هـ/1696م بعث السلطان العثماني مصطفى سفارة للمولى إسماعيل مكونة من عشرة رجال مكلفة بإبرام الصلح مع أهل الجزائر، وكان من بينهم الفقيه المحجوب الحضري**»[4]وفي هذا الصّدد قال الناصري:« **ثم دخلت سنة ثمان ومائة وألف ففي يوم عرفة منها قدم عشرة رجال من إصطنبول ومعهم كتاب من السّلطان مصطفى بن محمد العثماني صاحب القسطنطنية العظمى إلى السلطان المولى إسماعيل يندبه إلى الصلح مع أهل الجزائر فأنتدب رحمه الله وأمتثل...**»[5].

---

[1]سامح إلتر:المرجع السابق ،ج2،ص440.

[2]نفس المرجع،ص441.

[3]*A. de voux :**Tachrifat recueil de Notes Historiques sur Làdministration de Lancienne Régence d alger** ,impremerie du gouvernement Alger ,1852 , p 10 .*

[4] أبو الصون المحجوب الحضري أحد أدباء وفقهاء الجزائر ويبدو أنه من كتاب الديوان التركي بالإيالة الجزائرية،أنتدب لكتابة رسالة الصلح بين الجزائريين والمولى إسماعيل.

[5] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق،ج7،ص 87.

فحسب ما أورده الناصري فإنّ المولى إسماعيل، قد جنح للسلم مع الجزائريين وفضّل الصّلح على المواجهة العسكرية بطلب من السّلطان العثماني مصطفى الثاني(1664 -1704م).

- توجه المولى إسماعيل نحو شرق المغرب:

وفي الربيع من سنة 1106هـ/1695م، خرج ابن السلطان المولى زيدان غازيا ناحية تلمسان، فقاتل الترك ونهب الأموال ورجع، بالرغم من سريان ميثاق الصلح بين أبيه والجزائريين، مما ينذر أن الصلح بينهما قد سقط، واشتدت هجمات المولى زيدان على الجزائريين عندما عينه أبوه حاكما على الشّرق فكان يغير على رعايا الإيالة الجزائرية،فشرد الكثير من قبائل ناحية تلمسان، حتى وصل إلى مدينة معسكر،فهاجمها ونهب دار أميرها "عثمان باي"وأخذ ما فيها من أفرشة، وقد وصلت أخباره إلى أبيه المولى إسماعيل فغضب عنه وعزله بسبب إنتهاكه لمعاهدة الصلح التي وافق عليها مع السلطان العثماني مصطفى[1]واستمرت المواجهة بين المولى إسماعيل وإيالة الجزائر على أشدها،ففي سنة 1112هـ/1700م ذكر الناصري مانصه:« **ثم دخلت سنة 1112هـ فيها غزا السلطان بلاد الشرق وحارب الترك بها، لإنقاذ الصلح الذي كان بينه و وبينهم بسبب غارات المولى زيدان المتقدمة ولما قفل السّلطان من وجهته هذه هلك من جنده أثناء الطريق عدد كبير من العطش...** »[2].

- الإعتراف بمعاهدة الحدود:

تعرض المولى إسماعيل في مواجهته مع الجزائريين إلى هزائم عسكرية كبيرة،دفعت به أن يعترف عمليا بمعاهدة رسم الحدود مع إيالة الجزائر،الممضاة في عهد أخيه المولى محمد الأوّل ثم أخيه المولى الرشيد إلاّ أنّ المولى إسماعيل تنكر لتلك المعاهدة ولم يعترف بها،لكن الظروف السياسية والعسكرية التي طبعت علاقاته مع إيالة الجزائر،قد أجبرته على الإعتراف بمعاهدة الحدود[3]،وقد أعطى العهود والمواثيق لذلك،والحادثة التاريخية التي رواها المؤرخ الفرنسي ليون كاليبار[4]والتي إعتمدها محقق كتاب

---

[1] نفس المرجع، ج7، ص89، 90.

[2] نفسه، ج7،ص 90.

[3]ينظر أبو القاسم أحمد الزياني:**الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**،ص32.

[4]*L éon Galibert: Op.cit. ,p234.*

وعن هذا الصلح بين المولى إسماعيل والإيالة الجزائرية ينظر *R. A. M ,vol IX ,decembre 1906 , p79*

"التّحفة المرضية" عندما ذكر إستسلام ورضوخ المولى إسماعيل عند خيمة الصلح مع الجزائريين،وينفيها الإخوة المغاربة جملة وتفصيلا .

فهل كان فعلا للطرفين أطماعا توسعية في أراضي الطرف الآخر ؟أم أنّ الأمر لايعدو أن يكون مجرد خلاف حول رسم الحدود ؟ [1]،فظاهر الأمر أن غرض أتراك الجزائر والمولى إسماعيل كان ينحصر في تأمين حدودهما، وضمان الإستقرار على جانبيهما،وحتى وإن صحّ الحديث عن وجود أطماع توسعية لدى الجانبين،فإنّ تلك القبائل تتميز بعدم الإستقرار والترحال فهي منطقة مد وجزر بين الجزائر والمغرب[2]،لذلك نجد أنّ العديد من حملات المولى إسماعيل على شرق المغرب، كان غرضها ربما تأديب قبائل بني يزناسن، وبني عامر، نظرا لمناصرتهم ومسايرتهم للأتراك في الجزائر أكثر مما كان موجها ضد الأتراك أنفسهم،لكن رغم إلتزام كلا الطرفين –المغرب و الجزائر– بوادي التافنة كحد طبيعي فاصل بين البلدين، فقد ظل كل واحد منهما، ينظر للآخر بعين الحذر والريبة ،ويرى فيه الخطر الكامن الذي يمكن أنّ يهدد إستقرار إيالته، وغالبا ماكانت التهم تتبادل بينهما، وكل طرف يحرض القبائل على إثارة الفتنة، بين رعايا هذا الطّرف أو ذاك[3].

ومما تقدم يمكن القول:

-شهد عصر أحمد المنصور ،القرن السادس عشر تحولات كبرى منها ظهور الإسبان والعثمانيين كقوتين عظيمتين في الحوض الغربي للمتوسط،ثم الأحداث التي شهدتها أروبا بفعل تدعيات الإصلاح الديني ،كما عرف العصر معارك كبرى غيرت مجرى الأحداث في المنطقة وهي معركة ليبانت سنة 1571م ومعركة وادي المخازن سنة 1578م .

–اتسم القرن السابع عشر والثامن عشر وهما عصر المولى إسماعيل، بأفول نجم إسبانيا وبروز فرنسا كدولة قوية في عهد ملكها لويس الرابع عشر إضافة إلى تواجد الإنجليز في جبل طارق والمعمورة

---

[1] محمد المنصور:"**الضغوط العثمانية وأثرها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من خلال حالة طنجة**"،في مجلة دار النيابة،مجلة فصلية وثائقية دراسية تعتني بتاريخ المغرب،السنة الثانية،عدد 5، طنجة المغرب 1985م،ص28.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق،ج7،ص ص89 -90

[3] نفس المرجع،ج7،ص ص89 -90.

كمنافسين لسياسة فرنسا في المنطقة،وتميز العصر بإشتداد القرصنة والقرصنة المضادة في البحر الأبيض المتوسط.

-تميزت رسائل أحمد المنصور الذهبي بقوة اللغة ورصانة الأسلوب،واستعمال في رسائله كلمات عثمانية ،واستخدامه لمصطلح الخادم أو الرسول،وإستعمال الرموز السرية او الشفرة.

-إتصفت رسائل المولى إسماعيل في عمومها بضع اللغة وركاكة الأسلوب وإستخدام مصطلح خديمنا الأكبر الأعز واستعمال صفة الطاغية في مراسلاته مع الإسبان خاصة.

-كانت علاقات أحمد المنصور الذهبي مع إسبانيا تتميز بالسلام الحذر واستطاع أحمد المنصور أن يمارس مع إسبانيا سياسة المماطلة والتسويف في قضية ميناء العرايش،وكان يتحاف مع فيلب الثاني ضد العثمانيين إذا إقتضت مصلحته ذلك.

-تميزت علاقات المولى إسماعيل مع إسبانيا بالصراع والتوتر والمواجهة المسلحة وهي سياسة مارسها المولى إسماعيل في تحرير الثغور المحتلة وانتزاعها من الإسبان التي فقدت قوتها العسكرية ثم التشدد الدبلوماسي والسياسي في تحرير الأسرى.

-كانت علاقات أحمد المنصور الدبلوماسية مع فرنسا في بداياتها ولم تكن عميقة الجذور بإعتبار أن فرنسا في القرن السادس عشر كانت تسعى لترتيب بيتها الداخلي.

-فضل المولى إسماعيل أن تكون علاقاته مع فرنسا في عهد لويس الرابع عشر قوية ومتينة تدل على ذلك البعثات الدبلوماسية الكثيرة بين البلدين لأن المولى إسماعيل كان يسعى من خلال هذه العلاقات أن يقيم مع لويس الرابع عشر تحالفا إستراتيجيا لمساعدته في تحرير الثغور المحتلة خاصة سبتة ومليلة.

- إرتبط أحمد المنصور الذهبي مع إيالة الجزائر بعلاقات سلمية على العموم ولم يواجه فيها إيالة الجزائر عسكريا،وأستطاع بدهاء سياسي كبير وحنكة دبلوماسية فائقة،أن يجنب بلاده محاولات الضم من طرف الإمبراطورية العثمانية التي كانت أطماعها في المغرب ظاهرة.

-عرفت علاقات المولى إسماعيل مع إيالة الجزائر بالتناحر والمواجهة العسكرية على الحدود الشرقية للمغرب بسبب سياسة المولى إسماعيل التوسعية ورغبته الشديدة في إحراج الأتراك العثمانيين.

فإذا كنت قد تتبعت بالتفصيل الإختلافات والتناقضات الموجودة بين أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل العلوي في سياستهما ودبلوماسيتهما في التعامل مع كل من إسبانيا وفرنسا والجزائر.

فما هي أوجه التّشابه ومواطن الإتفاق بين أحمد المنصور والمولى إسماعيل في المجال السّياسي والدبلوماسي مع القوى المجاورة لهما في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط؟

الفصل السّادس

جوانب التشابه في السياسة والدبلوماسية مع دول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

1- إخفاقهما في تحريركل الثغور المحتلة .

2- لم يثق السّلطانان في حكام الجزائر.

3- إستغلا التناقضات السّياسية والدولية.

4- قبولهما للهدايا على حساب مصالح المغرب.

5- لم يبادرا بالعلاقات السّياسية والدبلوماسية.

6-توظيفهما للدين في العمل السّياسي والدبلوماسي.

7-كلاهما إكتفيا بالبعثات غير الإقامية.

8- إخفاء مبعوثيهم لأسرار الدولة.

9- قلّة الإنفاق على بعثاتهما الدبلوماسية.

10-كلاهما يفتقران إلى الفعالية في الدبلوماسية.

11- لم يعطيا الإهتمام الكافي لمضمون المعاهدات.

12-كلاهما كافأ وعاقبا السّياسيين والدبلوماسيين .

13- أبرزا هيبة الملك.

14- حافظا على استقلال المغرب وأمنه.

تمهيد

إتفقت سياسة ودبلوماسية كل من السلطانين أحمد المنصور الذهبي والمولى إسماعيل العلوي، في جملة من الخصائص والمميزات، طبعت مسيرتهما السياسية،وعلاقاتهما الدبلوماسية مع دول ضفتي البحر الأبيض المتوسط أذكر منها:

1- إخفاقهما في تحرير كل الثغور المحتلة:

فشل كل من أحمد المنصور السّعدي،وإسماعيل العلوي في تحرير مدينة سبتة ومليلة من الإحتلال الإسباني، بالرغم من المحاولات الدبلوماسية والسّياسية حينا وباستعمال القوة العسكرية في أحيانا أخرى، خاصة في عهد المولى إسماعيل،ويعود إحتلال مدينة ستبة إلى يوم الخميس 15جمادى الثانية سنة 818هـ الموافق لـ 21أوت 1415م بجيش ضخم يقوده ملك البرتغال "جان الأول" فكانت هذه الحملة الصّليبية الهائلة على المغرب، أول محاولة إستعمارية، قامت بها المسيحية في غرب العالم الإسلامي، وأوّل محاولة توسعية حققتها مملكة البرتغال،لأن سبتة هي المرسى التي أقلعت منه السّفن الإسلامية لفتح الأندلس[1]،وقد عمت الفرحة العالم المسيحي عند إحتلال سبتة، واعتبروه إنتقاما لسقوط القسنطيطينية في الشّرق، وقد أنكر الكثير من العلماء ومنهم الشيخ "رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي"[2]على أحمد المنصور بُعيد نصر وادي المخازن، تقاعسه لعدم إنتهاز الفرصة لتحرير المدن المغربية وعلى رأسها سبتة،فبعث له رسالة يحضه على ذلك ومما جاء فيها[3]:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما الحمد الله، من عبد الله رضوان بن عبد الله إلى أمير المؤمنين السلطان أبي العباس بن موالينا وسادتنا الشرفاء،وإلى هذا فالله، الله في الحزم وإمضاء العزم، وهو ما ظهر لرعيتكم من انتهاز هذه الفرصة الممكنة في هذا الوقت من الحركة لمدائن الكفار التي هي طنجة و سبتة

---

[1]محمد الفاسي:"**إحتلال البرتغاليين للثغور المغربية الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن**"،في م د ح، عدد خاص،عدد8،1978،ص21.

[2] الشيخ أبي الرضى رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي ولد عام 912هـ وتوفي عام991هـ بفاس،عاصر وقعة وادي المخازن، للمزيد من الإطلاع، ينظر عنه محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**،المطبعة السلفية، القاهرة 1349هـ، ص 286.

[3]محمد المنوني: **" وثيقتان جديدتان عن ذيول موقعة وادي المخازن"**، في م د ح،المغرب أوت 1978م،عدد 8، ص 30.

وأصيلا؛ فإنّهم في هذه الساعة في دهش وخزي وخذلان بما أمكن الله منهم، ولا أظن– نصركم الله– مثل هذا يخفى عليكم حتى نحتاج أن نذكركم به »[1].

فالمنصور لم يستطع تجريد أيَّ حملة عسكرية لتحرير سبتة، وفضل أن يُجيّش الجيوش الضخمة ويتحمل خسائر عسكرية كبيرة ليغزو بلاد السّودان الغربي،بسبب تخوفه الدائم من الإسبان بعدما سيطروا على إرث الإمبراطورية البرتغالية المتهاوية بعد هزيمة وادي المخازن،بينما بذل المولى إسماعيل جهودا لتحرير المدينة وجرد لها العديد من الحملات العسكرية، والحصارات المتتالية، لكنّها باءت كلها بالفشل نظرا للتحصينات العسكرية التي أقامها الإسبان في المدينة،ونجد المولى إسماعيل يعلن عن رغبته ويفضل تحطيم مدينة سبتة تحطيما كليا بذل أن تبقى في يد المحتل، وقد توجه للإنجليز طالبا عونهم حيث يقول:«**فإذا أنتم لم تنفعوا – يقول الخطاب الإسماعيلي– للبرلمان الإنجليزي بخلاء سبتة في هذا الوقت ففي أي وقت تنفعنا المهادنة معكم والله لو أن جيش العرب ينصحون كل النصح ما بقيت نصارى الإصبنيول بسبتة إلى هذا الوقت وما يعرف نصح العرب وجدهم واجتهادهم واجتماع كلمتهم إلا إذا تحرك ملكهم بنفسه، فإنهم يجتمعون عليه والعرب أناس بر لابحر وسبتة إستدار البحر بثلاثة أرباع منها وما حاضرة سبتة – يتابع المولى إسماعيل رسالته– إلا لمجاراتنا إياها وقربها منا وكونها جاءت في عدوتنا وفي برنا،وهي معروفة من قديم الزمان للإسلام ولا ضرر عليكم–يخاطب الإنجليز–في عمارتها بالمسلمين،فضلا عن خلائها الذي هو قصدنا ومرادنا على أننا ما طلبناكم ورودناكم في الإعانة على سبتة لنعمرها بالمسلمين وما أحببت منكم إلا إخلائها بحيث لايعمرها من المسلمين ولا من النصارى أيا كانوا»**[2].

وعندما يئس المولى إسماعيل من الإنجليز وخذلانهم له من تقديم يد المساعدة إليه في تحرير سبتة،نجده يتوجه إلى الفرنسيين،لعله يفوز بطلبه،فيوعز للسّفير ابن عائشة،بأن يكتب للأمير دوفين (*Dauphin*)والوزير"بونشتران "(*Ponchartin*)من مدينة سلا رسالة بتاريخ 6ربيع الثاني 1121هـ الموافق لـ 15 جويلية 1709م يغري فيها الفرنسيين،بأخذ جبل طارق من الإنجليز، نكاية فيهم لتقاعسهم في تقديم النّصرة له في تحرير سبتة،بالرغم من معاهدة السّلم والتعاون التي أمضاها

---

(1)عبد الهادي التازي:"**الثغور المغربية بين المواجهة المسلحة والتدخل الأجنبي**"،في مجلة م.ب.ع،عدد 25،الرباط،1976،ص16.

(2) عبد الهادي التازي:"**الثغور المغربية بين المواجهة المسلحة والتدخل الأجنبي**"،ص16

عامل المولى إسماعيل مع الملكة الإنجليزية القائد "علي بن عبد الله"،وقد استمرت سبتة في أثناء كل هذه التدخلات محاصرة،ولم ينفك عنها التّطويق،إلّا عندما توفي المولى إسماعيل فقد مرّ حصار سبتة بمرحلتين إمتدت الأولى،من سنة 1673م إلى تاريخ تحرير العرايش سنة 1689،والثانية من سنة 1694م إلى سنة 1727م،وتضاربت الأراء حول الأسباب الكامنة وراء فشل تحريرها، فمنهم من أرجعها إلى عدم تحمس المجاهدين لذلك، حتى لايكلفهم السّلطان بتحرير الجديدة ويبعدهم عن ذويهم وأهلهم –وهم قد يئسوا وملّوا من الحرب – وهناك من لفت الإنتباه إلى الدور الذي قام به الخونة المغاربة في إطلاع الإسبان على تفاصيل الخطط العسكرية أولا بأوّل[1]،لهذا نجد أنّ أحمد المنصور السّعدي،والمولى إسماعيل العلوي في دبلوماسيتهما الخارجية وسياستهما الداخلية عجزا عن تحرير كل الثغور المحتلة بالرغم ما بذل من رغبة وجهد.

2- لم يثق السلطانان في حكام الجزائر:

إلتقت سياسة أحمد المنصور السّياسية والدبلوماسية،مع سياسة المولى إسماعيل في نقطة هامة،وهي عدم ثقة كلاهما في حكام الجزائر الأتراك، فكانا في تخوف دائم منهم،بالرغم من أنّ أحمد المنصور كان يداري الأتراك ويجاملهم، ويهادنهم،إلاّ أنّ هواجس التّخوف منهم كانت مسيطرة على تفكيره،فلم يطمئن يوما إلى تعامله معهم،وكان يعتبرهم أعداء لمملكته،فهذا ما نستشفه من الرسالة التي بعثها المنصور إلى ابنه محمد الشّيخ حاكم فاس بعد سنة من وفاته،في شهر جمادى من عام 1011هـالموافق لـ1602م،يحذره من إستعمال أولاد طلحة في خدمته،لأنهم موالون للأتراك،ولا يمكن الوثوق بهم،ويصرح بوضوح في رسالته أنّ الأتراك عدو للمغرب حيث قال مانصه:« **فإذا بكم تستخدمونهم بطانة[2]وأصدقاء، وتطالعونهم على أموركم وأحوالكم،مع أن القوم مازالوا ببلاد العدو وبين أظهره،وإنما الذين يطالعونه على أموركم نحتاج ونقطع ونجزم، فإنّ الترك قد إطلعوا عليه،حتى كأنهم شاهدوه،ووقفوا عليه بأنفسهم [...] فضلا عن هؤلاء الذين إلى اليوم في بلاد العدو، يباكرونه، ويراوحونه...** »[3].

---

(1) محمد جادور:**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز،الدار البيضاء المغرب، 2011،ص 297، 298.

(2)بطانة السّلطان هم حاشيته، وخاصته، وأهل ثقته، ومن يحيطون به ويلازمونه، وهم مقربون إليه ولا يحجب عنهم سر، قال تعالى: " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ..." آل عمران الآية 118.

(3)محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني:المصدرالسابق،ص ص 174، 179.

إضافة إلى القضية الشّائكة التي كانت تطارد أحمد المنصور وتؤرقه، وتهدد حكمه، وهي إستعداد الأتراك لدعم "إسماعيل بن عبد الملك" لإسترداد حقه في ملك المغرب، مما دفع به إلى عقد إجتماع مع قادته المقربين "كإبراهيم السّفياني"، و"مومن بن كرزية" وأطلعهم على خطورة تواجد الشّرفاء ومنهم "إسماعيل بن عبد الملك" سواء في المغرب أو عند الأتراك العثمانيين لإتخاذهم وسيلة ضغط وتهديد للمنصور، ثمّ العاطفة التي يكنها السّكان لهؤلاء، وإستعدادهم لدعمهم، إن ثاروا عليه،فأتخذ قرار إعتقالهم وسمل أعينهم،وإن كان البعض أوعز ذلك وربطه بثورتهم على المنصور في تادلة [1].

بينما جاهر المولى إسماعيل بعداوته السّافرة للأتراك في الجزائر،وترجم مواقفه هذه،إلى صدام مسلح على الجهة الشّرقية للمغرب، وسعى بكل جهد لطرد الأتراك العثمانيين من شمال إفريقيا[2]،والجدير بالذكر أن الأتراك العثمانيين لم يخاطبوا السلطانين في رسائلهم إليهما بلقب السلطان، أو الخلفاء، بل كانوا يطلقون عليهما لقب "حكام فاس" أو "مراكش"، إيذانا بعدم إعترافهم بخلافة الأشراف على المغرب[3]،ولكي يزاحم المنصور الأتراك العثمانيين ويحرجهم عن الخلافة وسيادة العالم الإسلامي، كان يبعث إلى تلك الأصقاع بالمشرق سفراء وحجاج وطلاب ورحالة، يقومون له بالدعاية السياسية،وإبراز نسبه الشريف،و قد وصف الفشتالي مهمة أحد هؤلاء وهو أحمد بن القاضي[4]بقوله :

« ثم تاب له رأي في معاودة البلاد الشّرقية للتطوع بحجة أخرى واستزادة العلم والتحصيل وكانت له نية بالغة في نشر مآثر مولانا الإمام أمير المؤمنين أيده الله في الأفاق فجمع من مفاخر الدولة وأمداحها و فتوحها ومآثرها ما أملى بثه في الأقطار ونشره في المشارق...»[5]،فهو يرى نفسه قرشي الأصل، شريف النسب،أحق بالخلافة الإسلامية في العالم الإسلامي كله، مشرقا ومغربا،بدل الأتراك العثمانيين العجم الذين إستولوا على الخلافة كما يرى[6].

كيف استعمل الأتراك في الجزائر ورقة الثّغور ضد المولى إسماعيل؟

---

(1) عن سجن المنصور للشرفاء ومقتلهم، ينظر أنطونيو دي صالدانيا: المصدر السابق،ص64.

(2) زهرة النظام:"**العلاقات التركية وتطورها عبر التاريخ**"،في مجلة التاريخ العربي،عدد48، 2009،ص245.

(3) سامح إلتر:المرجع السابق،ج1، ص 443.

(4) محمد الغربي :المرجع السابق، ص 114.

(5) عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق،ص230.

(6) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، مج3، ص202

من الجوانب التاريخية التي ظلت غامضة في صراع المغرب مع إيالة الجزائر العثمانية، هي مشكلة الثغور المغربية المحتلة والتي إستعملها الأتراك في الجزائر كورقة ضغط على المولى إسماعيل، فكان تحرير المولى إسماعيل للثغور المغربية في جوهره جهادا ضد النصارى، بدوافع دينية أو رغبة في كسب ود القوى الصّوفية في المغرب،لتعزيز مكانته داخليا وخارجيا، أما البعد الخارجي والمتمثل في ضغوط الأتراك في الجزائر على المولى إسماعيل لتحرير الثغور ظل غائبا،ومن الوثائق التي تؤكد هذا الإتجاه، هي الرسالة السّرية التي بعث بها أحد عمال المولى إسماعيل وهو "محمد بن حدو أعطار" إلى "شارل ملك" إنجلترا لحث الإنجليز على الرحيل على طنجة، بعد إنتهاء مدة الهدنة بينهما، كما نلمس في هذه الرسالة أثر الضغوط الشّديدة التي كان يمارسها الأتراك العثمانيون على السّلطان المغربي من أجل تصفية التّواجد المسيحي في المغرب[1] بل يعدونه بالوصاية السّياسية على إيالة الجزائر،إن هو بادر إلى طرد النصارى من بلاده فيقولون له :

« **أهل الجزائر يكونون على أمرك ونهيك، في كل ما تريده منهم، ويعطونك الحركة والجيش لجهاد النصارى، في الوقت الذي تريد، وإن لم يبادروا لك بكل ما تحتاجه منهم فقد أذنا لك إنتقم منهم بنفسك**... »[2].

وفي رسالة أخرى من المولى إسماعيل إلى ملك الإنجليز شارل الثاني جاء فيها:

« **من قال لك أني أرضى بهدنة، أو صلح على أرض الإسلام، وهي واقعة تحت قهر أنفاضك فقد كذب عليك وخدعك، ولم يقل لك إلا الباطل كيف أقبل منك البقاء بأرض الإسلام وأنت مقيم فيها ؟ والتّرك لابد أن يشنعوا بي، ويعيبوا علي ذلك، فهم لايعقدون صلحا مع النصارى إلاإذا كانوا تحت ذمتهم، أما أنت فأطلب الصّلح وأبراجك لازالت قائمة، وانفاضك منصوبة**...»[3].

-لماذا لم ينه الأتراك في الجزائر حكم الأشراف في المغرب؟ :

سعى الأتراك العثمانيون بكل جهد لضم المغرب الأقصى للمتلكاتهم في شمال إفريقيا،لتكون لهم السيطرة الكاملة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في ضفته الإسلامية،وكانوا يعتبرون

---

[1] محمد المنصور:المرجع السابق،ص29.

[2] نفس المرجع .

[3] نفسه،ص ص30، 31.

المغرب ولاية تابعة لهم –وإن لم يضموه فعليا– وهذا ماتدل عليه مضامين رسائل العثمانيين الموجهة للسّعديين في المغرب، حيث يخاطبونهم بحكام فاس وهوما كان يعتبر من منظور العثمانيين أن المغرب ولاية تابعة لهم ويتجلى ذلك أيضا في السفارة العثمانية "لمحمد الشيخ المهدي"(964هـ/1540م-1557م) التي اقترحت عليه المساعدة العسكرية لمحاربة المسيحيين المحتلين للثغور المغربية، مقابل الخطبة باسم السلطان العثماني والتي إن تحققت فهو اعتراف ضمني بتبعية المغرب للإمبراطورية العثمانية[1].

تغيرت الأوضاع العسكرية بالنسبة للعثمانين وتراجعت، إثر هزيمتهم في ليبانت سنة1571م، وكانت معركة دامية فقد فيها العثمانيون آلاف القتلى والأسرى، وإغراق العديد من قطع الأسطول العثماني وقتل من القوة الصّليبية حوالي 8 آلاف وسقط 20 ألف جريحا، وأصيبت غالبية السّفن المسيحية، وكان من بين الأسرى المسيحيين "ميغيل دي ثيربانتس"، الذي فقد ذراعه الأيسر وعاش أسيرا في الجزائر، وألف روايته المشهورة «دون كيشوت[2].

إضافة إلى أطماع سلاطين المغرب غير خفية في التوسع شرقا نحو الإيالة الجزائرية خاصة في العهد العلوي الأول، بتجريد حملات عسكرية عديدة وصلت إلى حد تلمسان ومناطق أخرى في الجنوب الجزائري[3]،الأمر الذي أجبر الأتراك العثمانيين من منظور بعض المؤرخين من إنتهاج خطاب المهادنة، واللّين، وإظهار فكرة الحدود التي لم تكن مطروحة من قبل، بإعتبار أنّ بلاد المسلمين واحدة لا تحدها الحدود،أليس فكرة رسم الحدود بين إيالة الجزائر والمغرب–والتي طرحها الأتراك العثمانيون– هي من هواجس التخوف من حكام المغرب؟.

وإذا كان الأتراك العثمانيون يفكرون في غزو المغرب عسكريا؟فلماذا يصرّون على مسألةترسيم الحدود،التي إفتكوا من أجلها أول إعتراف مكتوب من السّلطان"محمّد الأول"(1636م – 1663م)،فالذي يريد الغزو، لايسعى لترسيم الحدود بينه وبين البلد الذي يغزوه ؟ [4]،ويذهب المؤرخ

---

[1]خاليد فؤاد طحطح: المرجع السابق، ص107.

[2]منصف يوسف: "**هل خضع المغرب لنفوذ الإمبراطورية العثمانية** "؟، في جريد المساء المغربية،ليوم 2014/04/20، عدد 2353،ص01.

[3]وصلت هذه الحملات العسكرية حتى مدينة الأغواط وعين ماضي ومدينة الغاسول الواقعة جنوب ولاية البيض بحوالي 42 كلم ينظر أبو القاسم الزياني:**البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**،ص42.

[4]خاليد فؤاد طحطح: المرجع السابق،ص108.

"أحمد العماري" محقق كتاب "تاريخ الضّعيف" إلى نظرة تاريخية مخالفة لمسألة الحدود بين المغرب والجزائر، فهو يرى أنّ الخلاف بين الشّرفاء بالمغرب سواء السّعديين أو العلويين وبين الأتراك العثمانيين من جهة أخرى، لم يكن في جوهره خلافا على الحدود،وإنما مرجعه إلى مسألتين هامتين وهما:

- أحقية الخلافة التي كان السّعديون والعلويون يعتبرون أنفسهم أحق بها من الأتراك،وينظرون إليهم كمختصبين للخلافة .

- وحدة شمال إفريقيا التي كانت ضروة تاريخية، وحتمية سياسية، و وحدة إسلامية، للوقوف أمام الخطر المسيحي سواء على البحر الأبيض المتوسط، أو على المحيط الأطلسي[1]،لقد كان الأتراك العثمانيون- على ما يبدو – على دراية تامة بهذين المبدأين، لذلك حاول الأتراك تطويق موقف الشّرفاء، بخطة سياسة الحدود في عهد أوائل السّلاطين العلويين، بينما الصراع الخفي بين الطرفين تمركز على إشكالية الخلافة ونذكر على سبيل المثال إتخاذ المنصور لقب الخليفة وتسمى بأمير المؤمنين،مما أثار حفيظة السّلطان العثماني، وخاصة عند إستقباله لسفارة ملك بورنو "إدريس ألوما"، الذي كان يطلب دعما عسكريا، لمواجهة خصومه من الصونغاي[2].

وفي هذا الخصوص قال عبد العزيز الفشتالي ما نصه:«**ورد الرسول ثانية إلى الأبواب العلية المشرفة فوافى أمير المؤمنين بحضرته العلية مراكش دار الخلافة، فأزاح اللبس وبين الغرض**»[3].

-أسباب إخفاق العثمانيين في ضم المغرب إلى دولتهم :

وصل العثمانيون في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي إلى ذروة قوتهم،إلا أنهم أخفقوا في ضم المغرب إلى إمبراطوريتهم،وقد أرجع الأستاذ "عمار بن خروف" أسباب هذا الإخفاق والفشل،في عدم سيطرة الأتراك العثمانيين على المغرب،بالرغم من قوتهم العسكرية الضاربة إلى العوامل التالية:

---

(1)منصف يوسف:المرجع السابق،ص01.

(2)نفس المرجع.

(3)عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص89.

-رفض المغرب الأقصى ولا سيما حكامه السعديين الأقوياء، ناهيك عن سلاطين الدولة العلوية الخضوع للعثمانيين، لنظرتهم إلى الأتراك على أنهم غرباء أعاجم عن الأصالة العربية، والنسب الشّريف، هذا الأخير الذي يخوّل لهم السيادة على العالم الإسلامي[1].

-قوة الدولة السّعدية التي كانت مؤيدة بقوى دينية وسياسية في المغرب، والمدعمة بقوة عسكرية منظمة، تنظيما محكما، مستمدة من النظم العثمانية والمسلحة تسليحا حديثا[2].

-إستعداد حكام المغرب للتحالف والتعاون مع القوى الأوروبية المعادية للعثمانيين،هذه القوى التي يمكن أن تأتي لمساعدتهم، إذا تعرضوا لهجوم عثماني[3].

-البعد المكاني للمغرب عن مركز الدولة في إستانبول، فقد كانت الحملة عليه تقتضي غياب أسطولها، وقواتها الضاربة عدة شهور، مما يجعل ذلك مغامرة، ولاسيما قبل تأمين الطريق،ثم أن الدولة العثمانية لم ترم بثقلها العسكري كله لضم المغرب، بل أعطت الأولوية للجبهة الأوروبية[4].

3- إستغلا التناقضات السّياسية والدولية:

استطاع كل من السّلطانين أحمد المنصور السّعدي و إسماعيل العلوي،أن يبنيا علائقهما الدبلوماسية والسّياسية مع القوى الخارجية، للمحافظة على مكاسبهما في المغرب، بالاستغلال الجيّد للتناقضات السّياسية، والصّراعات الدولية في أوروبا، لبناء تحالفات وعلاقات كانت في مجملها تصب في مصالحهما السياسية، فقد عاصرا قوى سياسية مؤثرة كالعثمانيين في الشّرق، والأسبان، والفرنسيين والإنجليز في الغرب، فقد وفقا كثيرا في إغتنام الفرص التي أتاحها الصّراع العثماني الأروبي،والصّراع الأروبي الأروبي.

فاستثمر أحمد المنصور السّعدي الصّراع الدبلوماسي والسّياسي والمذهبي بين إنجلترا في عهد الملكة "إليزابيث الأولى" وفرنسا في عهد الملك "هنري الرابع"،وبين الإسبان في عهد الملك "فيليب الثاني" ليتخلص المنصور من الضغوط التي كان يمارسها الإسبان عليه، من أجل حمله على تسليم

---

[1]عمار بن خروف:"**إخفاق العثمانيين في إحتواء وعثمنة المغرب الأقصى،الأسباب والنتائج**"،في المجلة التاريخية المغاربية،السنة الحادية والثلاثون،عدد 114،جانفي2004،ص17.

[2] نفس المرجع،ص17.

[3]نفسه، ص18.

[4]نفسه.

مدينة العرايش، والتهديد الإسباني بدعم ثورة الناصر، المطالب بعرش المغرب[1]،ثم التّواجد العسكري الإسباني في سبتة ومليلة، الذي كان يمثل تهديدا عسكريا كبيرا للمنصور،فالإسبان بجواره وهم قريبون منه ،إنخرط المنصور بكل قواه الدبلوماسية والسياسية في الأزمة البرتغالية، وأستغل الصراع الإنجليزي الإسباني،و لعب،واستغلّ،ورقة دعم "الضون أونطونيو" المطالب بعرش البرتغال[2]،ليجبر فيليب الثاني من تقديم تنازلات للمنصور، ومنها استغلاله لظروف إسبانيا الحرجة بأوربا الغربية، للضغط على فيليب الثاني، ومساومته ،للتنازل له عن أصيلا، فقد كانت السنوات الأخيرة من حكم "فيليب الثاني" ملك إسبانيا قلقة جدا،إذ الفشل والخيبة وتوالي الهزائم تحيط به، بعد أنّ تكبد خسائر جسيمة في معركة الأرمادا في 10 أوت 1588،مما دفع بأحمد المنصور إلى التعاون مع المعسكر "البروتستانتي"،تحدوه رغبة العمل ضد فيليب الثاني، كرد فعل لما قام به من تأييده لثورة الناصر،ولأنّ احتلال الإنجليز لمدينة قادس سنة 1596م،أبطل أسطورة إسبانيا القوية المنيعة، وأظهر حقيقة أوضاعها المضطربة،فحرك ذلك في نفس المنصور،حلم استرداد الأندلس،حظيرة المسلمين المفقودة،حيث ذكر الفشتالي ما نصه:« **إن يريدنا على عدو الدين بفضله،وينجز لنا وعده الصادق في إظهار دين الحق كله، ويسهل علينا بفضله ومعونته أسباب فتح الأندلس، وتجديد رسوم الإيمان بها،وإحياء أطلاله الدرس حتى ينطلق لسان الدين فيها، بكلمة الله التي طالما سكت عنها بدائه وخرس وشرق بريقه فغصّ و احتبس** »[3].

وبعد هذا كله، يمكن القول أنّ أحمد المنصور إستغل التّطاحن الإنجليزي الإسباني، لخدمة مصالحه المتمثلة في ضمان تدفق الأسلحة، ومعدات بناء السفن، وحاول قدر الإمكان تفادي الدخول في تحالفات عسكرية مكشوفة من شأنها إغضاب القوى المتربصة به من إسبان وأتراك، وهو ما أجبره على إنتهاج دبلوماسية التردد، والحذر، والمماطلة، حتى أنّ الإنجليز إتهموه بعدم الإلتزام فقد راوغهم مرارا في تقديم العون للثائر البرتغالي "الضون أنطونيو"،وتماطل في تقديم الدعم لحملة القائد دريك(*Drack*)، وقد أظهر مهارة فائقة في دبلوماسيته الخارجية التي نجحت إلى حدّ بعيد في امتصاص الخطرين الإسباني والعثماني[4].

---

(1) *Chantal De la verrone:* ***Séjour en Andalousie de deux princes Sadiens après la bataille del-qsarel-kebir 1589,1595****, in R.O.M.M Aix – en – Provence ,vol 7 , N 1, Année1970 ,p188.*

(2) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 67.

(3) عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 191.

(4) محمد جادور: **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**،ص376.

بينما إستغل المولى إسماعيل الصراع الفرنسي الإسباني، والصراع الإنجليزي الفرنسي، ليتقرب من الإنجليز، ويحاول أن ينشئ معهم تعاونا عسكريا لإحراج الفرنسيين، وهذا بسبب الخيبة التي مني بها المولى إسماعيل بعد فشل العلاقات السياسية والدبلوماسية مع "لويس الرابع عشر"،الذي كان يرى فيه أنه الملك النصراني الوحيد في أروبا،الذي يمكن الإعتماد عليه في تحرير الثغور المغربية، وخاصة سبتة ومليلة من الإسبان، وقد كلف المولى إسماعيل مبعوثه "قردناش" إلى الملكة الإنجليزية "آن" ليعزز بين البلدين علاقات الصّداقة والتّجارة، وأن يقنع الملكة بضرورة تقديم يد المساعدة لقوات المولى إسماعيل لتحرير سبتة،وهو على إستعداد لتسليم المدينة لجلالتها، سوى أنها لاتبقى في أيدي الإسبان، وقد أبلغ السفير المغربي للإنجليز سعادة وابتهاج السلطان المولى إسماعيل بإنتصار القوات البريطانية على الإسبان في الفلاندرز[1].

كان السّفير "قردناش" سيء الحظ، نتيجة أسر المغاربة لمركبين إنجليزيين وأعتذرت الملكة بلباقة للسفير بأنها لا تستطيع التحالف مع المولى إسماعيل ضد الإسبان، لإخراجهم من سبتة معللة ذلك بالتحالف مع "شارل الثالث" الملك الشّرعي لإسبانيا[2]، ولإحراج الدول الأروبية، خاصة إسبانيا، وفرنسا،وإنجلترا،فإنّ السّلطانيين ظلا يشجعان الجهاد البحري في مصب أبي رقراق،ويدعمان مجاهدي سلا في البحر، للإستفادة من عائدات البحر، والضغط العسكري على سفن هذه الدول لتطلب إمضاء المعاهدات لتأمين سلامة سفنها التجارية،فقد خاطب المولى إسماعيل مجاهدي البحر بقوله:

«وقلنا أنتم تنفعوننا بمهادنتنا إياكم في البحر،الذي هو أكثر تحرككم وأكثر سفركم،ونحن ننتفع بما يحصل لنا ويزداد في مخازننا المحفوظة بالله من العدة الجيدة والبارود المليح الجيّد»[3].

4- قبولهما للهدايا على حساب مصالح المغرب:

كانت الدول الأروبية تدخل في شدّ وجذب،بين اللّيونة أحيانا وبين الصّرامة في أحايين أخرى، من أجل حل أزماتها مع السّلطانيين أحمد المنصور الذهبي، والمولى إسماعيل العلوي، فكانت تلجأ إلى

---

[1]بلاد الفلاندرز منطقة تاريخية في الجزء الشمالي الغربي من "أوروبا"، تشمل جزءًا من شمالي فرنسا وجزءًا من غربي بلجيكا– وهو الجزء الأكبر – وجزءًا من جنوب غرب هولندا،تقع على بحر الشمال.

[2]روجرز .ب.ج : المرجع السابق، ص ص 114،115.

[3] محمد جادور:**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**،ص ص299، 300.

دبلوماسية الهدايا، حيث تقدم الدول هدايا معتبرة للسّلطانيين من أجل التقرب منهما، وقد تدفع رشاوى أو جواري للمقربين من السّلطانيين خاصة التجار اليهود، ممن كانت لهم حظوة كبيرة سواء في البلاط السّعدي أو في البلاط العلوي،وقد إستعمل الأقدمون أسلوب الهدية للتقرب من صاحب السّلطة أو المكانة، في سبيل تحقيق منافع معينة، فتؤثر عليه الهدية المجزية فتليّن موقفه المتشدد تجاه الخصم، أو صاحب الحاجة، ولنا في هدية الملكة بلقيس للنبي سليمان عليه السّلام بالغ الأثر،ولولا النبوّة والهداية الإلاهية، لكان تصرف تصرفا مغايرا،وإن لم يذكر القرآن الكريم نوع الهدية،قال تعالى:« **وإنّي مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون** ... »[1].

أ-هدايا فيليب الثاني للسلطان أحمد المنصور:

وجد "فيليب الثاني" عقب انتصار المغرب في وادي المخازن في تقديم الهدايا للسطان المغربي، وسيلة لعله يظفر بتعاون السلطان المنصور معه، أو على الأقل تحييّده من الصّراع بينه وبين الأتراك في شمال إفريقيا، أو بينه وبين الإنجليز القوّة الصاعدة التي يخشى من تهديدها ومنافستها، وفي هذا المجال بعث "فيليب الثاني" سفارة هامة في أواخر جمادى الأولى سنة 987هـ/ جويلية 1579م إلى المنصور تتألف من حوالي ستين شخصا؛ يحملون للمنصور هدايا فاخرة،لعلمهم بولع المنصور بالجواهر وقد وصف عبد العزيز الفشتالي بدقة هذه الهدايا حيث قال:« **فاحتوت على كل نفيس من حجر الياقوت الكبير الحصيات المنتقى لذخائر الملوك أنتزعت من تاج أبائه وأسلافه والذخيرة العظمى عند قومه وربعة مملؤة، من حصباء الدر الفاخر، وقصب الزمرد؛ كانت بها زمردة فاخرة الجرم تفوت سائر الأحجار مقدارا وشكلا وحسنا وكلتاهما ذخائر الملوك العظيمة ونحو ذلك من الذخائر النفيسة والتحف الدالة على همة مرسلها وعظمة المترف بها**... »[2]،ومن هدايا الإسبان التي أسالت لعاب المنصور كذلك،ملابس مطعمة بالجواهر والذهب، وياقوتة في حجم كف اليد، علقت بها جوهرة بقدر جوز، مع زمردة في حجم التفاحة، تتدلى منها زمردة طولها أصبع مع عقد،إنتظمت به اثنتا عشرة ياقوتة تشملها ست وثلاثون جوهرة،ومائة وعشرين أوقية من الجوهر[3]،واستضاف المنصور الوفد وخصّه باستقبال حار،حرص فيه

---

[1]سورة النمل الآية رقم 35.

[2] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق، ص 50 .

[3]حسن السايح :المرجع السابق،ص182.

السلطان المغربي، على إبراز أبهة الملك، وعظمة السّلطان، وعزّ المغرب،وهيبته بعد الانتصار،الذي أحرزه في موقعة القصر الكبير.

ب-هدايا السّلطان العثماني "مراد الثالث" للمنصور الذهبي:

بعث السّلطان العثماني "مراد خان" للمنصور بعد النصر، وفدا دبلوماسيا هاما، يحمل معه هدية معتبرة لعل هذه الهدية تقرب المنصور المنتشي بنصر القصر الكبير أكثر من السّلطان العثماني، وتبعده عن العدو الأول للعثمانيين وهم الإسبان، وعن هذه الهدية قال عبد العزيز الفشتالي:

«... **إنتقاه من الملابس الفاخرة،وبعث معها بسيف بديع الصنعة،فاخر الحلي والزينة،** [...] **وأدى الهدية،فاهتز لذلك أمير المؤمنين في أخبار ملوك القرن الحادي سرورا من أعواده**...»[1].

ت-هدايا "هنري الثالث"لأحمد المنصور في 16جويلية 1579م:

أرسل الملك الفرنسي "هنري الثالث" وفدا يحمل هدايا ثمينة، لم يعينها الأفراني سوى أنّها قيّمة، وهذا لتهنئة المنصور وربط علاقات تجارية معه على غرار تسابق الدول الأروبية إليه قال الأفراني:«... **قدمت إرسال طاغية الإفرنج ويقال لهم إفرنصيص،وبها يعرفون اليوم ومعهم هدية عظيمة**...»[2].

ث- هدية البرتغال:

سارع الملك هنري خليفة سيبستيان المقتول في واد المخازن، للتقرب من المنصور ومده بهدية مجزية تعجب منها الناس،لعله يحظى بإطلاق سراح أسرى وادي المخازن من البرتغاليين،وأن يسلم إليه جثة ابن أخيه لتدفن في لشبونة،فقد قال الأفراني في هذا الصّدد ما نصّه:

« **بعد هلاك ابن أخيه بستيان بوادي المخازن،فجاء بهدية عظيمة، وضعوها يوم دخلوا لفاس على العجلات والكراريط، فتعجب الناس منها عجبا بليغا، وكان مما فيها ثلاثماية ألف دقات من** ريال **الفضة، وأمّا الظرف والحوائج النفيسة فأمر لايحصى**...»[3].

---

[1] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق، ص ص51،50 .

[2]محمد بن عبد الله الصغير اليفرني:**نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**،تحقيق عبد اللطيف الشاذلي،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب 1998،ص ص151، 152.

[3] نفس المصدر.

1-هدايا الإسبان للمولى إسماعيل:

توترت العلاقات وتشنجت المواقف السّياسية والدبلوماسية بين المولى إسماعيل والإسبان، بسبب إحتلال الثغور المغربية و قد أدّى ذلك -كما سبق ورأينا -إلى المواجهة العسكرية،التي نتجت عنها آثارا سياسية وإجتماعيةعديدة ومنها كثرة الأسرى بين البلدين، وبخاصة لدى المولى إسماعيل والتي تجاوزوا المئات من الأسرى الإسبان والكثير منهم أصحاب رتب عسكرية رفيعة ومكانة إجتماعية مرموقة،مما دفع بالبلاط الإسباني، أن يفاوض المولى إسماعيل حول إفتداء الأسرى لديه، وقد وجد المولى إسماعيل الفرصة سانحة للضغط على الإسبان بإطلاق الأسرى المسلمين لديهم ولتحقيق الإسبان هذا الغرض لتحرير أسراهم،حاولوا بطرق دبلوماسية وسياسية مختلفة،ومنها تقديم الهدايا لسّلطان المغرب لعله يغيّر مواقفه السّياسية من مسألة الأسرى الإسبان،ومنها أنّ ملك إسبانيا أطلق الأسرى المغاربة مع سائر ما يملكون وتقديم الأسرى الأطفال الرضع كهدية للمولى إسماعيل، وكان القصد من ذلك تمهيد الطريق للتفاوض في أمر المئات الباقية من الأسرى الإسبان[1].

لقد كان المولى إسماعيل مهتما كثيرا ومتشددا بشأن الهدايا و يصر على أن تكون الهدية تساير مقامه السّامي كسلطان، فقد استهزأ بهدية الهولنديين وأعابها [2] قائلا:

«فما ألقينا فيها تحفة مليحة ولا عدّة صحيحة ...وإن كان فيها حويجات من التّحف فقد أفسدها هوى البحر...وليس فيها ما يهديه النّاس لأمثالنا ولا ما تقصد به الملوك من الأقطار البعيدة»

بل إنّ معاهدة مغربية هولندية تضمنت شرطا يربط تنفيد بنود المعاهدة وإمضاء مقتضياتها بوصول الهدية حيث يقول ما نصه :

« فالشّروط المذكورة أعلاه رأيناها ولكن لا نبرمها ونكمل فيها حتى تصلنا الهدية التي تكلمنا بها مع القنصل والتجار فحين حلول ذلك فحينئذ نكمل المهادنة ونبرم السلام. »[3]

---

[1]عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب عبر العصور**،مج8،ص112.

[2] رسالة من المولى إسماعيل إلى هولندا بتاريخ 26صفر1111ه في الأرشيف الوطني الهولندي لاهاي ،سلسلة الأقاليم المتحدة رقم 08. 01 .1 رقم الوثيقة 36. 12594، نقلا عن أحمد جادور:**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**،ص379.

[3] محمد الصغير اليفرني:**روضة التعريف بمفاخرمولانا إسمايل بن الشريف**،ص96.

هدايا فرنسا للمولى إسماعيل:

تبادل السّفير ابن عائشة مع الملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" الهدايا عشية توديعه بالرغم من سوء التفاهم بينهما، وكانت هدايا السّلطان للملك الفرنسي عبارة عن سرج مذهب على النمط المغربي الناذر،وجلد نمر،وثمانية قطع من الحايك،وخمسة جلود أسود،وقد قال السّفير أن هداياه بسيطة لاترقى لمقام الملك[1].

واعتقد الملك الفرنسي، بأنّه يمكن له أن يأخذ من السّفير ابن عائشة بعض التّنازلات،ويؤثر على سير المفاوضات بإغراقه بالهدايا القيمة، إلاّ أنّ السّفير لم يكترث كثيرا بهذه الهدايا، وقد خاب أمل الملك الفرنسي في ذلك، وقد أكد الدبلوماسي الفرنسي بريتويل هذا التوجه لدى البلاط القرنسي بقوله:عندما أراد تقديم الهدايا لابن عائشة:«**لوقبل بالشروط التي عرضوها عليه فإنّهم سيقدمون له هدايا معتبرة له ولسيّده السّلطان**...» [2]،وكانت الهدايا التي قدمت له تتكون من ساعتين سلسلتين من الذهب، وبنادق ومسدسات مطلية بالذهب، وكانت جميع السّاعات المقدمة للوفد المغربي بالأرقام العربية[3]،ومن النصائح التي أفاد بها الأسير مويط التّجار المسيحيين في عهد المولى إسماعيل إذا أرادوا ضمان تجارتهم في المغرب،هو تقديم الهدايا حيث يقول مانصه:«**أوّل ما يجب عليهم أن يفعلوه في نفس اليوم الذي يصلون فيه، أو في الغد، هو زيارة عامل المدينة وإتحافه بهدية ملائمة،حسب العادة والتردد بعد ذلك لزيارته لإجتلاب مودته** ...»[4].

5- لم يبادرا بالعلاقات السياسية والدبلوماسية:

إنّ القراءة الأولية في دبلوماسية أحمد المنصور السّعدي،والمولى إسماعيل العلوي مع أروبا وبخاصة دوّل غرب المتوسط كفرنسا وإسبانيا، يصل صاحبها إلى قناعة، أنّ هذه الدول هي التي كانت تتحكم في المبادرة السّياسية و الدبلوماسية، إذ نادرا ما كان السّلطانان المغربيان يبادران إلى توجيه مبعوثين،بل إنّه لايقدمان على ذلك إلاّ في إطار ردهما على مقترحات السّفراء الأجانب،الذين يستخدمهم السّلطانان إمّا في نقل رسائلهما، أو في مرافقة مبعوثيهم،فعلى سبيل المثال،إحتفظ أحمد المنصور بالسّفير كيوم بيرار(*Guillaume Berard*)بعد أن زاره سنة 1580م بالرغم من أنّه كان

---

[1] فهد بن محمد السويكت:**سفارة عبد الله بن عائشة**،ص72.

[2] نفس المرجع،ص73.

[3] نفسه،ص73.

[4] جرمان مويط:المصدر السابق،ص145.

يرغب في العودة إلى فرنسا ليرسل معه مبعوث إلى "هنري الثالث"،كما وظف المولى إسماعيل الفرايلي جون (*John*) الذي كان يحمل رسالة للمولى إسماعيل في إيصال جوابه "لكارلوس الثاني" [1]،فهل يرجع هذا الأمر إلى أن المغرب لايملك سفنا بحرية لنقل مبعوثيه ؟وأعتقد أن الجواب نعم،لأن بعثة التمكروتي ظلت تنتظر في تطوان لمدة ثلاثة أشهر،حتى وصلت سفينة جزائرية.

كان المولى إسماعيل قد كتب للملك الفرنسي لويس الرابع عشر يطلب منه إرسال مركبا ليحمل واحدا من خيار خدامه وكبار أهل بلاطه، وقد ألمح "محمد الغساني" في رحلته أنه استغل مركبا إسبانيا، ومما لاشك فيه أن غياب الأسطول البحري المعد لنقل المبعوثين، قد أربك الحسابات الدبلوماسية والسّياسية للمغرب،بل أدّى إلى تأجيل أو إلغاء بعض المهام الدبلوماسية،كما هو الأمر بالنسبة للسّلطان أحمد المنصور الذي تخلى عن إرسال بعثة دبلوماسية،تحمل عددا من الخيول كهدية إلى الملك الفرنسي سنة 1583م على متن سفينتين إلاّ أن قبطاني السّفينتين رفضا الإنتظار حتى ينهي مندوب السّلطان المغربي إستعداداته[2]،ومما يؤكد أن المغرب كان لا يملك أسطولا بحريا في عهد المولى إسماعيل، هي الرسالة التي بعثها هذا الأخير إلى ملك الإنجليز "جيمس الثاني" يقول له فيها :« **والله لولا أنّا أناس من عرب لا معرفة لنا بالبحر،كان عندنا من يحسن معرفته، إستوثق به في الجيش ونطلقه في يده حتى نكاتب الإنجليز، ونبعث لك من الجيش ما تدخل به عليهم وتتولى ملكك**...»[3].

ولم يعمل كلا السّلطانين من تكوين رجال في الدبلوماسية يتقنون الترجمة،أو على الأقل أن يتثبتا من هوية المترجم، و مدى صدقيته وإخلاصه،بل تركا في الغالب مبعوثيهما وأسرار مفاوضيهما تحت رحمة مترجمين أجانب، مما أحدث مشاكل ومتاعب كبيرة لبعض البعثات الدبلوماسية [4].

والحقيقة أنّ من الصّعوبات التي كانت تعرقل العمل الدبلوماسي في عهد السّلطانين المغربيين وتنفي عنهما المبادرة الدبلوماسية والسّياسية مع شركائهم السّياسيين الأروبيين،هي معضلة اللغة التي كانت تحرر بها المعاهدات بين المغرب وأروبا، بحيث إهتمت الجامعات الأروبية خلال عصر النهضة

---

[1]ينظر عبد الهادي التازي:المرجع السابق،مج9، ص 107.

[2] ينظرمحمد جادور:**الدبلوماسية السعدية والدبلوماسية العلوية استمرارية أم قطيعة أحمد المنصور والمولى إسماعيل نموذجا** ، المرجع السابق ص236.

[3]كيسر الداودي: **الدولة العلوية في عهد المولى إسماعيل**،جامعة الحسن الثاني،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،عين الشق ، الدار البيضاء، 1986م، ص 32.

[4]عبد المجيد قدوري:المرجع السابق،ص237.

بتعليم اللغة العربية في المعاهد والجامعات، بإعتبار أنّ اللغة العربية كانت لوقت قريب لغة التجارة وعلوم المسلمين المختلفة، تستوجب التعرف على مضمينها فتعود المستشرقون بتحرير المعاهدات بلغاتهم، على أساس أن يترجموها إلى العربية، بينما إكتفى المغاربة بهذه الوضعية ولم يهتموا بتعلم اللّغات الأجنبية، وأعتبر ذلك مؤشرا لإتساع الهوّة الحضارية بين العالم الإسلامي وأروبا[1].

06- توظيفهما للدين في العمل السّياسي والدبلوماسي:

وظّف السّلطانان أحمد المنصور الذهبي والمولى إسماعيل، الدّين لتبرير وتفسير حاجياتهما السّياسية،وإعتباراتهما الدبلوماسية،مما جعل الدّين حاضرا في تعاملاتهما مع القوى المسيحية والإسلامية المعاصرة لهما،فأحمد المنصور إعتبر في إحدى رسائله للدوق"ميديناسادونيا" (*MédinaSedonia*)أن مطالبه مستجابة مقضية، ما لم تتعارض مع الشرّع الاسلامي، في إشارة الى قضية تسليم مناء العرايش للاسبان[2].

وهي مسألة ترفضها الشّريعة الاسلامية التي لا تبيح تسليم ثغور المسليمين للنصارى، فبالرغم من أن أحمد المنصور تشبث بموقفه هذا في مسألة مدينة العرائش،إلّا أنّ ابنه من بعده محمد الشيخ تساهل في هذا المبدأ الاسلامي وتنازل للإسبان على العرائش سنة 1610م[3]،بينما نجد أحمد المنصور يبرر غزوه لبلاد السّودان الغربي بمبررات دينية لتحقيق أهدافه الخفية، من وراء تجريد حملات عسكرية لإحتلال السّودان الغربي،بدعوى نشر الإسلام، وفتح البلدان الإفريقية، وقد سمّاها عبد العزيز الفشتالي -مؤرخ البلاط السّعدي- فتحا،والملاحظ أنّ غزو المنصور للسودان لم يكن عليه إجماع كبير من العامة والعلماء، فهناك من اعتبره تعديا على شعب مسلم لا يرقى للفتح، لأنّ المسلم لا تفتح بلاده،و في هذا الصدد نجد المجهول صاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية يرفض ذلك ويصرح بقوله:«**وهم يقولون نحن إخوانكم في الدين والظلمة يقتلونهم فلا حول ولا قوة إلاّ بالله ...** »[4].

واستشار المولى إسماعيل كبار رجاله، في إمكانية مفاوضة الإنجليز حول الصلح،دون أن يتجاوز تعاليم القرآن الكريم في ذلك، وهو الذي أجاب المبعوث الإنجليزي وات(*Whet*)بأنّ الشريعة

---

[1] عبد المجيد قدوري:المرجع السابق،ص332.

[2] ينظرمحمد جادور:المرجع السابق،ص231.

[3] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**،ص 198.

[4] مجهول:المصدر السابق، ص67.

الإسلامية لاتسمح له بتوقيع إتفاق مع الكفار الذين يحتلون ثغور المسلمين [1]،وبرر المولى إسماعيل عدم تسريح مائة أسيرا إسبانيا، بمعارضة علماء الشريعة لهذا الإجراء، وذلك في رسالة إلى "كارلوص الثاني" مؤرخة في 1101هـ/ 1690م جاء فيها:«**لا نقدر أن نخالف شريعتنا التي أساس ديننا الحنيف[...]ولولا معارضة العلماء لنا بهذا الإحتجاج القوي لكنا سرحنا هذه المائة مع الفرايلي فلإجل هذا أبصرنا كلام علمائنا في هذه النازلة لابد منه ولامحيد عنه...**»[2].

وبالتأكيد،فإن أحمد المنصور والمولى إسماعيل قد إعتمدا على تراثهم الديني بشكل واضح لدرجة أنّ المولى إسماعيل، ضمّن بعض رسائله مناظرات ودعوات إلى القادة المسيحيين، يدعوهم ويرغبهم في إعتناق الإسلام[3]،وهو ما عبر عنه الكاتب العربي المعاصر أحمد سعة بقوله :«**نقطة إضافية إنفردبها المولى إسماعيل في علاقاته مع الدول الأروبية نعني بها إهتمامه بالناحية العقائدية إذ وجه رسالتين مسهبتين إلى كل من لويس الرابع عشر وجيمس الثاني ملك إنجلترا دعاهما فيهما لإعتناق الإسلام ،لايظن أحد أنه في دعوته هذه ينطلق من تعصب مقيت ضد النصرانية كدين وإنما كان يعبر في إيمانه العميق بأن الإسلام أفضل شريعة سماوية تؤمن سعادة الإنسانية...**»[4] وما يجب ذكره أنّ السلطانين، كانا يعرضان القضايا الدبلوماسية وغيرها على العلماء،وإن كان رأيهم لايتطابق بالضرورة مع مرامي السّلطانين وأهدافهما الدبلوماسية والسّياسية،وكانا ينتقيان من الفتاوى ما يتماشى وحساباتهما الدبلوماسية والسياسية وحتى في القضايا الإجتماعية،ليشعرا العلماء بأهميتهم لدى المخزن (الدولة) بصفتهم شركاء في إتخاد القرار،فقد ألح الشّيخ الجنوي[5]في رسالة توجيهية إلى أحمد المنصور على أهمية إستغلال نصر وادي المخازن في إسترجاع مدن طنجة،وأصيلا وسبتة التي مازالت بيد العدو، واستشار المولى إسماعيل الفقهاء حول مدى جواز مفاوضة الإنجليز، وقد أجاب مبعوثهم ويت (*Whet*) بأنّ الشّرع لا يخوّل له توقيع

---

[1] محمد جادور:المرجع السابق،ص244.

[2] محمد بن تاويت:"**من زوايا التاريخ المغربي**"،مجلة تطوان،1963، عدد8 ،ص83. نقلا عن محمد جادور، ص245 .

[3]ينظر رسالة المولى إسماعيل إلى ملك الإنجليز جيمس الثاني في قسم الملاحق عند : *Henry de Castries* ***Moulayismail et Jacques II,Une Apologie de Lislam par Sultan du maroc*** *,Ernest leroux ,Paris , p03.*

[4] نقلا عن محمد الشاوش: "**الدولة العلوية المغربية ،النشأة والإستقرار والإستمرار**"،في دعوة الحق المغربية ،عدد خاص 273، 1989، ص 306.

[5] الشيخ أبي الرضى رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي ولد عام 912هـ وتوفي عام 991هـ بفاس، عاصر وقعة وادي المخازن، للمزيد من الإطلاع ينظر عنه محمد بن محمد مخلوف:**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة 1349هـ،ص 286.

إتفاق وتفاهم مع الكفار،الذين يحتلون طنجة،بل برر رفضه إطلاق سراح مائة أسير إسباني بمعارضة الفقهاء واحتجاجهم عن هذه النازلة حين قال:

« **لانقدر نخالف شريعتنا التي هي أساس ديننا والوجه الثاني ذلك القول الذي سمعه في تلك المائة أحببنا الوفاء به وأنفت نفوسنا أن يسمع عن الناس قلنا كلمة ولا نوفي بها، ولولا معارضة العلماء لنا بهذا الإحتجاج القوي،لكنّا سرحنا هذه المائة مع الفرايلي وأصحابه فلأجل هذا أبصرنا كلام علمائنا في هذه النازلة لا بد منه، ولا محيد عنه**»[1].

وبالمقابل يرفضان بعض الفتاوى،ويلحان على إعادة النظر في مضامينها، كإشارة من السّلطانين أنّ الفقهاء تابعون لسلطة الدولة [2]، وقد يتصرفان خارج الشّرع إذا إقتضت المصلحة الدبلوماسية والسّياسية ذلك، ومثال ذلك ما أقدم عليه أحمد المنصور، عندما علم بحملة العلج علي على المغرب، فقد اتّصل خفية بالإسبان يطلب عونهم ضد الأتراك العثمانيين[3]مع أنّ الشّريعة الإسلامية تحرم الإستنجاد بالكفار، وفي هذا الصّدد، يقول أنطونيو دي صالدانيا :

« **قد أمر ولده المولى الشيخ المقيم بفاس بإستنفار أكثر ما يمكن من الفرسان ومن الرجل وخاصة منهم العلوج، وأن يسيروا إلى العرايش حيث يبعث له بالقائد منصور ريكو بكل ما يمكن من المدد، وينبغي بناء عليه أن يبادر السّفير بإخبار ملك إسبانيا بما قال له وأن يتم ذلك تحت طي السر المطلق، لأنه كان على حساب دار الإسلام، والشريعة تحرم عليه ذلك مما يغض هو الطرف عنه لتعلقه الكبير بصداقة الملك فليبي...**»[4].

ويمكن القول أنّ الدبلوماسية في عهدي السّلطانين بقيت في مدها وجزرها ذات طابع ديني،وهي متأثرة في حقيقتها بدار الإسلام، ودار الحرب، وإن ظهر السلطانان في سياستهما الخارجية أكثر إنفتاحا، في تعاملاتهما مع الدول الغربية، تحذوهما الرغبة في إستثمار الظروف الدولية لصالحهما.

---

[1] ينظر الرسالة التي بعث بها المولى إسماعيل إلى كارلوس الثاني بتاريخ 1101هـ، نقلا عن محمد جادور:**مؤسسة المخزن**، ص 241.

[2] نفس المرجع،ص241.

[3] ينظر عمار بن خروف :المرجع السابق،ج1،ص ص220، 221.

[4] أنطونيو دي صالدانيا : المصدر السابق،ص80.

7- كلاهما إكتفيا بالبعثات غير الإقامية:

إرتبط المغرب في عهدي السّلطان أحمد المنصور السّعدي والسلطان إسماعيل العلوي على غرار العالم الإسلامي، بعلاقات متشعبة مع العالم المسيحي، تربطهم في ذلك علاقات دار الإسلام ودار الحرب، فكان المغاربة مثلهم مثل إخوانهم المسلمين يعتبرون أنّ الإقامة في بلاد الكفر لاتجوز شرعا، فلم يثبت أنّ المغاربة قد أقاموا واستقروا بصفة طبيعية في البلاد الأروبية،وبذلك لم يكن لهم تمثيلا دبلوماسيا دائما، سواء في فترة أحمد المنصور السعدي، أو المولى إسماعيل.

ولم يفتحوا قنصليات بصفة منتظمة، تدافع عن مصالحهم التجارية والسياسية في الدول الأروبية الرافضة أصلا لأي تواجد قنصلي للمسلمين لديها ،فمنذ قرون والعالم الإسلامي ينظر إلى العالم المسيحي أنه دار كفر،لا يمكن الإقامة فيها والسفراء المغاربة الذين توجهوا إلى أروبا في مهام دبلوماسية محدودة كمحمد تميم، والأميرال ابن عائشة،كانا ينظران إلى المسيحيين على أنهم أعداء للدين[1]،ولم يهتم المغرب بتعيين سفراء لتمثيله عند ملوك أروبا بصفة دائمة، بل كان يوجه مبعوثين عنه لفترات قصيرة جدا وفي الغالب كان هؤلاء السفراء يستعينون في مهامهم بخدمات القناصل المعتمدين بالمغرب، أو بالتجار الأجانب أو أهل الذمة من اليهود، الذين دخلوا في خدمة السلطانين وبخاصة في عهد المولى إسماعيل حيث أصبحت لهم مكانة تجارية كبيرة وسطوة في المجتمع المغربي، حتى أن السلطان إسماعيل أخرجهم من وسط مدينتي مكناس وسلا وبنى لهم بيوتا خارجها حتى لايختلطوا بالمسلمين.

لقد قام أهل الذمة في عهد المولى إسماعيل بأدوار هامة في الوساطة بينه وبين الدول الأروبية، في مجال التجارة وحتى الدبلوماسية، بإعتبار أن المغرب ليس له تمثيلا دبلوماسيا دائما في هذه الدول، وقد إغتاظ المولى اسماعيل مرارا من تصرفات اليهود لذا فقد كتب للهولنديين يقول:« **فأعلموا أنا لانقبل أن يكون اليهود أهل الذمة واسطة بيننا وبينكم، ولا نثق نحن باليهود في شيئ،سيما فيما يرجع إلى آلة الحرب والعدة التي هي الأكيدة والعمدة** ...»[2] والراجح في الأمر أنّ استعانة المولى إسماعيل بأهل الذمة في المجال التجاري والدبوماسي والسياسي يرجع إلى معرفة هؤلاء باللّغات الأجنبية، وبتلك المجتمعات الأروبية التي يجهل المغاربة عنها الكثير.

---

[1] *Rabih Said : **Deux Ambassadeures Marocaines en France au 17 siecle** ,Université depicadie jules Verne ,1998-1999 ,France,p 71.*

[2] رسالة المولى إسماعيل إلى هولندا نقلا عن محمد جادور:**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**،المرجع السابق،ص364.

كما اعتادوا التنقل في السّفن الأروبية وعندما يصلون يجدون برامج حركاتهم مسطرة وفق ما سمحت به الدولة المستقبلة ومن ثم ظلت معرفتهم بهذه المجتمعات الأروبية سطحية [1].

إضافة إلى أنّ الدولة العثمانية التي كانت تتزعم الخلافة الإسلامية لم يكن لها تمثيلا دبلوماسيا في الدول الأروبية يرعى مصالحها السّياسية والإقتصادية،ومرد ذلك أنها كانت تنظر إلى العالم الأروبي في مرحلة توسعها وعنفوانها نظرة المستصغر لشؤونهم،وأنهم هم الذين في حاجة إلى التمثيل الدبلوماسي،ولهذا فمن الصّعب القول أنّ المغرب بنى لنفسه آلة دبلوماسية على غرار ماكان حاصلا في أروبا، والتي تمثل لهم الدبلوماسية مظهرا من مظاهر حيوية الدولة الحديثة في أروبا،في حين فإنّ الدبلوماسية المغربية تندرج ضمن منطق إسلامي في تاريخه،وهو الرحلة السّفارية التي تهدف إلى القيام بسفر إلى دولة أجنبية من أجل قضاء أمر سلطاني فهي عمل مؤقت وبأمر رسمي[2].

08– إخفاء مبعوثيهم أسرار الدولة:

حرص كل من أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي على محاربة ومقاومة الجوسسة الأروبية ضد الدولة واتخذوا إجراءات مهمة في هذا المجال منها إستعمال الشفرة في عهد أحمد المنصور في مراسلاته الدبلوماسية والدارس للرحلات السّفارية التي ألّفها مبعوثو السلطانين أحمد المنصور السعدي، والمولى إسماعيل إلى الدول التي تربطهما بهما علاقات سياسية ودبلوماسية،أنها خالية تماما من المعلومات الدبلوماسية،وكانوا متحفظين جدّا من أن يفصحوا عن مهامهم التي كلفوا بها، ولم يذكروا التفاصيل السّياسية والدبلوماسية وما دار بينهم، وبين حكام تلك الدول إلا إشارات قليلة، وهذا أمر معقول لأنّ مثل هذه المعلومات هي من قبيل أسرار الدولة،التي لاتذاع لعامة الناس، فهذه السّفارات الدبلوماسية تعطي سوى ملاحظات عن أحوال البلاد التي زارها هؤلاء ومثال ذلك رحلة التمكروتي مبعوث أحمد المنصور للسلطان العثماني مراد الثالث سنة 1689م والتي لم تذكر أي شيء عن المهمة الدبلوماسية، ولا عن نتائجها،وهذا في إعتقادي يدخل ضمن الإحتراس من إفشاء أسرار الدولة[3].

أما الرحلة السّفارية للوزير الغساني الذي أوفده المولى إسماعيل للملك الإسباني كارلوس الثاني سنة 1102هـ / 1690م، فكانت في ظاهرها –كما صرح الغساني– إطلاق سراح الأسرى من يد

---

[1] عبد المجيد قدوري: المرجع السابق،ص322.

[2] نفس المرجع.

[3] محمد الفاسي:"**الرحلات السفارية المغربية**"،في مجلة البينة،السنة الأولى،عدد 05،سبتمبر 1962،ص 15.

الإسبان، وإسترجاع الكتب المنهوبة، إلاّ أنّنا لا يمكننا تخيل الأسباب الكامنة وراء عدم إفصاح الغساني عن الفحوى و الهدف الحقيقي لرحلته،وأهدافها النهائية،فقد غادر الغساني مدريد عائدا إلى مراكش دون أنّ يحرز نجاحا في مهمته المعلنة، وهي تحرير الأسرى، وإعادة الكتب المسروقة ومع ذلك أعلن المولى إسماعيل أن مهمة سفيره كانت ناجحة، فنرجح أن سفارة الغساني كانت تتجاوز مسألة الأسرى والكتب إلى قضايا أخرى، أكثر اهمية وإلحاحا بين المولى إسماعيل وكارلوس الثاني لم يفصح عنها الغساني حفاظا على أسرار الدولة.

وقد وصل الأمر بإقدام "عبد الواحد عنون"-سفير المنصور- إلى دسّ السّم لأحد مترجميه الذي تورط في تسريب معلومات هامة، وخطيرة للإسبان، مما يدل على أهمية الحفاظ على أسرار الدولة لدى المبعوثين المغاربة في عهدي أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل[1].

كما لايخفى أنّ السّفراء الأروبيين في المغرب،كانت لديهم مهام أخرى عدا المسائل الدبلوماسية، أو السّياسية كالأسرى والتجارة وعقد الإتفاقيات، وهي التجسس على المغرب وجمع معلومات استخباراتية،كالمهمة التي كلف بها السّفير الفرنسي "سان أولون" مبعوث "لويس الرابع عشر" للمولى إسماعيل والذي أعطيت له معلومات سرية، مفادها جمع تفاصيل عن أحوال المغرب وتقديمها للملك في صورة تقرير كالبحث في أحوال المغرب،ومدى إتساع المملكة الشريفة، وعن قيمة أراضيه الفلاحية من ناحية الخصب، وإحصاء المدن وسكانها ومن هم الأمراء المجاورون للمملكة المغربية الذين يمكن أن تقع بينهم وبين سلطان المغرب الحرب، ومحاولة إحصاء الجيوش المغربية خيالة ومشاة ومدفعية، والإستقصاء عن رواتبهم وكيفية محاربتهم، وعن سيرة السّلطان ومعاملته مع الرعية ونظام الأحكام في المدن،وعوائد المغاربة ودينهم[2]،وقد ذكر الأسير البرتغالي (*Saldanha*)أن الإسبان كانوا يتجسسون على المنصور[3]،حيث أكّد الدور الذي لعبه الأب مرين(*Marin*)،ثم ابن أخيه(*Diego Marin*) من بعده في نقل الأخبار عن مشاريع التحالف السّعدي سواء مع الأتراك أو الإنجليز، مستغلين في ذلك الثقة الكبيرة التي كانا يحظيان بها لدى السّلطان السعدي، بل إن وظيفة تقصي الأخبار امتدت لتشمل كل المسيحيين أو الأعلاج الذين كانوا يتعاملون من قريب أو بعيد مع المبعوثين الإسبان؛مما اضطر المنصور إلى استعمال الشّيفرة في مراسلاته الدبلوماسية، بل وحتى الداخلية لإنجاز مهامه في سرية وكتمان وقد أوهم المنصور الإسبان أن بعثة"عبد الواحد

---

[1]محمد جادور:**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**،ص374.

[2] عبد الرحمان بن زيدان: **العز والصولة في معالم نظم الدولة**،المطبعة الملكية،الرباط1961،ج1،ص300.

[3] محمد جادور: المرجع السابق،ص 06 .

عنون"[1] قصدت بلاد الشّام لجلب المجوهرات، ولم تكن للتحالف مع الأتراك ضدّهم، وضدّ ممتلكاتهم، فروّج سلطان المغرب أمام الجواسيس الإسبان أخبارا منتقاة حتى يجني من ورائها مكاسب سياسية؛ مثلما أشاع أنّ الإنجليز تقدموا بطلب إليه، من أجل الحصول على ميناء مدينة المعمورة، حيث أراد من تسريب هذا الخبر (استنفاذ كل المبررات)لقطع الطريق على إمكانية تسليم مدينة العرايش للإسبان[2].

9- قلّة الإنفاق على بعثاتهما الدبلوماسية:

أدّت الدراسة التاريخية للبعثات الدبلوماسية للسّلطانين أحمد المنصور الذهبي، والمولى إسماعيل العلوي، بأنهما- ربما- لم يقدما التّمويل المالي الضروري لمبعوثيهم في البلدان الأروبية،أو حتى الإسلامية منها، فقد كانت هذه البعثات تصرف على نفسها من أموالها الخاصة،أو تعتمد على ما تقدمه الدول المستقبلة لهم، من إعانات وضيافات حسب ما تقتضيه الأعراف الدبلوماسية[3].

فهل يعود ذلك إلى قلة الموارد المالية لدى السّلطانين؟ وهذا ما يمكن إستبعاده لأن السّلطانين أحمد المنصور الذهبي كانت له من الأموال والثروات الكثير حتى لقب بالذهبي، وكذلك المولى إسماعيل عرف المغرب في عهده رخاء إقتصاديا كبيرا،فقد ذكر التمجروتي مبعوث السّلطان أحمد المنصور الذهبي للسّلطان العثماني أنّه بقي في مدينة إسطنبول في ضيافة السّلطان وإقامته، حيث يقول ما نصه:«**ثم بقينا في هذه المدينة من يوم دخلنا إليها ونحن في ضيافة السلطان وإقامته تجري علينا في منزل رحمة ونعمة واسعة**... »[4].بينما كتب مبعوث المولى إسماعيل الغساني في سفارته إلى إسبانيا أنه أقام مع بعثته في ضيافة الإسبان، حيث قال مانصه:«**ومن عظيم بشاشة أهل أطريرة وردوا علينا ليلة مبيتنا عندهم بالفرايلية** ... »[5].

وقد كتب مبعوث المولى اسماعيل "ابن تورا دي زاري" الى اللورد دار "تموت" يخبره بأنه منذ أن غادر قصر السّلطان، وهو يعيش على حسابه الخاص، و قد ارتفعت وازدادت نفقاته نتيجة لتحمله دفع مرتبات الأشخاص الذين يستخدمهم للعناية بالأيائل التي إشتراها، إضافة الى غلاء المعيشة

---

[1] المساعد الأول للسلطان أحمد المنصور من مواليد 1558م،ويعرف كذلك بالمسعودي، يجهل تاريخ وفاته،سفير المنصور للملكة البريطانية "إليزابيث الأولى" عام 1600م، للترويج لإقامة حلف انجليزي مغربي ينظر:الموسوعة الحرة .

[2] محمد جادور:المرجع السابق،ص 06 .

[3] نفس المرجع ،ص230.

[4] علي بن محمد التمكروتي:المصدر السابق،ص125.

[5] نفس المصدر،ص40.

بمدينة لندن حتى أصبح خالي الوفاض، مما دفع به الى طلب المساعدة المادية من الملكة الانجليزية "آن"[1]و قد أوضح أن هذا الوضع وهذه الحالة لا تنطبق عليه وحده، بل حصلت لكل من سبقه من الدبلوماسيين المغاربة،وقد تكفلت فرنسا بالسّفير محمد تميم و من بعده عبد الله بن عائشة وحاشيته، وتكفلت بإقامته في فندق السّفير ووضعت تصرفه عربة خاصة[2].

مكث السّفير "عبد الواحد عنون" مدة ستة أشهر في ضيافة الملكة الإنجليزية "آن" في بيت عضو المجلس التشريعي السيد راتشيف *(Ratchiffe)* والتي زوّدت هذا البيت بالمواد الغذائية، و ما إن نفذت هذه المواد حتى ذبح أفراد السّفارة كل ماكان لديهم من دواجن[3]،ومما يدل على تذمر هذه الدول المستقبلة لمبعوثي المخزن(الدولة) من الإنفاق عليهم،هو أن أحد الموظفين الإنجليز عبّر في إحدى رسائله، عن عدم إستعداده توفير الغذاء لبعثة علي بن عبد الله[4].

وفي مارس عام 1706م بعث المولى إسماعيل "أحمد قردناش" مبعوثا خاصا له إلى لندن يصحبه ثلاثة عشر شخصا، وقد مكث الجميع في قصر "شيزويك" على نفقة الملكة آن [5] فهل كان المغرب لا ينفق على بعثاته؟ أم أن مصاريفه على البعثات الدبلوماسية لم تكن كافية لسد حاجيات المبعوثين نظرا لعددهم الكبير وطول مدة إقامتهم في هذه البلدان ؟ أم أن السّلطانين كانا يعتمدان على مبعوثين أثرياء مما يعفيهما من تموين هذه البعثات أمثال مبعوث السّلطان أحمد المنصور عبد الواحد عنون رفقة تاجرين ثريين هما "الحاج الماسي" و "الحاج بهنيت"؟ [6] أم أن الإعتماد على هذه الفئات الغنية في السّلك الدبلوماسي تتحكم فيها مصلحة السّلطان،ومصلحة هذه الفئات،التي تستغل المنصب الدبلوماسي من أجل الإستفادة من صفقات تجارية لحسابهم الخاص، ولحساب السّلطان[7].

لم تتوقف العراقيل التي اعترضت البعثات الدبلوماسية عند هذا المستوى المتدني من النفقات، بل تعدته إلى وسائل النقل البحري، فغياب السّفن المعدة لنقلهم، جعل مواعيد تنقل هؤلاء المبعوثين تحت رحمة السّفن الأروبية، فقد كاتب المولى إسماعيل الملك لويس الرابع عشر أن يبعث له مركبا

---

[1]روجرز .ب.ج : المرجع السابق،ص118.

[2]محمد جادور: المرجع السابق،ص231.

[3]نفس المرجع،ص231.

[4]نفسه،ص231.

[5]روجرز .ب.ج : المرجع السابق،ص114.

[6]محمد جادور:المرجع السابق،ص231.

[7]نفس المرجع،ص231.

يحمل سفيره إليه[1] شأنه في ذلك شأن حاكمه على الشّمال "علي بن عبد الله الحمامي" الذي ألح على الهولنديين بأن يسمحوا لسفنهم بالتردد على الموانئ المغربية لنقل المبعوثين والرسائل[2]،ولا يخفى ما لهذا الإفتقار في وسائل النقل البحري من إنعكاسات على الدبلوماسية المغربية وعلى تحكم المخزن (الدولة) في المبادرة الدبلوماسية التي ظلت بيد الدول الأروبية توظفها وفق مصالحها الخاصة، تبقى تلك التساؤلات السّابقة مطروحة للبحث والتّحقيق،وحتى ظهور وثائق تايخية أخرى تلقي الضوء أكثر على الدبلوماسية المغربية وعلى مصادر تموين هذه البعثات.

10– كلاهما يفتقران إلى الفعالية في الدبلوماسية:

استطاع السّلطان أحمد المنصور والمولى إسماعيل تكوين نواة دبلوماسية أولية، يمكن القول عنها أنها م تتبلور ملامحها، ولم تكن ذات فعالية كبيرة في التعامل مع الآلية الدبلوماسية الأروبية في العصور الحديثة، التي تجاوزت المنظور السياسي والدبلوماسي للعالم الإسلامي في عمومه والمغرب الأقصى في حد ذاته،بسبب الهوّة العلمية والحضارية التي أخذت تتسع بين العالمين، وبذلك كان الأداء الدبلوماسي في عمومه لدى السّلطانين ضعيفا،فلم يكن للسفراء المغاربة تكوينا سياسيا وعلميا، وكانوا يجهلون لحد بعيد الآساليب الدبلوماسية الأروبية،وقد إكتسب الكثير منهم بعض المعارف التفاوضية في المجال الدبلوماسي عن طريق التجربة والممارسة الميدانية،فلم يهتم السّلطان أحمد المنصور السّعدي ولا المولى إسماعيل بدبلوماسية الإقامة في البلدان الأجنبية،ولم يمنحا مبعوثيهما تكوينا خاصا[3].

ولهذا يمكن القول أنّ المغرب في مرحلة هاذين السّلطانين، لم تكن لديهما سياسة دبلوماسية فاعلة أو مدرسة دبلوماسية إن صحّ القول، لها أسسها،وقوانينها،ومبادئها،تعتمد على التراكم المعرفي كمدرسة تاريخية دبلوماسية قائمة بذاتها، فقد عجز مبعوثيهم من تحقيق الأهداف المرجوة منهم، سواء في مجال المفاوضات من أجل الأسرى، أو لعقد تحالفات،أو تحقيق مصالح تجارية للمغرب، أو لرد العدوان على المغرب، مثلما فعلت فرنسا بعد أن فشلت الدبلوماسية المغربية في عقد تفاهمات مع الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، ليبعث هذا الأخير بأسطوله البحري لقصف الموانئ المغربية،وعلى العكس من ذلك كانت الدول الأروبية (فرنسا،إسبانيا،أنكلترا، هولندا)وغيرها تستخدم الدبلوماسية

---

[1] محمد جادور:**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب** ،ص374.

[2] نفس المرجع ،ص374.

[3] نفسه ،ص329.

من أجل الدفاع عن مصالحها،بفرض أسلوب المعاهدات، والمهادنة، وفرض منطقها، والعمل على تحقيق الغلبة لمصالحها في المغرب[1].

فبالرغم من أن السّلطانين كانا يفتقران إلى الفاعلية الدبلوماسية، وحسن إستغلالها، إلاّ أنهما كانا على دراية واسعة بالأوضاع السّياسية في أروبا، إمّا عن طريق التجار الأجانب المقيمين بالمغرب،أو بواسطة الأسرى الأروبيين الذين ينحدرون من دول أروبية عديدة،ومن فئات إجتماعية مختلفة،أو عن طريق رجال بعثات الإفتداء الدينية، أو بمساهمة حكامهما في المناطق الشمالية، مما أتاح لهما الإطلاع على القضايا السّياسية التي كانت مطروحة في الأوساط الأروبية وحركة التجارة في البحر الأبيض المتوسط، وخصوصيات كل دولة لها علاقات الدبلوماسية معها فالمنصور وصلته أخبار هزيمة الأسبان في الأرمادا، والمولى إسماعيل كان على علم بإنتصارات لويس الرابع عشر وهزائمه في أروبا[2]،إضافة إلى النجاحات النسبية للسطانين في توجيه الأحداث الدولية والتأثير في بعضها أحيانا مع عدم الإستثمار الجيّد لبعض القضايا الحيوية لديهما كورقة ضغط على الدول الأروبية،كما هو الحال مع أحمد المنصور في مسألة الرهائن، وسياسة المولى إسماعيل مع قضية الأسرى[3].

11- لم يعطيا الإهتمام الكافي لمضمون المعاهدات:

تميزت فترة أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل العلوي، بتوقيع عددا كبيرا من المعاهدات مع القوى المسيحية، في حين غابت هذه المعاهدات مع العالم الإسلامي،ربما أنّ السّلطانين كانا يعتبران أنّهما ينتميان للعالم الإسلامي،وأنّ المسلم ليس في حاجة إلى توقيع معاهدة مع أخيه المسلم،ولأنّ أرض الإسلام كلها داره [4] وقد تهافتت الدول الأروبية عقب إنتصار وادي المخازن على إبرام معاهدات مع أحمد المنصور،إلاّ أنّ المغرب لم يكن يبالي ويهتم ويدقق في مضامين هذه المعاهدات على غرار الدوّل الأروبية التي كانت تدرس جيّدا فحوى هذه البنود، وتعطيها إهتماما خاصا وتترجمها إلى لغاتها، فكان المغاربة يوقعون على هذه المعاهدات فقط لغرض الحصول على

---

[1] محمد جادور:**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب** ،ص330.

[2] محمد جادور:**الديبلوماسيةالسعدية،الديبلوماسيةالعلوية إستمراريةأم قطيعة أحمد المنصور والمولى إسماعيل نموذجا**،ص235.

[3] نفس المرجع ،ص236.

[4] عبد المجيد قدوري:المرجع السابق،ص329.

الهدايا والفوائد المادية في كثير من الأحيان[1]،واهتم أحمد المنصور والمولى إسماعيل بالمعاهدات مع الدول المسيحية من أجل الحصول على العدّة والسّلاح،التي كانت تستخدم أساسا في الداخل ضد القبائل المتمردة على المخزن،فقد بعث المولى إسماعيل سنة 1682م إلى الأقاليم المتحدة (هولندا) يجيبهم فيها على طلبهم للصلح فكتب يقول:

«إلى عظماء الروم بفلامنك الإسطادوس [...] اعلموا أنه بلغنا كتابكم [...] ووقعنا علما طلبتموه منّا من الأمان في البحر وفي مراسي طاعتنا [...] وقبلنا منكم الأمان الذي سألتموه منا على مقتضى الشروط التي اشترطتموها مع أهل الجزائر حسب ما طالعناها ورأناها لكن سارعوا لنا بستمائة قنطار من البارود الجيّد الخالص يأتينا عزما عزما في سفينة من سفنكم وأمان يأتي منكم واكتبوا لنا بخط أيديكم الشروط التي تشترطونها على أنفسكم واطرحوا عليها علامة أيديكم وفي اليوم الذي تصلنا شروطكم على هذه الصفة،نبعث لكم نحن كتابنا المعظم بقبول ذلك منكم ومن ذلك اليوم ينبرم الأمر وينعقد الصلح بيننا وبينكم[...] في10 ربيع الأول عام ثلاثة وتسعين وألف»[2].

وفي رسالة وجهها المولى إسماعيل للملك الفرنسي لويس الرابع عشر سنة 1684م، يلومه على عدم الوفاء بما وعد به،من تزويد المغرب بالسلاح، ويعتبر معاهدات الإنجليز أكثر نفعا وهم أوفى قولا من الملك الفرنسي حيث يقول:

«من أمير المؤمنين[...] الشريف الحسني أيده الله [...] إلى عظيم الروم لويس الرابع عشر أما بعد فاعلم أن الذي ظهر لنا أن ليس عندك قول صحيح[...] فالإنجليز تكلموا معنا كلمة وقبضنا ووفوا بها فحين ذهب خديمنا لبلادهم [...]فرحوا به وأكرموه وبروا به وأتى من عندهم بعشر مائة مكحلة وستة عشر مائة قنطار من البارود ثم بعد ذلك قدم لعلي مقامنا صاحبكم انبشدور وأتانا بشيء من الخرو[3]مع فالصو حرير[4]

---

[1] نفس المرجع،ص329.

[2] نفسه،ص331.

[3] كلمة لم أصل إلى معناها،وربما المقصود بها نبات الخروب بعد سقوط حرف الباء من الكلمة ،والذي لايصلح أن يُهدى للسلاطين،وتعني الخروبة كذلك قطعة صغيرة من النقود النحاسية قيمتها عشر دراهم ،ينظر زين العابدين بن شمس الدين نجم:**معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية**،ط1،المملكة العربية السعودية،2006،ص219.

[4] كلمة عامية تعني الرديء وغير الأصلي من لباس الحرير.

وهل نحن ممن يعجبه ذلك ويسره؟فنحن معشر العرب لانعرف إلاّ الصحيح...»[1]،فالدارس لهذه الإتفاقية والوثائق، يصل إلى نتيجة مفادها أنّ السّلطان المولى إسماعيل غير مهتم بفحوى بنود الإتفاقية، ولا على النتائج المترتبة عليها،ولا على إنعكاساتها على المغرب سياسيا ودبلوماسيا واقتصاديا،وكلما في الأمر أنّ السّلطان متحمس جدّا، وملح على السّلاح وعلى البارود، الذي قد يأتيه من الأراضي المنخفضة، أو من إنكلترا،أو فرنسا، وقدكان هدف هذه الدول الأروبية هو شراء السّلم مع المغرب،ما دام سلاطينه مستعدون لإعطاء هذا السّلم في سبيل الحصول على مكاسب مادية،وعلى رأسها السّلاح،والبارود وبعض الهدايا الشخصية، وبذلك عملت الدول الأروبية من خلال هذه الإتفاقيات الدبلوماسية الحد من نشاط المغاربة في مجال القرصنة.

12- كلاهما كافأ وعاقبا السّياسيين والدبلوماسيين:

كان النجاح أو الفشل في المهمة السياسية و الدبلوماسية يحدد للدبلوماسي المغربي مسار حياته السّياسية، فالنجاح في مأموريته يفتح له الباب واسعا في المهن الإدارية لدى البلاط السّعدي،أو البلاط العلوي فلمّا عاد "أحمد بن علي الهزالي" من سفارته الناجحة للقسطنطينية، رفع المنصور مكانته ومرتبته وزاد في إكرامه،و ولاّه القيادة على قادة الفصائل العسكرية[2].

ولما رجع التمكروتي وبعثته من الباب العالي،رحب به المنصور وأكرمه، وزاد في إكرام ضيافته إلى درجة أنّ البعثة أقامت في دار الإمارة أياما،تنعم بطيب الراحة بعد أن أدّت له الهدية،وجواب السّفارة [3]،وقد درج المولى إسماعيل على خطى المنصور، فكان يعتز كثيرا في رسائله إلى ملوك أروبا بعبد الله بن عائشة الذي عينه قبطانا،لكن الوشاة من المنافسين مكروا به وكانت عقوبة ونهاية هذا السّفير مأساوية،بالرغم ماقدمه من خدمات للمولى إسماعيل، فقد رجع السّفير للمغرب حيث استقر و توفرت لديه ثروة ماليةكبيرة، مما جعل خليفة المولى إسماعيل بمكناس الذي تولى الحكم مدة غيبة المولى إسماعيل بالحدود الشّرقية، يطلب من عبد الله بن عائشة قدرا كبيرا من ثروته،ولما إمتنع عن ذلك نكل به وجلده[4]، ورغم ضغط زوجة ابن عائشة على زوجها ليعطي ما طلب منه حتى يتفادى التّعذيب، إلاّ أنّ السّفير المغربي ظل يعاني من الألم الذي أجحظ عينيه، وآذى جسمه

---

[1]عبد المجيد قدوري:المرجع السابق،ص350.

[2] أبو القاسم الزياني:**البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الريف**، ص58.

[3] عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب عبر العصور**،مج8،ص63.

[4] الحسن السايح:"**السّفير عبد الله بن عائشة**"،في مجلة د ح م،السنة الخامسة عشر،جويلية 1972،عدد4،ص 129.

نتيجة التورم والإلتهاب بعد التعذيب بالطوق في عنقه، مما جعل لحمه يتعفن وينتن، كما لاحظ ذلك بعض الذين زاروه في آواخر أيامه [1]،كما غضب المولى إسماعيل من سفيره إلى إنجلترا "أحمد بن قردناش" الذي أتهم بتصرفات اللاأخلاقية وقد تقدم تركي من حلب كان من بين الحاشية التي صاحبت بن قرداش، بإتهامه بالفسق، وأنه ارتكب أعمالا بغيضة، وشاذة، خلال فترة إقامته بلندن وأنه قدسلبه مبلغا كبيرا من المال،وما إن سمع السّلطان بتلك الإدعاءات، حتى ألقي القبض على السّفير قردناش وودع السّجن[2].

13- أبرزا هيبة الملك:

درج أحمد المنصور السّعدي، والمولى إسماعيل في حكمهما للمغرب على إظهار عظمة الملك، وهيبة الدولة لأعدائهما في الداخل أو الخارج من خلال السياسة الداخلية لهما،أو الدبلوماسية الموجهة للدول الأروبية،التي كانت تربطهما معها علائق سياسية وتجارية ومسائل أخرى، وقد إحتدم معها الصراع كإسبانيا التي مازال تحتل أجزاء من المغرب أو الدولة العثمانية التي ظلت أطماعها في المغرب قائمة رغم معاهدة ترسيم الحدود، وإعتبار وادي التافنة حدا فاصلا بين المغرب والجزائر[3].

وقد أكّد الأسير"شالدانيا" (*Antonio de Saldanha*) أنّ أحمد المنصور كان يستهدف من وراء سياسته الدبلوماسية مع الدول المجاورة له، تأكيد قوّة قبائل المخزن[4]وعظمة ولائها له،وإبراز انتصاراته،سواء في موقعة وادي المخازن أو الثورات والقلاقل التي صاحبت بداية عهد حكمه للمغرب الأقصى، وعمل على تنمية تجارته، وتحسين مداخيل خزينته،وأولى الدبلوماسية في عهده اهتماما كبيرا،وحرص من خلالها على إظهار أبهة الحكم،حيث اعتبر إرسال البعثات الدبلوماسية ونجاحها وسيلة من وسائل إدارته،و راهن عليها لضرب خصومه.ويمكن أن نستحضر بعص الأمثلة لبعض الممارسات البروتوكولية التي كان السّلطانان يتعمدان فعلها، كإطالة أمد إنتظار المبعوثين الأجانب قبل

---

[1] الحسن السايح: المرجع السابق،ص ص 129، 130.

[2]روجرز .ب.ج:المرجع السابق،ص117.

[3]محمد جادور:**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**،ص387.

[4] هي عبارة عن تجمعات سكانية متمايزة في وصولها مختلفة في أعرا قها، جندت لتكون سندا للدولة،للمزيد من الإطلاع ينظر ناصر الدين سعيدوني:**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م،ص 98.

إستقبالهم، فقد بقي الإنجليزي كارديناس(*Cardenas*) مدّة شهر بمدينة مراكش قبل أن تتاح له الفرصة تسليم رسالته لأحمد المنصور[1]،وقد ترك (بالتساربولو) ينتظر أمام خيمته تحت أشعة الشمس الحارقة منذ الصباح الباكر ولم يستقبله إلاّ في الساعة الرابعة زوالا،والأسلوب نفسه اتبعه المولى إسماعيل عند استقباله للبعثة البرتغالية،وباشا تطوان،زمن ورود السفارة الإنجليزية[2]،هذا التثاقل في إستقبال الوفود الدبلوماسية والإستعراضات العسكرية واظهار هيبة الدولة والزي الذي يظهران به أمام الوفود والقصور والعمائر التي تفنن فيها كل من أحمد المنصور من خلال قصره البديع، والمولى إسماعيل من خلال إنجازاته العمرانية، من شأنه أن يمنح للسّلطانيين هيبة وخيفة في قلوب مستقبليهم فإظهار مكانة المغرب العسكرية والسّياسية من منظور القوة والهيبة يعطي لهما مكانة في نفوس أعدائهم وخصومهم.

14- حافظا على استقلال المغرب وأمنه:

تمكن السّلطانان من المحافظة على استقلال المغرب وأمنه ضد الأخطار الخارجية والداخلية التي كانت تهدد وجوده كدولة مستقلة، جارة لقوتين كبيرتين متنافستين عليه وهي الدولة العثمانية التي كانت مطامعها في المغرب واضحة، فهي عملت بكل جهد من خلال الإيالة الجزائرية أن تضمّ المغرب إليها، لكن دهاء أحمد المنصور السّعدي ومداهنته للسّلاطين العثمانيين، وسياسة المولى إسماعيل المتشددة، واستعماله للقوة العسكرية ضد الجزائريين، وانشغالها بحروبها في أروبا، وحروبها ضد الصّفويين، والضّعف الذي بدأ يدبُّ في أوصال الدولة العثمانيين من الأسباب التي جعلها تصرف النظر على ذلك[3]،زد على ذلك الخطر الغربي الذي كان يهدد المغرب الأقصى ويتوعده بالغزو كالإسبان والبرتغاليين،فإنّني أجد أنّ السّلطانين أحمد المنصور والمولى إسماعيل نجحا سياسيا ودبلوماسيا في المحافظة على إستقلال بلدهما من التيارات الدولية التي كانت تتجاذهما وخير دليل على ذلك أنه بمجرد وفاتهما دخل المغرب في مرحلة الفوضى فاقتتل أبناء المنصور على العرش وافتتنوا وكان كل طالب للملك من أبناء المنصور يستعين[4] بالقادة العسكريين الذي كان معظمهم في دولة المنصور من

---

(1) محمد جادور: **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**،ص411.

(2) نفس المرجع.

(3) ينظر عمار بن خروف:"**إخفاق العثمانيين في إحتواء وعثمنة المغرب الأقصى،الأسباب والنتائج**"،المرجع سابق،ص ص 15، 16، 17.

(4) إبراهيم حركات:**السياسة و المجتمع في العهد السعدي**، ص 104 .

الأعلاج كالقائد عجيب،والقائد وجؤذر، ونائبه محمود فدخل المغرب بعد وفاة المنصور في نفق سياسي مظلم تجدد فيه الغزو الأجنبي على المغرب[1].

أما المولى إسماعيل الذي توفي يوم السبت الثامن والعشرين من رجب سنة تسع وثلاثين ومائة وألف،الموافق لسبع وعشرين وسبعمائة وألف ميلادية1139هـ /1727م ترك المغرب الأقصى يموج في الفتنة التي أحدثها أبناؤه الكثيرون واقتتلوا على الملك (مولاي الذهبي ومولاي عبد الملك)الذي حافظ عنه المولى إسماعيل خمسة وخمسين سنة بالرغم من أنّه لم يعين وليا للعهد أويوصي به لأحد ثم إندلا ع القتال بين قبائل المغرب الشّمالية[2].

ومما تقدم يمكن القول:

– أنّ محاولات السّلطانين الدبلوماسية لم تفلح في إفتكاك ثغر سبتة وبقية الثغور الأخرى من يد الإسبان بالرغم من الجهود التي بذلها المولى إسماعيل كمحاولة لربط علاقات دبلوماسية واستراتيجية مع فرنسا وبريطانيا بغية إنشاء تحالف عسكري بينهما ضد الإسبان إلّا أنّ الجهود باءت بالفشل .

– عداء السّلطانين لأتراك الجزائر والخوف منهم والتعامل معهم بحذر وإن كان السّلطان أحمد المنصور لم يظهر هذا العداء لخصومه الأتراك في الجزائر بصورة سافرة وواضحة،إلاّ أنّ المولى إسماعيل ظل يجاهر بالخصومة مع الأتراك في الجزائر،ونفذ ذلك على أرض الواقع بصدامات عسكرية على الحدود،ولم تكن للسلطانين آلية دببلوماسية فاعلة،ولم توجد لديهما إستراتيجية دبلوماسية مبنية على أسس علمية تؤسس لمدرسة دبلوماسية مغربية قائمة بذاتها على غرار الدبلوماسية الأروبية التي كانت

معالمها واضحة وقد رسمت لنفسها أهدافا قريبة وأخرى بعيدة،في تعاملها مع المغرب في عهدي السّلطانين أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل

–كلا السّلطانين وظّفا الدّين الإسلامي في قضاء مصالح سياسية،أو رفض مطالب أروبية،أو تحقيق منافع آنية، بحجة معارضتها،أو موافقتها للدين الإسلامي، فكانا في كثير من المواقف يستشهدان، بنصوص الشّرع،أو أقوال العلماء في ذلك.

---

[1] نفس المرجع ، ص 104 .

[2] محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص 105.

-تمكن السّلطانان من اجتياز ظروف سياسية ودبلوماسية دولية صعبة وحقق فيها بعض النجاحات ومنها المحافظة على إستقلال المغرب.

- يتفق معظم المؤرخين المغاربة منهم والأروبيين، أنّ من أعظم ملوك الدولة السّعدية هو "المولى أحمد المنصورّ، بسبب ما حققه من إنجازات سياسية ودبلوماسية مع معاصريه، ومن معظم ماشهدت الدولة العلوية في عهدها الأوّل، هو "المولى إسماعيل" بما حققه من نجاحات للمغرب، ويكفي أنّه حافظ على ملكه أكثر من خمسين سنة.


الخاتِمَة

في ختام هذه الدراسة،توصلت إلى جملة من الملاحظات والإستنتاجات أوجزها في الآتي:

-إن علاقات أحمد المنصور السياسية والدبلوماسية مع إسبانيا كانت وديّة في بداية حكمه على الرّغم من احتلالها لثغور في المغرب، ولم يواجهها عسكريا، لأنّ المنصور كان يعتبرها – فيما يبدو – صمام أمان لملكه أمام مطامع الأتراك وتهديداتهم، فكان يلوّح بالتحالف مع الإسبان ضدّهم، وأتقن جيّدا لعبة التوازنات الإقليمية، فاستثمر العداء العثماني الإسباني الإنجليزي لصالحه.

-إن العثمانيين قد قبلوا بالأمر الواقع، وأدركوا أنّ ضغطهم المتزايد على المنصور، قد يدفعه إلى توثيق العلاقات مع عدوهم اللدود إسبانيا، وهو ما دفعهم إلى مسالمته،وتميّزت العلاقة بين البلدين بالسّلم، ومال السّلطان العثماني إلى سياسة المهادنة واللّين.

- إنّ تعدّد السّفارات والرسائل بين العثمانيين والمنصور دليل قاطع على بداية حقبة جديدة في العلاقات السياسية والدبلوماسية بين البلدين،وهو ما كان مِن شأنه أن تبدّدت إلى حدّ ما مخاوف المنصور من جيرانه الأتراك في الإيالة الجزائرية.

- إن ارتباط أحمد المنصور بعلاقات سياسية ودبلوماسية مع فرنسا، لا ترقى إلى مستوى نظيرتها إسبانيا، وكان يغلب عليها الطابع التجاري، و قضايا الأسرى،لكون فرنسا في هذه الفترة كانت منشغلة بمشاكلها الداخلية؛ والمتمثلة في الحرب الدينية، والصراع على الملك، ولم تقوّ روابطها الدبلوماسية مع المغرب إلا في بدايات القرن السّابع عشر (1603م- 1666م).

- في مقابل علاقة المنصور مع الإسبان مرّت علاقات المولى إسماعيل مع إسبانيا بمرحلتين وهما:

أ- مرحلة الصراع والتوتر السياسي والدبلوماسي، وتمثلت هذه المرحلة في العمليات العسكرية التي قام بها في سبل تحرير الثغور المغربية المحتلة، وما نتج عنها من العمليات الجهادية.

ب- مرحلة السّلم والهدوء السياسي والدبلوماسي التي طبعت بطابع تبادل السفارات بين البلدين، واستقبال مولاي إسماعيل لرجال البعثات الدينية الإسبانية من أجل تحرير الأسرى.

- إنّ مظاهر التباين بين سياسة المولى إسماعيل والمنصور،ما يمثّل فشلا للمولى إسماعيل في ربط علاقات استراتيجية متينة مع الملك الفرنسي لويس الرابع عشر،وخاب أمله فيما كان يعلّقه من آمال على ربط علاقات دبلوماسية وسياسية وعسكرية وتجارية مع فرنسا، ولي أن أقول في هذا المقام: إنّ علاقاته السياسية والدبلوماسية مع فرنسا قد مرّت بمراحل ثلاث،وهي :

أ- مرحلة التقارب والتفاهم السياسي والدبلوماسي **1672**/1682م:

ب- مرحلة التناحر والصراعات على الرّغم من تبادل السفارات 1682م/1699م.

ت- مرحلة القطيعة والجمود الدبلوماسي **1700**م/**1727** م.

حاول مولاي إسماعيل من خلال علاقاته مع لويس الرابع عشر،تحقيق أربعة أهداف رئيسية وهي:

– تحرير سبتة ومليلة من خلال الدعم الفرنسي.

– تنمية التجارة المغربية وانفتاحها على العالم الخارجي.

– حرصه على إقناع لويس الرابع عشر بأنّه مساوٍ للسّلطان العثماني في المكانة.

– سعيّه إلى تخليص الأسرى المغاربة من قبضة الفرنسيين الذين يشتغلونهم على السفن الملكية كمجدفين.

- مرت العلاقات الجزائرية المغربية في عهد مولاي إسماعيل بمرحلتين:

أ– مرحلة الصراع والصدام العسكري بين الجزائر وسلطان المغرب المولى اسماعيل، الذي حاول خوض معارك طاحنة مع الجزائر في الحدود الشّرقية للمغرب،وكان يتعرض في كل مرّة لهزائم عسكرية متتالية، على الرّغم من معاهدة وادي التافنة التي عقدها أخواه المولى محمد والمولى الرشيد، التي ترسم الحدود الطبيعية بين البلدين.

ب– مرحلة السّلم الحذِر التي تميزت باقتراب المولى اسماعيل من الأتراك.

- تميّزت رسائل أحمد المنصور الذهبي بمتانة اللغة، ورصانة الأسلوب،ووظّف في تلك الرسائل ألفاظا عثمانية، كاستخدامه لمصطلح الخادم أو الرسول،واستعمال الرموز السرّية أو الشّفرة في مراسلاته.

-كانت رسائل المولى إسماعيل الدبلوماسية في عمومها ضعيفة اللّغة،ركيكة الأسلوب، وقد استخدم ألفظا كعبارة خديمنا الأكبر الأعز،واستعمل ألفاظا ذات دلالات خاصّة، كمصطلح الطّاغية في مراسلاته مع الإسبان.

-كانت علاقات أحمد المنصور الذهبي مع إسبانيا تتميّز بالمسالمة الحذرة،واستطاع أن يمارس معها سياسة المماطلة والتسويف في قضية ميناء العرايش،كما كان يهدّد العثمانيين بالتحالف مع فيليب الثاني إذا اقتضت مصلحته ذلك.

- تميزت علاقات المولى إسماعيل مع إسبانيا بالصّراع والتوتر والمواجهة المسلحة، وهي سياسة مارسها المولى إسماعيل في سبيل تحرير الثغور المحتلة، وانتزاعها من الإسبان التي فقدت قوتها العسكرية، وقد رأيناه ينتهج معها أسلوب الشّدة في تحرير الثغورو افتكاك الأسرى.

- كانت علاقات المغرب السياسية والدبلوماسية مع فرنسا في عهد أحمد المنصور في بداياتها،ولم تكن عميقة الجذور باعتبار أنّ فرنسا في القرن السّادس عشر كانت مشغولة بترتيب بيتها الداخلي.

- فضّل المولى إسماعيل أن تكون علاقاته مع فرنسا في عهد لويس الرابع عشر قوية ومتينة، تدل على ذلك البعثات الدبلوماسية الكثيرة بين البلدين،و لأنّ المولى إسماعيل كان يسعى من خلال هذه العلاقات بأن يقيم مع لويس الرابع عشر،تحالفا إستراتيجيا يستثمره في سبيل تحرير الثغور المحتلة خاصة سبتة ومليلة.

- ارتبط أحمد المنصور الذهبي مع إيالة الجزائر بعلاقات سلمية على العموم، ولم يواجهها فيها عسكريا، واستطاع بدهاء سياسي كبير وحنكة دبلوماسية فائقة، أن يجنّب بلاده محاولات العثمانيين ضمّ المغرب إلى إمبراطوريتهم التي كانت أطماعها في المغرب ظاهرة.

- على العكس مِن ذلك عرفت علاقات المولى إسماعيل مع إيالة الجزائر بالتّناحر والمواجهة العسكرية على الحدود الشرقية للمغرب بسبب سياسته التوسُّعية، ورغبته الشديدة في إحراج الأتراك العثمانيين من شمال إفريقيا، وهذا ماعكسته المواجهات العسكرية بينهما،و التي خسرها ليضطر إلى إمضاء معاهدة السِّلم مع إيالة الجزائر، والإعتراف بمعاهدة الحدود التي وافق عليها أخوه المولى محمد.

-كلا السلطانين فشلا دبلوماسيا وسياسيا وعسكريا في إفتكاك ثغر سبتة.

- عداءهما الخفي والظاهر للأتراك العثمانيين في المنطقة.

لم ينجح السلطانان في بناء سياسة ودبلوماسية مغربية فاعلة مبنية على أسس علمية تؤسس لمدرسة ترسم لنفسها أهدافا قريبة وأخرى بعيدة في تعاملهما مع القوى الأخرى.

-كلا السّلطانين وظّفا الدّين الإسلامي في قضاء مصالح سياسية ودبلوماسيةأو رفض مطالب أروبية، أو تحقيق منافع آنية، بحجة معارضتها، أو موافقتها للدين الإسلامي، فكانا في كثير من المواقف يستشهدان، بنصوص الشّرع، أو أقوال العلماء في ذلك.

- مازالت دبلوماسية أحمد المنصور الذهبي، والمولى إسماعيل بها جوانب غامضة،تنتظر جهد الباحثين في العثور على وثائق أخرى من شأنها إعطاء معلومات جديدة عن هاذين السّلطانين في مجال العلاقات.

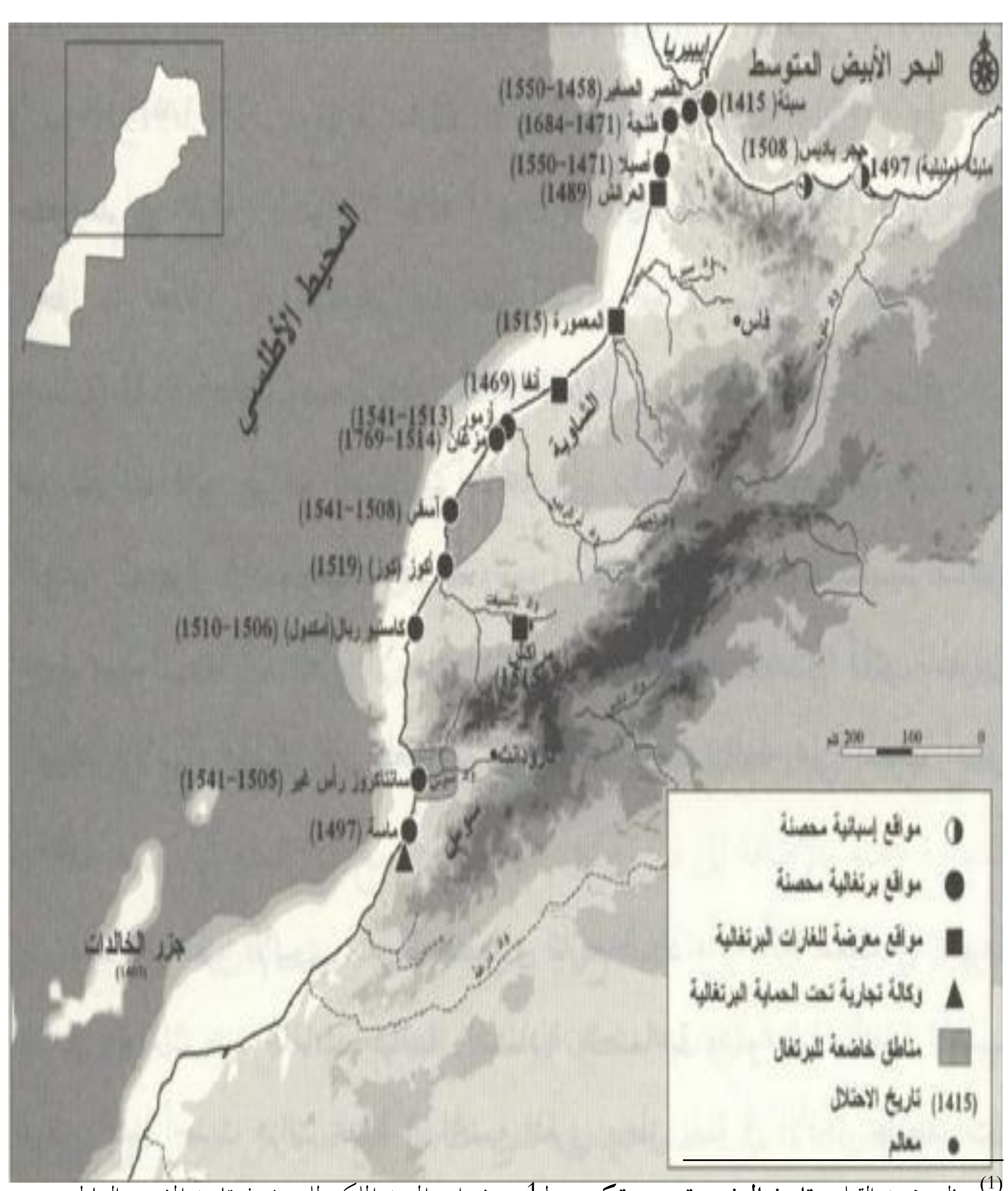


- **ملحق الخرائط**
- **ملحق الوثائق (الرسائل)**
- **ملحق الصور والرسومات**
- **ملحق الجداول**

الخرائط

الملحق الأول:

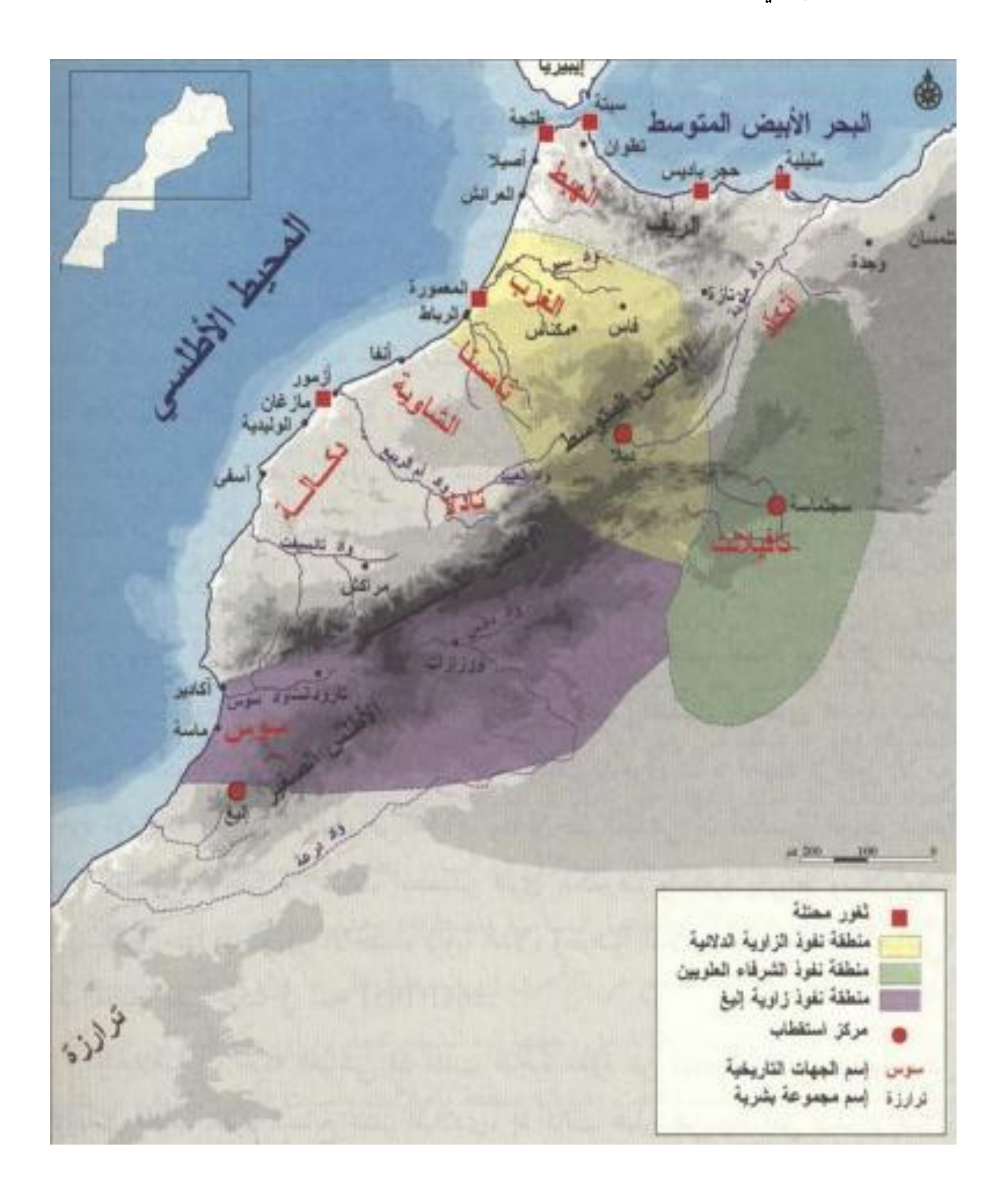
المغرب الأقصى في عهد الدولة السعدية [1]



[1] ينظر: محمد القبلي: **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، ط1، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط 2011، ص 324.

الملحق الثاني:

المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية[1]



---
(1) ينظر: محمد القبلي: المرجع السابق، ص 396.

الوثائق (الرسائل)

الملحق الثالث:

رسالة من أحمد المنصور يطمئن فيها على ابن أخيه الأمير إسماعيل بن عبد الملك الموجود في الجزائر والرسالة مؤرخة في 907هـ/1579م. [1]

إستخدم الأتراك العثمانيون الأمير "إسماعيل بن عبد الملك" كورقة مساومة للضغط عليه، فهم يهددونه بالمطالبة بحق ابن أخيه إسماعيل في ملك المغرب .

من عبد الله المجاهد في سبيل الله، أمير المؤمنين أبي العباس أحمد المنصور باللّه أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشّيخ الشّريف الحسني،أيد الله بعزيز نصره أوامره العالية، وأبقى بمنه مآثره ومفاخره السّنية.«إلى ولدنا الأمير،الأرضى،الأحظى،الأثير،الأمجد ،الأفضل، الأصيل،الأوجه،الأغرب،اسماعيل ابن الأخ المرحوم المقدس المعظم ابن عبد الملك قدس الله روحه وأسكنه من جنان فسيحه،أدام الله عليكم النعم المخضرة الجوانب، والأحوال المرضية المبادئ والعواقب،ماتيسر بلون به أصفى البرود،و يوردكم من المناهل الخيرات وانسكاب المسرات أعذب مورود، السلام عليكم ولدي ورحمة الله وبركاته.كتبناه إليكم كتب الله لكم السّلامة وأهلكم من المكارم بدار إقامتهم، من دارنا العلية ومناخ ركابنا العلوية مراكش الحمراء حرسها الله وحاطها ،ولا زائد الله الشكر إلا ما عودنا سبحانه من جزيل النعم وجليل الألاء والكرم .

هذا وقد ورد على مقامنا ... وحيث أخبرتم أنّ الباشا الأعظم الأفخم "**أبا محمد حسن باشا**"[2] وصل الله سعوده ... وبجوده قد صانعكم من خيره ... إطمأنت نفوسنا لذلك وتحققنا من محبته..

---

[1] ينظر الرسالة كاملة عند مصطفى بنعلة: المصدر السابق،ج1،ص 222.

[2] هو حسن فنزيانو حاكم الجزائر من 985هـ-988هـ/1577م-1580وفي المرة الثانية من 991هـ-993هـ/1583-1585م تزوج بزوجة عبد الملك السّعدي ابنة حاجي مراد التركية، وعندما توفي عبد الملك السّعدي، تزوجها حسن فنزيانو كفيل الأمير إسماعيل. ينظر مصطفى بنعلة: المصدر السابق،ج1،ص 223.

الملحق الرابع:

صورة الرسالة التي بعث بها سلطان المغرب مولاي إسماعيل بن الشريف العلوي إلى ملك إسبانيا كارلوص الثاني باللغة الإسبانية سنة 1111هـ/1699[1]

En el nombre de un solo Dios todo Poderoso.

A Don Carlos Segundo por la Gracia de Dios Rey de Castilla, de Leon y Aragon etc. abiendo benido a nuestra pressencia El Fraile Diego siendo reciuido con la autoridad que es debida a Veustra Persona como Enbiado Vuestro, juntamente abiendo rrecivido con particular estimassion el caballo y armas prendas que deuen ser estimadas por ser vuestras y viendo Vuestra mucha galanteria y los buenos desseos que teneis de nuestra comunucassion, por la qual me beo obligado a tratar con Vos negocios de mucha importanssia, si no me atrasara a ellos el aber conossido que le execussion dellos pende de Vuestro Consejo, no de Vuestro Poder absoluto, loq ue lo que nunca a precedido en vuestros antecedentes, pues siempre sus assuntos o yerros aunque nunca erraron, pendieron de Acssion propia, Y assi con los tales are licito el tratar por la brebedad de los ajus-tes, i biendo quan de espacio ban Vuestros tratos por la comunicassion delloscon Vuestro Consejo i hallarnos en la pressente ocassion, con algunas ocupassiones en el exerssisio de las armas, es la causa paraatrassarlo a mejor ocassion, en que con mas espasion tratemos de lo que mas convenga, guarde Dios Vuestra Real Persona. En Mequines a 6 de Mayo Ane y por cuanto haber precedido de nos sierto juramento en la ocassion presente de no dar libertad a ningun christiano de qualesquier nassion que fuesse no os remito onsse christianos, dies soldados y un cavallero de essa Villa llamado Don Fernando de Rioxa y Olivares los quales quedan libres por Vuestra cuenta en poder de Nuestro Guardian Fray Diego de los Angeles para que os los rremita en pasando ael termino de Vuestro juramente, siempre con desseos de corresponder a vuestras finessas Dios os guarde Ano de mill ssiento y once Mequines.

El rey de Mequines

Mss. 5065. (*olim* Gg. 287, 4)

---

[1] ينظر لطفي عبد البديع: **وثيقة مراكشية بالإسبانية**،في مجلة معهد المخطوطات العربية،جامعة الدول العربية،مج 3،ج1، ماي 1957م،ص 332.

الرسالة معربة:

بسم الله الواحد القدير

إلى دون كرلوص الثانى ملك قشتالة وليون وأرغون وغيرهما بتوفيق الله.

وفد علينا الفراى دييجو الذى استقبلناه بما هو جدير به من حفاوة لكونه مبعوثكم ، كما تقبلنا الفرس والسلاح بقبول حسن ، وكانت الهدية خليقة بالتقدير لأنها من قبلكم ، وقد عهدنا منكم كرم النفس وحسن الرغبة فى الاتصال بنا مما يحدونى إلى أن أعالج معكم شئوناً مهمة جداً بعناية لولا أنى علمت ان امضاءها رهن بمشيئة مجلسكم ، ولا يتعلق بسلطتكم المحضة ، وهو ما لم يكن يحدث من قبل مع أسلافكم فقد كانت أمورهم وأخطاؤهم — على أنهم لم يخطئوا قط — رهن مشيئتهم الخاصة ، ولهذا جاز البت فى الأمور سريعاً ؛ والإبطاء فى معالجتكم لهذه الأمور مع مجلسكم ثم انصرافنا فى هذه الآونة إلى الحرب يدعونا إلى إرجاء القضية إلى فرصة أخرى مواتية تعالج فيها الأمور على مهل بالصورة التى تليق .

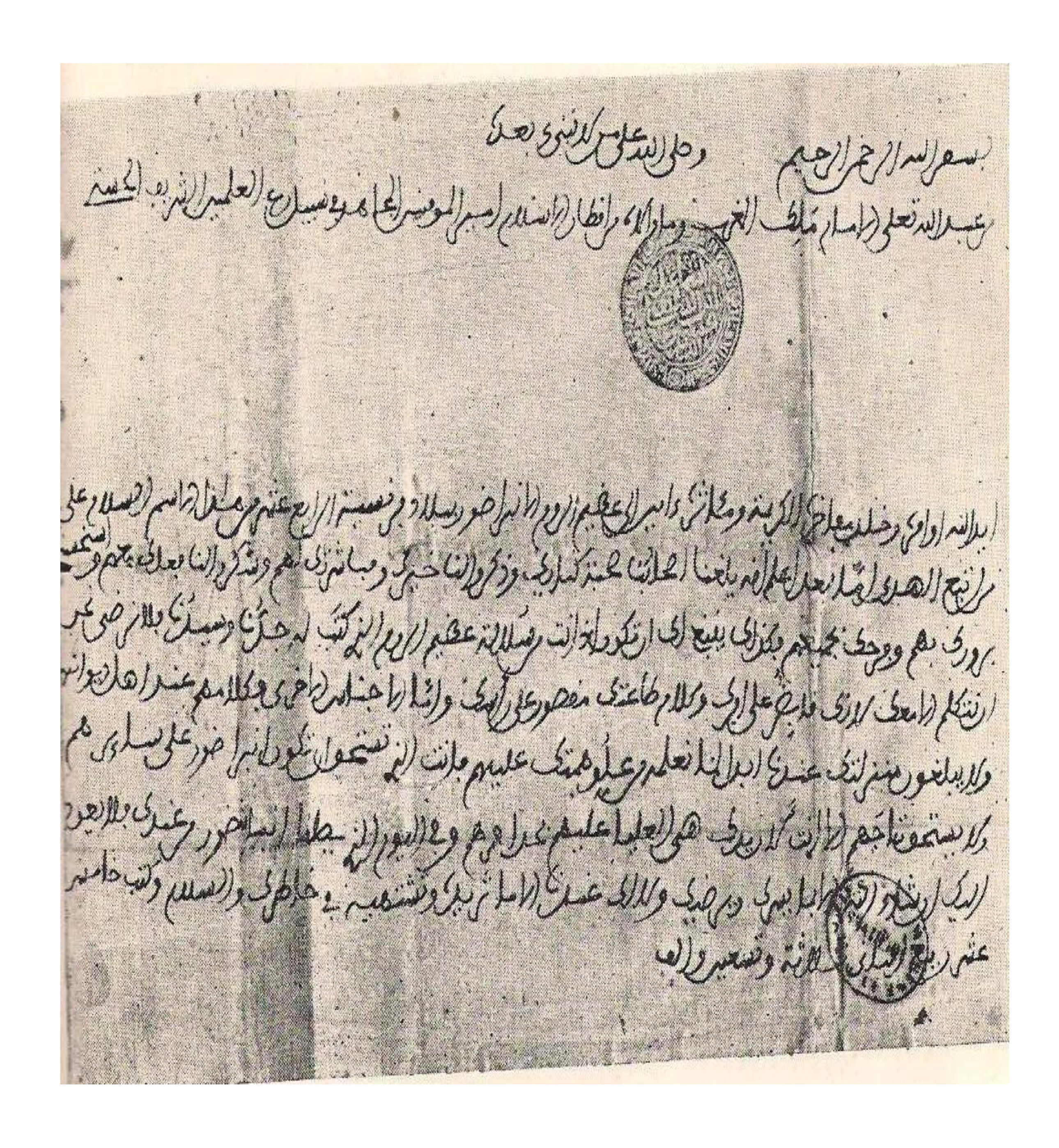
حفظ الله ذاتكم الملكية . السادس من شهر مايو بمكناسة .

ولما كان قد صدر منا يمين فى الوقت الحاضر حيث آلينا ألا نفرج عن مسيحى من أية أمة كان فلن أسلم إليكم الأسرى الأحد عشر ، وهم عشرة من الجند ، وفارس من هذه المدينة يدعى دون فرنندو ريوكسا واوليفاريس وإنما سيكونون طلقاء لذمتكم فى يد ياوركم فراى دييجو دى لس أنخيلس ليسلمهم إليكم بعد أن يستوفى يميننا أجله ، هذا ونحن راغبون فى أن نقابل ظرفكم بمثله . حفظكم الله . حرر فى سنة ألف ومائة وأحد عشر بمدينة مكناسة.

ملك مكناسة

الملحق الخامس:

صورة عن الرسالة التي بعث بها سلطان المغرب المولى إسماعيل بن الشريف العلوي، إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر مؤرخة بـــ 15ربيع الثاني عام 1093هـ/23أفريل 1682م.[1]



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لا نبي بعده

---

[1] ينظر محمد داود: **تاريخ تطوان**، مج1، المرجع السابق، ص278.

نص الرسالة بخط مقروء

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لانبي بعده

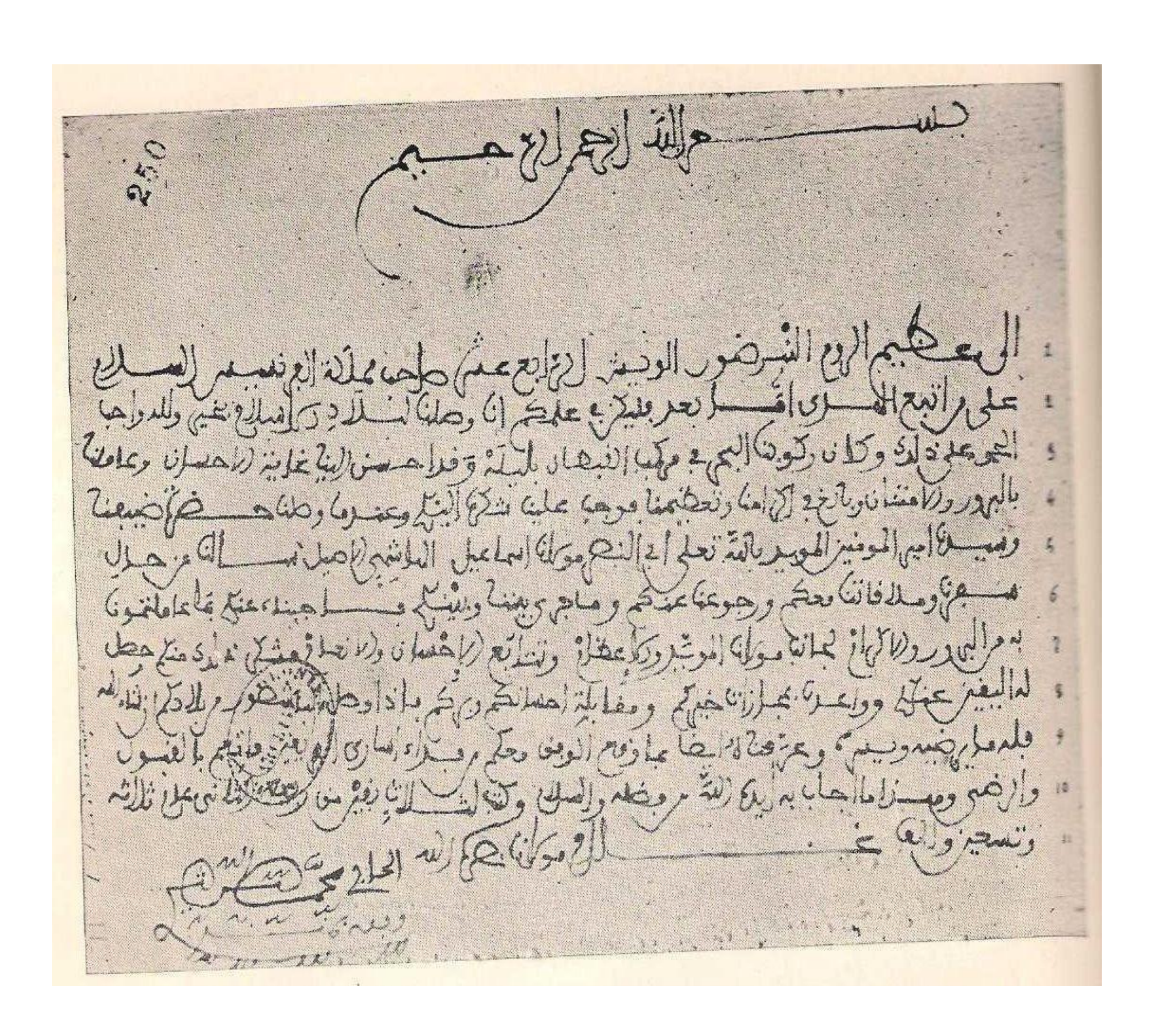
من عبد الله تعالى الإمام ملك المغرب وما والاه من أقطار الإسلام أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني (ثم طابع مستديرنقش وسطه) إسماعيل بن الشريف الحسني رعاه الله (وبدائرته يمينا) اليمن والإقبال وبلوغ الأمال ومثل ذلك يسارا.

أيد الله أوامره وخلد مفاخره الكريمة ومآثره آمين إلى عظيم الروم الإمبراضور ببلاد فرنسة الرابع عشر من هذا الإسم ،السلام على من إتبع الهدى .أمابعد اعلم أنه بلغنا أصحابنا صحبة كتابك وذكروا لنا خيرك وبرورك بهم وفرحك بجميعهم فكذلك ينبغي لك أن تكون إذ أنت من سلالة عظيم الروم الذي كتب له جدنا وسيدنا فلا نرضى نحن أن نتكلم إلا معك لأنك قابض على أمرك وكلام طاعتك مقصور على رأسك وأما الأجناس الأخرى فكلامهم عند أهل ديوانهم ولا يبلغون منزلتك عندنا أبدا لما نعلمه من علو همتك عليهم فأنت الذي تستحق أن تكون انبراضور على سائرهم ولا يستحق تاجهم إلا أنت لأن يدك هي العليا عليهم بحذافرهم ،وفي اليوم الذي يصلمنا الباشضور من عندك فلا يعود إليك إن شاء الله إلا بما يسرك ويرضيك ولك عندنا إلا ما تريده وتشتهيه في خاطرك والسلام .

وكتب في خامس عشر ربيع الثاني ثلاثة وتسعين وألف

الملحق السادس:

صورة عن رسالة وجهها قائد تطوان وسفير مولاي إسماعيل الحاج محمد تميم إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1093م الموافق لـ 5ماي 1682م .[1]



بسم الله الرحمن الرحيم

إلى المعظم الأرفع الأشرف الوجيه لويز الرابع عشر صاحب مملكة الفرنصيص السلام

على من اتبع الهدى

عن إذن مولانا نصره الله الحاج محمد تميم

---

[1] ينظر محمد داود :تاريخ تطوان،مج1،المرجع السابق ،ص278.

نص الرسالة بخط مقروء

بسم الله الرحمن الرحيم:

إلى عظيم الروم النبراضور لويش الرابع عشر صاحب مملكة الفرنسيس السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فليكن في علمكم أنا وصلنا لبلاد الإسلام بخير ولله واجب الحمد على دلك وكان ركوبنا البحر في مركب القبطان بليله وقد أحسن إلينا غاية إحسان وعاملنا بالبرور والامتنان وبالغ في إكرامنا وتعظيمنا فوجب علينا شكره إليكم وعندما وصلنا حضرة ضيفنا وسيدنا مولانا إسماعيل الهاشمي الأصيل سألنا عن حال سفرنا وملاقاتنا معكم ورجوعنا عنكم وما جرى بيننا وبينكم فأجبناه عنكم بما عاملتمونا به من البرور والإكرام لجانب مولانا المؤيد والإعظام وتتابع الإحسان والإنعام فشكر ذلك منكم وحصل له اليقين عنكم وواعدنا بمجازاة خيركم ومقابلة إحسانكم وبركم فإن وصل الباشضور من بلادكم إن شاء الله فله ما يرضيه ويسره .

وعرفنا أيضا بما وقع الوقف منكم من فداء أسارى الفريقين فأنعم بالقبول والرضى هذا ما أجاب به أيده الله من فضله.

والسلام[1]

وكتب لثلاث بقين من ربيع الأول عام 1093هـ.

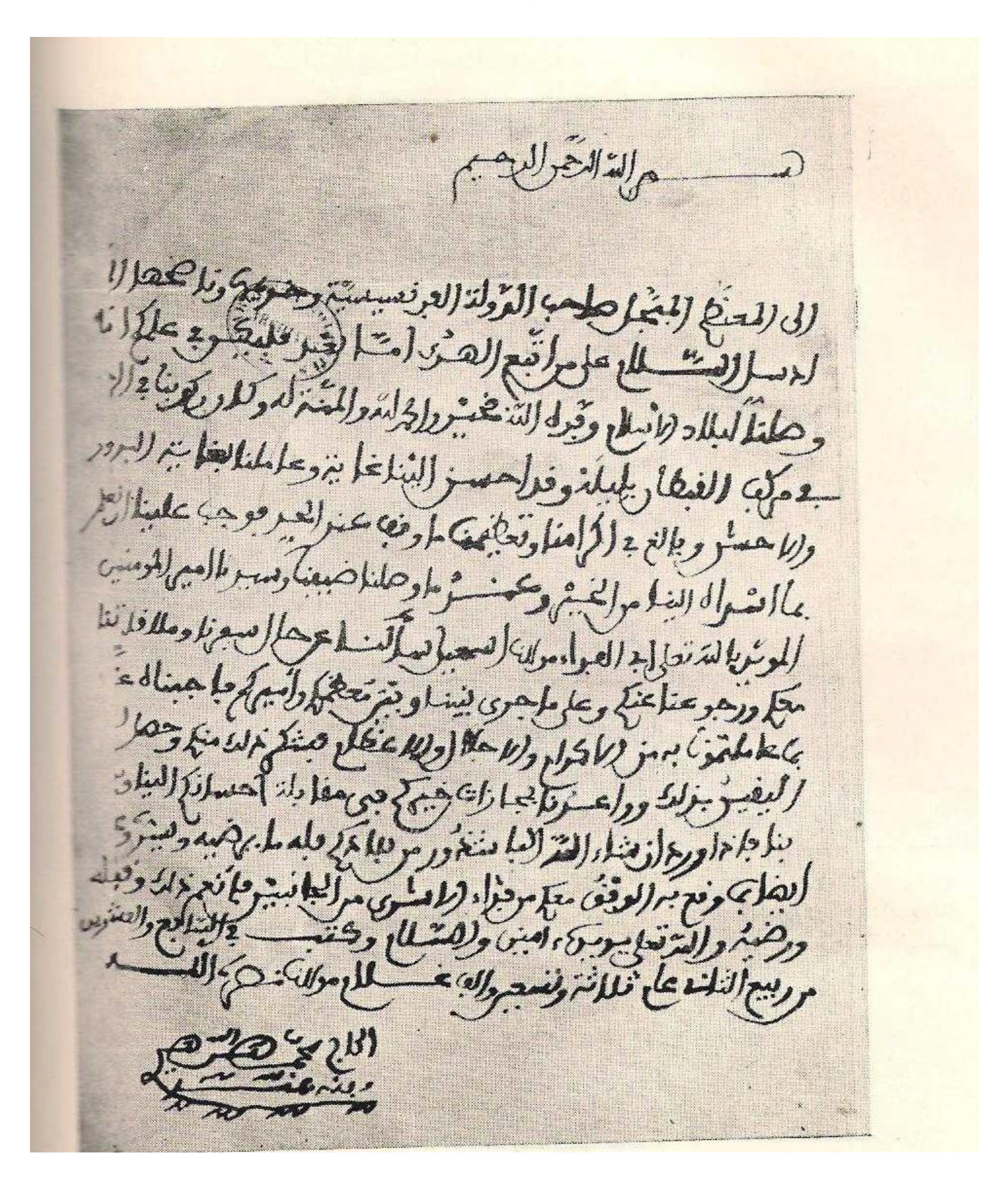
غلام مولانا نصره الله الحاج محمد تميم وفقه الله بمنه.

---

[1] ينظر محمد داود :تاريخ تطوان،مج1،المرجع السابق،ص278.

الملحق السابع :

صورة عن الرسالة التي بعث بها الحاج محمد تميم إلى الوزير الفرنسي جوان بابتيست Jean (Baptiste) السكرتير العام للبحرية الفرنسية وحاكم مدينة(Seignelay) عقب توقيع معاهدة 29جانفي 1682م بالنيابة عن الملك لويس الرابع عشر[1]



بسم الله الرحمن الرحيم

الى المحب المبجل صاحب الدولة الفرنسيسية [illegible]

السلام على من اتبع الهدى [illegible]

وصلنا للبلاد [illegible]

[illegible]

---

[1] ينظر محمد داود:**تاريخ تطوان**،مج 1، المرجع السابق،ص 278.

إعادة كتابتها بخط مقروء

بسم الله الرحمن الرحيم:

إلى المعظم المبجل صاحب الدولة الفرنسيسية وخديمها وناصحها [1].أرسل السلام على من اتبع الهدى أما بعد فليكن في علمكم أننا وصلنا لبلاد الإسلام وفره الله بخير والحمد لله والمنة له وكان ركوبنا في مركب القبطان بليلهوقد أحسن إلينا غاية وعاملنا بعناية البر والإحسان وبالغ في إكرامنا وتعظيمنا ما وقف عند الحد فوجب علينا أن نعلم مما أسداه إلينا من الخير وعندما وصلنا ضيفنا وسيدنا أمير المؤمنين المؤيد بالله تعالى أبي الفداء مولانا إسماعيل سألنا عن حال سفرنا وملاقاتنا معكم ورجوعنا عنكم وعلى ما جرى بيننا وبين معظمكم وأميركم فأجبنا عن [...]بما عاملتونا من الإكرام والإجلال والإعظام فشكر ذلك منكم وحصل له اليقين بذلك وواعدنا بمجازاة خيركم في مقابلة إحسانكم إلينا و[...]بنا فإذا ورد إن شاء الله الباشدور من بلادكم فله ما يرضيه ويسره وعرفناه بما وقع به الوقف معكم من فداء الأسارى من الجانبين فأنعم ذلك وقبله ورضيه والله تعالى يؤيده آمين والسلام.[2]

وكتب في السابع والعشرين من ربيع الثاني عام ثلاث وتسعين وألف

غلام مولانا نصره الله الحاج محمد تميم وفقه الله بمنه

---

[1] **الوزير الفرنسي جوان بابتيست (Jean Baptiste) السكرتير العام للبحرية الفرنسية وحاكم مدينة (Seignelay).**

[2] محمد داود :تاريخ تطوان،مج 1،المرجع السابق ،ص 278.

الملحق الثامن:

رسالة عبد الله بن عائشة إلى الأسرى المغاربة في مرسيليا

« إلى كافة الأسارى المسلمين بمرسيلية أخص بالذكر منهم محمد بشير ...رعاكم الله بعين رعايته ، وأسبل علينا وعليكم رداء ستره آمين[...]إنني قد بعثني مولانا أمير المؤمنين" باشدورا" على شأن فدائكم وفداء غيركم من المسلمين ،فلما بلغنا هذه البلاد وتلاقينا مع ملك أفرنسية ،قال لنا تكلم مع الوزراء فيما جئت به إلينا [...]وقالوا لنا منا إلا رأس مسلما برأس نصراني،إنني بعثني سيدي نصره الله فيما ذكرت لكم فقط...فقلت ننظر في الأسارى الذين نحتاج منهم نأخذ منكم رأسا برأس كما ذكرتم ،فقالوا لانقبل منك هذا،وإنما نجعل لكل أسير مائة وخمسون ريالا ،أنت تفدي ونحن نفدي[...]فأمتنعوا من هذا كله،وسقطنا في أمور الصلح وغيره [...] فلا تيأسوا من هذا الأمر فإنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون....»[1]

[1]Magali Morsy et Thomas Pellow : **Une lecture du maroc du 18 siecle** ,paris 1983, p21.

الملحق التاسع:

رسالة عبد الله بن عائشة إلى الأسرى المغاربة في مرسيليا

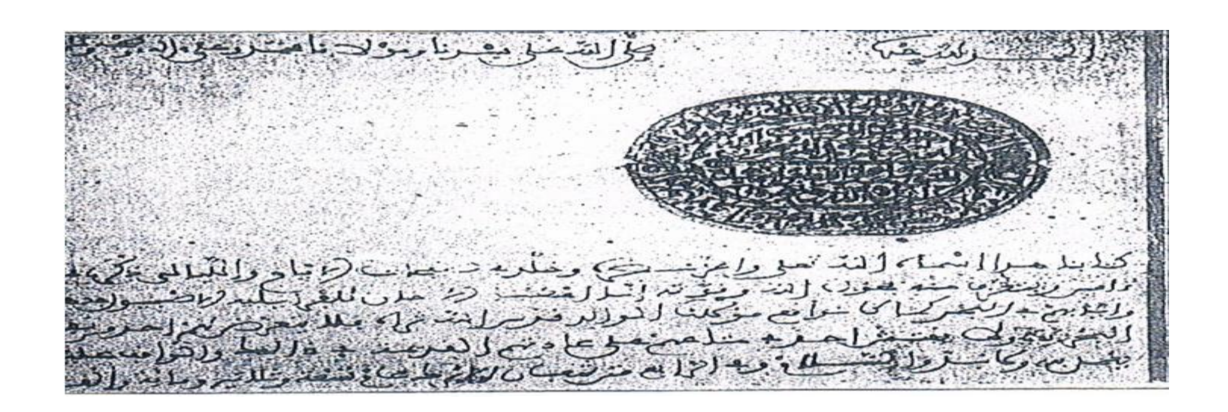
« إلى كافة الأسارى المسلمين بمرسيلية أخص بالذكر منهم محمد بشير ...رعاكم الله بعين رعايته ، وأسبل علينا وعليكم رداء ستره آمين[...]إنني قد بعثني مولانا أمير المؤمنين" باشدورا" على شأن فدائكم وفداء غيركم من المسلمين ،فلما بلغنا هذه البلاد وتلاقينا مع ملك أفرنسية ،قال لنا تكلم مع الوزراء فيما جئت به إلينا [...]وقالوا لنا منا إلا رأس مسلما برأس نصراني،إنني بعثني سيدي نصره الله فيما ذكرت لكم فقط...فقلت ننظر في الأسارى الذين نحتاج منهم نأخذ منكم رأسا برأس كما ذكرتم ،فقالوا لانقبل منك هذا،وإنما نجعل لكل أسير مائة وخمسون ريالا ،أنت تفدي ونحن نفدي[...]فأمتنعوا من هذا كله،وسقطنا في أمور الصلح وغيره [...] فلا تيأسوا من هذا الأمر فإنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون....»[1]

---

[1]Magali Morsy et Thomas Pellow : **Une lecture du maroc du 18 siecle** ,Paris 1983, p21.

الملحق العاشر:

الوثيقة الأولى[1] جواز و ترخيص من المولى إسماعيل للبعثة الدينية الإسبانية.



الحمد لله وحده   ولا حول ولا قوة إلا بالله اللي العظيم

كتابنا هذا أسماه الله وأعزه بيد النصارى الفرايلية يتعرف منه بحول الله وقوته أن جميع من يقف على هذا الكتاب الكريم من قواد مراسينا عمّرهم الله وأشياخ الرعية أن يتهلاّوْا في الفرآيلية المذكورين الذين يجوزون في بلادهم ويقفون معهم ويقضون لهم كل ما يحتاجونه عندهم من أمور الطريق ويعسّون عليهم عند المبيت ويقطعونهم الوديان ويعرفونهم بالطريق التي يريدون المشي معها لتبلغهم لمقصودهم وأن يتعرضون لهم قواد المراسي المباركة في حوائجهم التي يأتون بها من بلادهم وأن لايبحثونهم في شيء منها وكذلك الحوائج التي يذهبون بها من بر المسلمين عمره الله يتركونها لهم سوى العدة والقمح فقط والواقف عليه يعمل به انتهى.

وكتب في السادس عشر ربيع النبوي المفضل عام اثنين وعشرين وماية وألف.

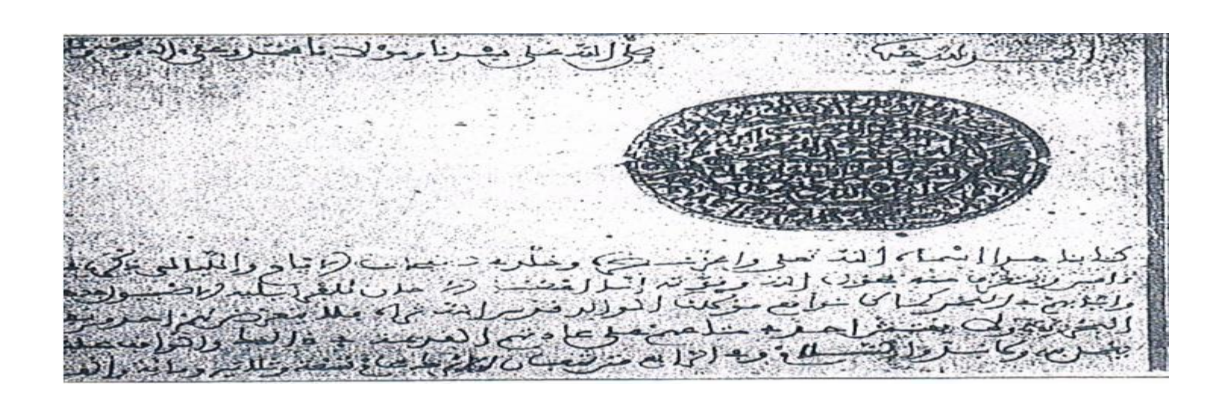
---

[1] ينظر عبد الحي بنيس: المرجع السابق، ص209.

الملحق الحادي عشر:

جواز و ترخيص من المولى إسماعيل للبعثة الدينية الإسبانية

الوثيقة االثانية[1]



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا وملانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الطابع الشريف

كتابنا هدا أسماه الله تعالى وأعز نصره وخلد في صفحات الأيام والليالي دكره بمنه آمين ويتعرف منه بحول الله وقوته أنا أعطينا الأمان للفرايلية الإصبنيول في ذهابهم وإيابهم في البحر كما كانوا مع مولانا الوالد قدسّ الله ثراه ،فلا يتعرض لهم أحد من سفننا البحرية ولا يفتش أحدفي متاعهم على عادتهم القديمة في ذلك والواقف عليه يعمل به ،ولا بدّ والسلام وفي الرابع من شعبان الأبرك عام تسعة وثلاثين ومابة وألف.

[1] ينظر عبد الحي بنيس: المرجع السابق ،ص210.

الملحق الثاني عشر:

رسالة مولاي إسماعيل إلى فيليب الخامس ملك إسبانيا بخصوص سوء معاملة أحد رعايا مولاي إسماعيل من اليهود[1]



(1) ينظر عبد الرحمان بن زيدان: **روضة التعريف**،ص ص 133، 135.

الرسالة بخط مقروء:

الحمد لله وحده لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

عن الامر تعالى المؤيد المنصور الهاشمي امير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني الطابع السلطاني بداخله اسماعيل بن شريف الحسني ايده الله

بدائرته انما يريد الله ليدهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا

ايده الله و نصره و ظفر بمنه و كرمه المباركة وعساكره امين

الى فيليب كنيط طاغية قشتالة و اليون و راغون و بسكاية و غليسة و الاندلسية الشرقية و الغرب و الغربية و الهند و غير دالك مما هو منسوب *لا يالتك*.

السلام على من اتبع الهدى و عمل بمقتضاه ثم اهتدى .

أما بعد فلتعلم ان قبل هذه الساعة بأيام كنا أرسلنا لمدينة قالص يهوديا من اليهود الذين يتسخرون لنا في مقتضيات الامور الدنيوية ليقضي لنا بعض الاغراض بها و اسمه سيمون ضلضان و معه ستة من اليهود يخدمونه و بيده كتابنا الاسمى المكتوب لخديمك المتولي امر الكلام على يدك في مدينة قالص و نحن نذكر له فيه بأن يترك اليهودي المذكور يتمشى بعض أيام محدودة مقدرا ما يمضي أغراضنا المباركة فيها ظنا من أن الأمر هذا الأمر الخفيف وليس فيه تصعب و لا تعنيف ثم انه ظهر لنا بما صدر منه أن لاقدرة له بذلك بالإنكسيسيون فلذلك كتبنا لك لأنك ملك وكل شئ في رجوعه اليك هنالك و أما قول أهل ديوان الانكسيسيون أن مباشرة اليهود تفسد عقائد العامة لو علمنا نحن ذلك منهم لا تركنا منهم ذاكرة لأن الانسان إذا اختار لنفسه دينه لا تفسده له العقائد الحادثة مع أنهم إذا كان و لا بد من ذلك فيعينون لهم رجلا عاقلا من أهل ديوانهم المذكور و يصحبهم و يلازمهم في طريقهم ولا يتكلمون مع أحد من العامة في الأمور دينهم كما هي عادتهم اليوم أو ما علمت أن في إيالتنا المباركة عندنا من النصارى الفرايلية الكنائس والأماكن الذين يكفرون فيهم على عادتهم بأصنامهم و صلبانهم وجميع ما يحتاجون في كنائسهم و دالك كله مكروه عندنا في ديننا و لأجزنا لهم ذلك لأجل ما تقدم لأسلافكم من حسن المخاطبة معنا ولهذا نحب منك المكافأة في أن تأذن للذمي المذكور يدخل مدينة قالص و يستقر فيها نحو شهرين أو ثلاثة حتى يقضي مآربنا بها من غير متعرض له في ذلك و كل ما يعرض لك من الاغراض الجائزة في إيالتنا السعيدة يقضى لك عندنا بحول الله و قوته .انتهى

و كتب في عشرين كم محرم الحرام فاتح عام تسعة و عشرين ومائة و الف

الملحق الثالث عشر :

رسالة المولى إسماعيل إلى فيليب الخامس ملك إسبانيا بخصوص تحرير أسير جزائري في إسبانيا اسمه محمد بن صوفة [1]

سلامَ على من اتبع الهدى

أما بعدُ فقدْ وردَ لمقامنا العليِّ بالله رجلٌ مسكينٌ من أهل جزائر مزغنَّة، وتلاقيْنا معه في يوم عيدنا المباركِ القريب من التاريخ ، وذكر لنا بأنَّ ولدَه اسمُه مُحمد بن صوفه أسير عندك في إيالتك إسبانية ، وهو الآن في الغراب المسمَّى قبَّاطنه واستحْيَيْنا منه لكِبَرِ سِنِّه ولغُربته في بلادنا وقصده إلينا ، فنادَيْنا على النصارى الفرايلية (2) الاسبنيول الذين عندنا ، وتكلَّمْنا معهم في شأن ولد هذا الرجل المذكور ، فقالوا لنا إنهم لا قدرة لهم على تسريحه إلا بإذنك وبمشورتك ، فلذالك كتبْنا لك هذا الكتاب الكريم أسماهُ اللهُ لِتُسرحه لنا بعد أن عيَّنَّا نصرانياً واحداً من جنس الإسبَّنيول اسمُه منويل ابانيس ووجَّهناه لمدينة تطوان يجلس بها إلى أن يقدم المسلمُ الأسيرُ محمد بن صوفه المذكور ونسرحه حتَّى هو بحَوْل الله وقُوتِه ، وكذالك نَقْضِوْا لك جميع ما يعرض لك من الأغراض الجائزات في إيالتنا المباركة إن شاءَ اللهُ تعالَى بتَوْفيقِه ، وقد سرَّحْنا قبل اليوم واحداً من النصارى الفرايلية كان أسيرا عندنا أُطلقْناه في يد النصارى الفرايلية وأوفوْا في فدائه معنا ، وكانوا يطلبون منا فداءَ بعض النصارى الأُسارى ، واليوم رأيناهم قصروا في ذالك ولم يمُدُّوا أيديهم في الكلام فيهم معنا ، فأظنُّهم لا إذنِ لهم من قِبَلِك ، فإذا أعطيْتَهم الإذنَ فما نعملُ لهم إلا غرضَهم على عادتِنا المباركة معهُم

والسلامُ على من اتبع الهُدى

وكُتب في السادس والعشرين من ربيع الأول النبوي المفضَّل الشريف عام ثمانية وعشرين ومائة وألف

---

[1] ينظر عبد الرحمان بن زيدان: **روضة التعريف**، المرجع السابق، ص ص130،131.

الرسالة بخط مقروء:

الحمدالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لا رب غيره ولا معبود سواه عن الامر العلي بالله تالمنصوري السلطاني الامامي العلوي

الطابع السلطاني بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني ايده الله

وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا

أيده الله و نصره و ظفر بيمنه جنوده و عساكره امين يارب العالمين

إلى طاغية قشتالة اليون راغون نبارة ميورقة منورقة الأندلسية العليا و السفلا وغيرها فيليب كينط

سلام على من اتبع الهدى

أمابعد فقد ورد لمقامنا العلي بالله رجل مسكين من أهل الجزائر مزغنة وتلاقينا معه في اليوم عيدنا المبارك القريب من التاريخ وذكر لنا بأن ولده اسمه محمد بن صوفة اسير عندك إيالتك إسبانية وهو الآن في الغراب المسمى قباطنة واستحيينا منه لكبر سنه ولغربته في بلادنا وقصده إلينا فنادينا على النصارى الفرايلية الإسبنيول الذين عندنا وتكلمنا معهم في شأن ولد هذا الرجل المذكور فقالوا لنا أنهم لا قدرة لهم على تسريحه إلا بادنك وبمشورتك فلذلك كتبنا لك هذا الكتاب الكريم اسماه الله لتسرحه لنا بعد أن عينا نصرانيا واحدا من الجنس الإسبنيول اسمه منويل ابانيس ووجهناه لمينة تطوان يجلس بها الى أن يقدم المسلم الاسير محمد بن صوفة المذكور ونسرحه حتى هوبحول الله وقوته وكذلك نقضوا لك جميع ما يعرض لك من أغراض الجائزات في إيالتنا المباركة إن شاء الله تعالى بتوفيقه وقد سرحنا قبل اليوم واحدا من النصارى الفرايلية كان أسيرا عندنا أطلقناه في يد النصارى الفرايلية و أوفوا في فدائه معنا وكانوا يطلبون منا فداء بعض النصارى الأسارى واليوم رأيناه قصروا في ذلك ولم يمدوا أيديهم الى الكلام فيهم معنا فأظنهم لأذن لهم من قبلك فاذا أعطيتهم الإذن فما نعمل لهم إلا غرضهم على عادتنا المباركة معهم

وسلام على من اتبع الهدى

وكتب في السادس والعشرين من ربيع الاول النبوي المفضل الشريف عام ثمانية وعشرين و مائة وألف.

الملحق الرابع عشر :

خطاب لترسيم الحدود بين إيّالة الجزائر والمغرب 1065هـ/1654م.[1]

« نحن جئناك لتعمل معنا شريعة جدّك وتقف عند حدّك فما كان جدّك يحارب المسلمين ولابنهب المستضعفين،فان كان غرضك في الجهاد،فرابط على الكفار الذين هم معك وسط البلاد،وأن كان غرضك في استيلاء دولة آل عثمان ،فابرز اليها و استعن بالرحيم الرحمن،فلا يكن عليك في ذلك ملام،فهذا ما جئت له و السلام و أما إيقاد نار الفتنة بين العباد،فليس من شيم أهل البيت الأمجاد،ولا يخفى عليك أن ما نفعله حرام لا يجوز في مذهب من مذاهب المسلمين ولا قانون من قوانين الأعجام،وهذان فقيهان من علماء الجزائر قد جاءا إليك حتى يسمعا ما تقوله،ويحكم الله بيننا و بينك ورسوله، فقد تعطلت تجارتنا،و اجفلت عن وطننا ،فما جوابك عند الله في هذا الذي تفعله في بلادنا،وانت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يعجزنا أن نفعله نحن في بلادكم ورعيتكم،على أننا محمولون على الظلم و الجور عندكم،لكن تأبى ذلك همة سلطاننا... »[2]

فلما سمع المولى محمد كلامهم أثّر فيه وعظهم و داخلته القشعريرة وعلاه سلطان الحق فأذعن له و قال: « و الله ما أوقعنا في هذا المحذور إلا شياطين العرب انتصروا بنا على أعدائهم وأوقعونا في معصية الله و أبلغناهم غرضهم فلا حول ولا قوة الا بالله،وإني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعيتكم بسوء،وإنّي أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لاقطعت وادى تافنا إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله » وكتب بذلك عهدا إلى صاحب الجزائر.

---

[1] ينظر هذا الخطاب عندأحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج7، ص26.

[2] الرسالة من إملاء الفقيه الجزائري المحجوب الحضري.

الملحق الخامس عشر :

رسالة المولى إسماعيل إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر بتاريخ 26سبتمبر 1698يفوض فيها أميرال البحر بن عائشة كسفير له للبلاط الفرنسي، يتمتع بكل الصّلاحيات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم   و صلى الله على سيدنا و نبينا و مولانا محمد
و على آله و صحبه و سلم تسليما

من امر عبد الله المتوكل على الله و المفوّض اموره الى مولاه في سره
و نجواه امير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين ايّده الله و نصره و انفد
شرقا و غربا اوامره بمنه امين

اسماعيل ابن الشريف الحسني ايده الله

انما يريد الله ان يذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا

مسطورنا هذا اسماه الله تعالى اعز امره * و خلد في صُحُف المجد و المكرّمات
ذكره * و اعلا في سمآ المعالي و الصالحات قدره * و اسعد زمانه المبارك
وعصره * بيد حامله خديمنا الاحظى الاقرب * الانصح الرئيس الاكبر * القبطان

[1]Pierre de genival: **les sources inédites de lhistoire du Maroc ,deuxieme série ,deynastie filalienne** ,Archives et Biblioteques de France ,T IV,Mai 1693,Novembre1698,p673.

عبد الله بن عايشة وفقه الله و سدّده * و الى ما يرضيه تعالى الهمه و ارشده *
بمنه * يتعرف منه بحول الله وقوته انّا عملنا له و كِلْنَا[4] اليه بعد الله جلّ و عز
النظر و الكلام في ساير امور البحر * و اسندنا اليه بتوفيق الله و حسن عونه *
جميع ما هو من خطته في السرّ و الجهر و فوّضنا له في جميع مصالحه و قوانينه
المالوفة له و على مقتضى جري عوايده الجارية المعروفة و على المِنْهَج الذي يَسُوغُ[2]
شرعًا و يُقْبِلُ طبعًا و يكون نظرًا و حقًا و صوابًا و سدادًا و يرتضيه الوقت

و يبدوا له هو صلاح و يقبله العقل و يؤدي اليه النظر و الاجتهاد و النُّصح
و الحزم في جميع اوقاته من عقدٍ و ابرامٍ او سَلْمٍ او غير ذلك مع جميع اجناس
النصارى و قد كِلْنَا الى الله و اليه هذا الامر كما يجب و ثِقْنَا[3] به فيه و الْقَيْنَا
اليه جميعه و طَوَّقْنَا عنقه امانته * لما عرفنا فيه * و بلوناه منه من الجدّ و النصيحة
لله و لمن ولّاه الله امر عياله في جميع احواله كلها و لرسوخ محبته و قربه *
و قديم خدمته * و لكونه اعرف برياسة البحر و خُطّته * و اكثر ممارسةٍ و مماسّةٍ
باحوال اهله و ذويه * و اَدْرَى مما يليق به في ولايته هذه و في جميع شؤنه
و عليه بالمحافظة و الرَّعى الجميل لما قلدنا اياه من هذه الامانة و ان يَنْهِجُ فيها

مناهج اهل الجدِ والصِدق و الدّيانة * و ان يراقب الله تعالى في جميع احواله
في سرّه و اعلانه و ان يَمْتَطِي مطية النُّصْح و يسلك بنفسه سبيل النُّجح * لله
و لرسوله صلى الله عليه وسلم و لجميع المسلمين في كل وقت و حين بحيث لَا
يُنَازِعهُ في هذا منازع و لا يُدَافِعُ عنه مُدَافِعٌ * و لا يعارضه فيه معارض من كل
احدٍ كاينًا من كان * و الله تعالى يوفّقنا و اياه لما يحبه و يرضاه في سِرّهِ و نِجْوَاه
* و حَسْبَ الواقف عليه العمل بمقتضاه * و لا يخالفه و يتعدّاه * بمنه و لا بد
و السلام و كتب في اواسط ربيع النبويّ[1] في عام عشرة و ماية و الف

الملحق السادس عشر:

رسالة المولى إسماعيل إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر بتاريخ 12أوت 1693عندما إستقبل السفير سانت أولون[1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم ولا حول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم

الى عظيم الرّوم وكبير مملكة فرنسية لويش الرّابع عشر السّلام عَلى مَن اتّبع الهدى امّا بعد فإنّه لمّا ورَد على ايَالتنَا السّعيدة خَديمكم الانباشَادور عرّفنَا بخبر مَجيئِه خديمنا الانصح الارضى القايد علي بن عَبد اللّه وطلَب منّا الاذن فى فدومه لحضرتنا العَلية باللّه فاذنّا لهُ فى الفدوم وكنا نحسبه انّه مَا جَاء الّا بسبب امور اكيدة ومسَايل مهمّات كبار بحيث نفضوا منكم جميع مَا نُريده وتفضوا منّا جميعَ ما تريده فلمّا وصل الى مفامنَا العَليّ باللّه وتكلّمنَا معَهُ

ولا يُحلُّ كما هو بيد خديمنَا فليعمَل معه خديمنا بحسب مَا يظهر لهُ فى الحَال او فى الاستفبال والسّلام على مَن اتّبع الهدى وَفى العاشر من ذي حجة الحرام متم عَام اربعة ومائَة والف

---

[1]Pierre de genival: opcit,p135.

الملحق السابع عشر :

رسالة المولى إسماعيل إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر بتاريخ 22جويلية 1684م يلومه بعدم الوفاء بأقواله ويتهمه بالضعف أمام رجال ديوانه [1]

بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولافوة الابا الله العلى العظيم
من عبد الله تعالى الامام المظفر بالله امير المومنين المجاهد فى سبيل رب العالمين
الشريف الحسنى ايده الله و نصره ،امين

الى عظيم الروم بفرانصيه الويس الرابع عشر من هذا الاسم السلام على
من اتبع الهدى وباعد طريف الغبى والردا اما بعد فاعلم ان الذى ظهر لنا ان
ليس عندك فول صحيح ولا كلام رجيح و لا أضنك إلا غلب عليك أهل
ذلك اننا مازلنا ما فبضنا منك صحة فول و لا ابرمت معنا شيئا فبلامنك الذين
ليس لهم رئيس وما عندهم الا الديوان تكلموا معنا كلمة و فبضنا ها عليهم وثبتوا
فيها ووفوا بها والانجليز تكلموا معنا كلمة و فبضنا عليهم و وفوا بها فحين ذهب
خديمنا لبلادهم لما ان طلبوا منا ذلك فرحوا به واكرموه وبرّوا به وأتى من
عندهم بعشر مائة مكحلة و ستة عشر مائة فنطار من البارود و مائة و سبعة من
المسلمين اطلفوهم من الاسر لوجوهنا وعملوا من الخير ما عملوا مراعاتا لنا و ثبتوا
فى فولهم ووفوا بكلامهم وانت مازال لم يصح منك فول ولا وفاء وأولايك
الذين كانوا فدموا اليك من هذه البلاد ليس هم من خدا منا و لا من اصحابنا
ولا ممن له معرفة معنا فالحاج على معنين حيث اسر له ولده لاذ بالبعض من
خدامنا واستحرم به و فدم اليكم على شان اولايك المسلمين وجاز على دار السباع

---

[1] H .de castries:**Sources inédites Lhistoire duMaroc ,deuxieme série ,Dynastie Félalienne** ,Archives et Bibliotéques de France ,T II,paris 1924.pp 434 – 435 – 436.

ودار النعام واتى اليكم بماتى ولا شعرنا به ولا عرفناه كم اخذو فلنا انه وصلكم
ولا بد تعملون له غرضه فى اولايك المسلمين وتسرحونهم فاذا به هو تحيل على
ولده الى ان جاء به وانتم ما عملتم صوابا فى غيره ولا صدر منكم ما تراعون لأجله
ثم بعد ذلك قدم لعلى مقامنا صاحبكم انبشدور واتانا بشئ من الخرو مع با لطوا
الحرير وهل نحن ممن يعجبه ذلك ويسره فنحن معشر العرب لا نعرف الا الصحيح
ولا يسرنا الا ما فيه مصلحة المسلمين كلهم ومع ذلك اعطينا لصاحبك عشرين
نصرانيا سيفطناه بها وضننا انك ولا بد تراعى الخير وتبعث لنا ولو عشرين
مسلما تجبر بها خواطرنا وتكون هى الطريف للكلام الذى تريده منا فاذا
بك ما عملت شئا من هذا ولا جازيت باحسان وثانيا فبضنا لك سفينة قبل ان
يقع الكلام بيننا وبينك بثلاثة ايام او اربعة على التحفيف وهى موسوفة
بالسكر وتبغه وثقفناها نحو من ثلاث سنين بقصدك ولا تركنا احدا يمد يده
فيها وفلنا انك تراعى خيرنا وتعمل لأولايك المسلمين طريفا وتسرحهم وان كان
ليس فيهم من هو خديمنا ولا من هو محسوب من جيشنا ولا من هو معرفتنا
فما هم الامن لا خلاف له ولا يركب البحر عندنا الا اهل التمرييل ولو طلقتهم
وان كانوا ليسوا بشئ فتكون عملت الخير بذلك وتفول انك عملت مسئلة
تراعى عليها واعظم من ذلك كله هوان رئيسا من بلادنا اسمه التاج كان اعطاه
صاحبك الذى اتاناخط يده على انه يشترى سفينة من الجزائر رئيسا فر بها
فرصان وما عليه فيمن لفيه من فرا نصيص فلماان اشتراها وسافر بها وغنم
فطارمه موسوفة بالرخام والريال مع ما فيها من الحرير وغيره وبعثها معاصحابه
ستة وعشرون مسلما وتعرضوا لها سفنكم وأخذوها وثقفتها انت اياما ثم بعد

ذلك من فتها و المسلمون الذين كانوا معها خدمتهم بى الغراب بلماذا لم تردها
و تثقفها ثلاث سنين كما ثقفنا نحن سفينتكم و هل هذه هى صحة القول
بهذا ممّا يدل على عدم صحة كلامك و مما يثبت الاخلال بقولك و فلةو بإبك
بحتى الآن بالذى ظهر لنا انه ما يليف بنا معك الا الشروان اردت تثبية المهادنة
و انبرام الكلام بيها وامضاء حجتها بابعث لنا من عندك فونص بالتفويض

على هذا الامر و يجلس هنا بى احدى مراصينا و يكون كلا منا معه بى
هذا كله و نبرموا معه هذا الامر و يكون من اهل الحل والربط عندكم والا
بان طنهرلك خلاف هذا با علمنا وعرفنا بما عليه عملك و ما اضمرته طويتك
و السلام على من اتبع الهدى و بى التاسع من شعبان المبارك سنة خمس
و تسعين والف

الملحق الثامن عشر:

ما كتبه السّفير عبد الله بن عائشة للأميرة دوكونتي [1]

يصل بيد ام ظام سنيوره كمشون من عند حبك . الشايق لوجهك
من لا يخطاك حال انتهى

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

كتبت كتاب الشوق سيرته لك : وانشرت به لاباة امرا مفيرا
وكنت اخطه حشيما لقولك : ونار الحشا تغتر لست بمخبرا
فيا قرة العينان ما اصعب بعدك : ولاكن في وسط القلب انتي حاضرا
إذا جاء ظلم الليل جاني بوحشك : إذا طلع الفجر صبحت مغيرا .
سلام عليك بالدوام تخفك : سلام على من كان معك حاضرا

واعلم أني لما كتبت اليك بقيت [illegible] بكتابك الذي ارسلت لكن
قولك الذي ذكرت وانك كنت في تلك الدار التي رجعت من بابها لو علمت بك
أنك هناك لطلعت اليها على وجهي لا على رجلي لكن انا اعتمدت على عادة العرب
لا تدخلوا دار الرجل من غير اذنه ولو الخديفة التي مشا بي اليها لحمت في خاطر
نخرج من بلي اليها قصد او نكون جلست في مكاني لا امراها ولا اتاني حتى وقع
ما وقع من الغلط اتي لك وكلما تكلفني به من النصائح يعلى
راسي والله يصبرك ويمتعنا بمحبتك في الاثنا وبراتك الذي ارسلت في
جعلتها في خاطري حتى تبلغ لاولادي وزيعم محبتك ومودتك وخيرك وفليك
الطايب وحبك الوافي ونوصيهم وصاية كاملة إذا مت بدون شك الصحبة
دايما ان شاء الله والسلام . حريم العفو عبد الله
العلي بابه بن عائشة غفر الله له

ض.

[1] younés Nékrouf: Op.cit ,p324.

الملحق التاسع عشر:

بعض ما كُتِب عن المولى إسماعيل باللّغة الفرنسية. [1]

1- كاستر الكونت هنري دي: مولاي إسماعيل وجاك الثاني، الدفاع عن الإسلام من طرف سلطان المغرب.

1-de castries Henry ***: Moulay ismail et Jacques II, Une Apologie de Lislam par Sultan du maroc****, Ernest leroux, Paris 1903.*

2- إستعمالات الزمن التاريخي في الدبلوماسية،حالة المولى إسماعيل.

2*-Jadour Mohamed* ***: Les usages du Temps Historique dans la diplomatique ,le cas du Moulay Ismail*** *,Faculté des lettres et des sciences Humaines ,Ben msik ,Casablanc,Maroc.*

3- صداقة عاصفة،مولاي إسماعيل ولويس 14.

3*-Nékrouf younés:* ***Une Amitie Orageuse, Moulay ismail et Louis XIV****, éditions Albin Michel, Paris 1987.*

4- سفير إنجليزي لدى مولاي إسماعيل.

- M.L.chantelain : ***Une Ambassadeur Anglais auprès de Moulay ismail en 4 1721****, in revue France .Maroc,Organe du des foires du Maroc comité, N° 4, 15Mars 1917.*

5- مولاي إسماعيل والأميرة دي كونتي في فرنسا.

5*-Reynold L Adreit :* ***Moulay Ismail et la princesse de Conti in France*** *in France - Maroc, Revue Mensuelles N^0 15, Octobre, Maroc, 1917.*

6- مولاي إسماعيل ولويس الرابع عشر والأميرة دي كونتي في فرنسا.

6*-Rabanit Henri :* ***Moulay ismail, Louis XIV et la princesse deconti****,in Revue France - Maroc, 6 Année, No 62,Janvier, Paris, 1922.*

7- إعدامات مولاي إسماعيل الدامية والأسرى المسيحيين من خلال مخطوطة غير منشورة في وقته.

7*-Koehler P.Henry :* ***les exécutions sanglantes de Moulay Ismail et les captifs chrétiens d àprés un Manuscrit inédit de son temps,*** *in Bulletin Hispanique, T35,N°4 ,1933.*

8- الرسالة غير المنشورة لمولاي إسماعيل لأهل فاس.

8*-Norman Cigar:* ***Une lettre inédites du Moulay ismail aux gens de Fes*** *in révue Hespéris Tamuda,Vol15,Maroc 1974.*

---

[1] من إنجاز الباحث.

الصور و الرسومات

الملحق عشرون :

رسم للسفير محمد تميم سفير السلطان مولاي إسماعيل لدى لويس الرابع عشر أخذ له هذا الرسم بباريس سنة 1093هـ/1682[1]. أثناء مشاهدته إحدى المسرحيات في دار الأبرا.



الحاج محمد تميم التطواني والحاج علي معنينو السلوي يشاهدان عرضاً في أوبرا باريس خلال وجودهما بها في اغراض ديبلوماسية

---

[1] ينظر عبد الرحمان بن زيدان العلوي:**العلائق السياسية للدولة العلوية**،تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي،المطبعة الملكية،الرباط1999،ص48.

الملحق الواحد و العشرون :

توقيع السفير ابن عائشة [1]

[1] ينظرعبد الهادي التازي: المرجع السابق،مج7،ص 82.

الملحق الثاني و العشرون :

رسم محتمل للسفير عبد الله بن عائشة كما وردت في مجلة فرنسا المغرب لسنة 1922[1]



Abdalla ben Aïcha, ambassadeur du Maroc

[1] Henri Rabanit: opcit , p03.

وينظر كذلك عبد الله العمراني:المرجع السابق، ص113.

الملحق الثالث و العشرون:

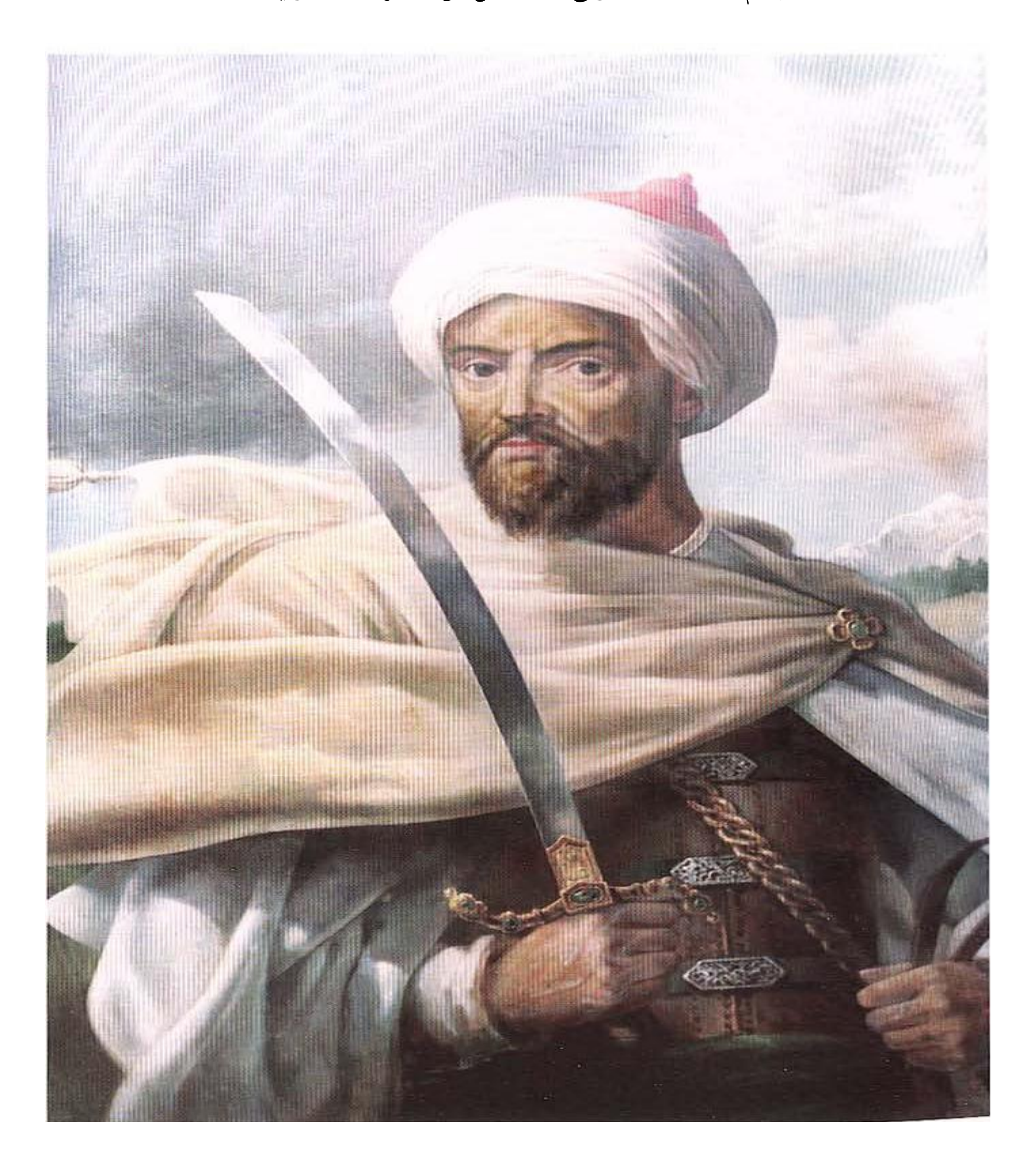
رسم محتمل للأميرة دوكونتي والتي طلب يدها السّفير ابن عائشة للمولى إسماعيل كما وردت في مجلة فرنسا المغرب لسنة 1922[1]



[1]Henri Rabanit: opcit , p03.

الملحق الرابع والعشرون:

رسم للسّلطان المولى إسماعيل بن الشريف العلوي[1]



---

[1] نقلا عن عبد الرحمان بن زيدان العلوي: **العلائق السياسية للدولة العلوية**، المرجع السابق، ص49.

الجداول

الملحق الخامس و العشرون:

أهم البعثات الدبلوماسية في عهد أحمد المنصور السّعدي (1578–1603)

أعضاء البعثة	مهنة المبعوث	تاريخ البعثة	وجهة البعثة	أهداف البعثة
أحمد بن علي الهزالي أحمد بن ودة العمري	كاتب قائد	1580م 1580	القسطنطينية القسطنطينية	قطع الطريق على تحرشات والي الجزائر
أبو القاسم الشاطبي عبد الرحمان الشياظمي	قاضي قائد	1581 1581	القسطنطينية القسطنطينية	إعادة العلاقات ورأب الصدع مع العثمانيين.
إبراهيم بن محمد السفياني	قائد و وزير المنصور	1582 1583	إسبانيا	تبليغ فيليب الثاني موافقة المنصور على مبدأ استبدال الجديدة بالعرايش بعد بروز الخطر التركي.
الرايس رزوق	رايس	1588 1589	إنجلترا	مساعدة إليزابيث لأنطونيو لاسترجاع عرشه
محمد التمكروتي محمد بن علي الفشتالي	عالم وأديب فقيه وكاتب	1589 1589	القسطنطينية القسطنطينية	إخبار الباب العالي بوجود ولي عهد البرتغال في المغرب –إحياء المراسلات بعد انقطاع ثلاث سنوات
الحاج أحمد الماسي	تاجر	1589	القسطنطينية،الجزائر	لم تعرف أهداف هذه البعثة
الشيخ الروتي	تاجر	1589	إسبانيا	وجهه أحمد المنصور بعد وصول خبر نقل الأميرين السعديين من لشبونة إلى شبيلية
أحمد بن قاسم رايس	رايس	//	إنجلترا	لم تعرف أهداف البعثة
عبد الواحد عنون الحاج بهينيت الحاج الماسي عبد الله دودار	كاتب وعالم تاجر تاجر مترجم	1600	إنجلترا	التفاوض حول مشروع التحالف لمداهمة مصالح إسبانيا في الهند الشرقية والغربية
الحاج باحماد ميمون	//	//	الجزائر	التفاوض حول تسليم العرايش للأتراك
أبنوم	فقيه	//	القسطنطينية	غير معروفة الأهداف
الأب مرينMarin	راهب	//	إسبانيا	مبعوث من طرف فيليب الثاني للتفاوض

الملحق السادس و العشرون:

أهم البعثات الدبلوماسية في عهد المولى إسماعيل (1672-1727) [1]

أعضاء البعثة	مهنة المبعوث	تاريخ البعثة	وجهة البعثة	أهداف البعثة
محمد بن حدو العطار محمد لوقاش محمد الحافظ	قائد،تاجر كاتب مقدم	1681م	إنجلترا	مفاتحة شارل الثاني في قضية طنجة وتوقيع إتفاقية "وايت هول"
الحاج محمد تميم الحاج علي معنينو المراكشي الحاج عبد القادر	رايس، قائد قائد ؟ ؟	1682	فرنسا	التفاوض حول شروط السلم الذي انتهى بتوقيع اتفاقية "سان جرمان أون لي"
يوسف طوليدانو	تاجر	1683	هولندا	التفاوض حول مقترحات عقد صداقة وتوريد الأسلحة.
حسن أشكيرد	قائد	1686	هولندا	الإحتجاج على صفقة الأسلحة التي استوردها المغرب واكتشف أنها لا تتماشى وما أتفق عليه.
حمو بن عبد الوهاب الغساني عبد السلام بن أحمد جسوس	كاتب ؟	1690	إسبانيا	التفاوض مع كارلوس حول إفتكاك الأسرى ،واسترجاع الكتب.
حاييم طوليدانو إبراهيم ميموران	تاجر تاجر	1690	هولندا	تحرير السفينة الفلامنكية
حمو بن عبد الوهاب الغساني مولاي عبد الملك أبو عبد الله بن محمد بن عبد القادر الفاسي	كاتب أمير مفتي	1692	القسطنطينية	تهدئة الأوضاع بعد الإشتباكات التي جرت على الحدود الجزائرية
عبد الله بن عائشة محمد سوسان محمد التاغري فابرFabre فرنسي	رايس كاتب قائد سفينة تاجر ومترجم	1698 1699	فرنسا	التفاوض حول القضايا العالقة كالأسرى والتي تحول دون توقيع إتفاق

---

[1]نفس المرجع،ص251.

الملحق السابع و العشرون:

قائمة القناصل الفرنسيين في المغرب في عهدي أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي.[1]

اسم القنصل ولقبه	سنة خدمته في المغرب	مكان خدمته
بيرار غيوم-(Bérard (Guillaume	1588-1577	مراكش- فاس
فورنيي جورج -(Fornier (George	1603-1591	مراكش- فاس
برات هنري-(prat (Henri	1683-1648	تطوان- سلا
جوليان فرنسوا-(Julien (françois	؟-1672	سلا
ريمون أنطوان-(Reymond (Antoine	1679-1672	سلا
قوتيي بيار -(Gautier (Pierre	1680-1679	سلا
قوتيي بيار -(Gautier (Pierre	1683-1681	سلا
بووار توسى -(Boyer (Toussaint	1683-1682	تطوان
بيريلي جوان -(Périllie (jean	1687-1683	سلا وتطوان
آيلهود -Ailhaud	؟-1685	/
إيستيل بيار -(Estelle (Pierre	1701-1685	طنجة-تطوان
إيستيل جون باتيست(Estelle (Jean Baptiste	1701-1689	سلا
مونت ديسيي -Montdésier	1689-1690	/
دكيندوكي مارتا -(Doquindeguy (Martin	1693-1692	/
بيريلي جوان -(Périllie (jean	1711-1701	/
بولار – Poulard	؟ -1702	تطوان
مايلات– Maillet	؟-1703	تطوان
دوفاتري– De Vatry	1705-1703	تطوان
بووار توسى -(Boyer (Toussaint	1707-1705	تطوان
لماكدولين بيار -(La Magdeleine (Pierre	1718-1707	تطوان -سلا
بونال –Bonnal	؟ -1712	تطوان
ماف –Meuve	1718 -1712	تطوان

---

[1] إعتمدت في وضع هذا الجدول على

Jacques Caillé: **La représentation Diplomatique De la France Au Maroc**, Edition A.pedone, Paris 1951, pp70, 71, 72, 73,74.

الملحق الثامن و العشرون:

أهم البعثات الدبلوماسية في عهد المولى إسماعيل[1]

أعضاء البعثة	مهنة المبعوث	تاريخ البعثة	وجهة البعثة	أهداف البعثة
محمد بن حدو العطار محمد لوقاش محمد الحافظ	قائد كاتب مقدم	1681	انجلترا	مفاتحة شارل الثاني في قضية طنجة وتوقيع اتفاقية "وايت هول"
الحاج محمد تميم الحاج علي معنينو الحاج عد القادر	رايس // //	1682	فرنسا	التفاوض حول شروط السلم الذي انتهى بتوقيع معاهدة سان جرمان أون لي
يوسف طوليدانو	تاجر	1683	هولندا	التفاوض من أجل عقد إتفاق صداقة وتوريد الأسلحة
حسن أشكيرد	قائد	1686	هولندا	الاحتجاج على صفقة الأسلحة غير متفق عليها
حمو بن عبد الوهاب الغساني عبد السلام بن جسوس	كاتب //	1690	اسبانيا	التفاوض مع الضون كارلوس حول افتكاك الأسرى واسترجاع الكتب الإسلامية
حاييم طوليدانو ابراهيم ميموران	تاجر تاجر	1690	هولندا	تحرير السفينة الفلامنكية
حمو بن عبد الوهاب الغساني مولاي عبد الملك بن عبد القادر الفاسي	كاتب أمير مفتي	1692	القسطنطينية	تهدئة الأوضاع بعد الاشتباكات على الحدود الجزائرية المغربية
عبد الله بن عائشة محمد سوسان محمد التاغري	رايس كاتب ضابط السفينة	1698 1699	فرنسا	التفاوض حول القضايا المعلقة كالأسرى

[1] ينظر محمد جادور: المرجع السابق، ص251.

الملحق التاسع و العشرون:

أهم البعثات الدبلوماسية في عهد أحمد المنصور السّعدي (1578–1603)

أعضاء البعثة	مهنة المبعوث	تاريخ البعثة	وجهة البعثة	أهداف البعثة
أحمد بن علي الهزالي أحمد بن ودة العمري	كاتب قائد	1580م 1580	القسطنطينية القسطنطينية	قطع الطريق على تحرشات والي الجزائر
أبو القاسم الشاطبي عبد الرحمان الشياظمي	قاضي قائد	1581 1581	القسطنطينية القسطنطينية	إعادة العلاقات ورأب الصدع مع العثمانيين.
إبراهيم بن محمد السفياني	قائد و وزير المنصور	1582 1583	إسبانيا	تبليغ فيليب الثاني موافقة المنصور على مبدأ استبدال الجديدة بالعرايش بعد بروز الخطر التركي.
الرايس رزوق	رايس	1588 1589	إنجلترا	مساعدة إليزابيث لأنطونيو لاسترجاع عرشه
محمد التمكروتي محمد بن علي الفشتالي	عالم وأديب فقيه وكاتب	1589 1589	القسطنطينية القسطنطينية	إخبار الباب العالي بوجود ولي عهد البرتغال في المغرب –إحياء المراسلات بعد انقطاع ثلاث سنوات
الحاج أحمد الماسي	تاجر	1589	القسطنطينية،الجزائر	لم تعرف أهداف هذه البعثة
الشيخ الروتي	تاجر	1589	إسبانيا	وجهه أحمد المنصور بعد وصول خبر نقل الأميرين السعديين من لشبونة إلى شبيلية
أحمد بن قاسم رايس	رايس	//	إنجلترا	لم تعرف أهداف البعثة
عبد الواحد عنون الحاج بهينيت الحاج الماسي عبد الله دودار	كاتب وعالم تاجر تاجر مترجم	1600	إنجلترا	التفاوض حول مشروع التحالف لمداهمة مصالح إسبانيا في الهند الشرقية والغربية
الحاج باحماد ميمون	//	//	الجزائر	التفاوض حول تسليم العرايش للأتراك
أبنوم	فقيه	//	القسطنطينية	غير معروفة الأهداف
الأب مرينMarin	راهب	//	إسبانيا	مبعوث من طرف فيليب الثاني للتفاوض

الملحق ثلاثون:

أهم البعثات الدبلوماسية في عهد المولى إسماعيل (1672–1727) [1]

أعضاء البعثة	مهنة المبعوث	تاريخ البعثة	وجهة البعثة	أهداف البعثة
محمد بن حدو العطار محمد لوقاش محمد الحافظ	قائد،تاجر كاتب مقدم	1681م	إنجلترا	مفاتحة شارل الثاني في قضية طنجة وتوقيع إتفاقية "وايت هول"
الحاج محمد تميم الحاج علي معنينو المراكشي الحاج عبد القادر	رايس، قائد قائد ؟ ؟	1682	فرنسا	التفاوض حول شروط السلم الذي انتهى بتوقيع اتفاقية "سان جرمان أون لي"
يوسف طوليدانو	تاجر	1683	هولندا	التفاوض حول مقترحات عقد صداقة وتوريد الأسلحة.
حسن أشكيرد	قائد	1686	هولندا	الإحتجاج على صفقة الأسلحة التي استوردها المغرب واكتشف أنها لا تتماشى وما أتفق عليه.
حمو بن عبد الوهاب الغساني عبد السلام بن أحمد جسوس	كاتب ؟	1690	إسبانيا	التفاوض مع كارلوس حول إفتكاك الأسرى ،واسترجاع الكتب.
حاييم طوليدانو إبراهيم ميموران	تاجر تاجر	1690	هولندا	تحرير السفينة الفلامنكية
حمو بن عبد الوهاب الغساني مولاي عبد الملك أبو عبد الله بن محمد بن عبد القادر الفاسي	كاتب أمير مفتي	1692	القسطنطينية	تهدئة الأوضاع بعد الإشتباكات التي جرت على الحدود الجزائرية
عبد الله بن عائشة محمد سوسان محمد التاغري فابرFabre فرنسي	رايس كاتب قائد سفينة تاجر ومترجم	1698 1699	فرنسا	التفاوض حول القضايا العالقة كالأسرى والتي تحول دون توقيع إتفاق

---

[1] نفس المرجع،ص251.

الملحق الواحد و الثلاثون:

قائمة القناصل الفرنسيين في المغرب في عهدي أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي.[1]

اسم القنصل ولقبه	سنة خدمته في المغرب	مكان خدمته
بيرار غيوم-(Bérard (Guillaume	1588-1577	مراكش- فاس
فورنيي جورج -(Fornier (George	1603-1591	مراكش- فاس
برات هنري-(prat (Henri	1683-1648	تطوان- سلا
جوليان فرنسوا-(Julien (françois	؟-1672	سلا
ريمون أنطوان-(Reymond (Antoine	1679-1672	سلا
قوتيي بيار -(Gautier (Pierre	1680-1679	سلا
قوتيي بيار -(Gautier (Pierre	1683-1681	سلا
بووار توسى -(Boyer (Toussaint	1683-1682	تطوان
بيريلي جوان -(Périllie (jean	1687-1683	سلا وتطوان
آيلهود -Ailhaud	؟-1685	/
إيستيل بيار -(Estelle (Pierre	1701-1685	طنجة-تطوان
إيستيل جون باتيست(Estelle (Jean Baptiste	1701-1689	سلا
مونت ديسيي -Montdésier	1689-1690	/
دكيندوكي مارتا -(Doquindeguy (Martin	1693-1692	/
بيريلي جوان -(Périllie (jean	1711-1701	/
بولار – Poulard	؟ -1702	تطوان
مايلات– Maillet	؟-1703	تطوان
دوفاتري– De Vatry	1705-1703	تطوان
بووار توسى -(Boyer (Toussaint	1707-1705	تطوان
لماكدولين بيار -(La Magdeleine (Pierre	1718-1707	تطوان -سلا
بونال –Bonnal	؟ -1712	تطوان
ماف –Meuve	1718 -1712	تطوان

---

[1] إعتمدت في وضع هذا الجدول على

Jacques Caillé: **La représentation Diplomatique De la France Au Maroc**, Edition A.pedone, Paris 1951, pp70, 71, 72, 73,74.

ثبت المصادر والمراجع

أ-القرآن الكريم:برواية ورش عن نافع.

ب -الحديث الشريف:

- **صحيح سنن أبي داود** ،تأليف محمد ناصر الدين الألباني ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الرياض،مج3،كتاب الملاحم.

ت -الوثائق الأرشيفية المطبوعة والمنشورة باللغة العربية:

1-بنعلة مصطفى:**مجموعة ظهائر ورسائل السّعديين**،مطبعة الرباط نيت،ج1،المغرب،جويلية 2011.

2- كنون عبد الله:**رسائل سعدية**، دار الطباعة المغربية،تطوان المغرب 1954.

ث- الوثائق الأرشيفية المطبوعة والمنشورة باللغة الأجنبية:

1-Archive Marocaine: ***Chronique de la Dynastie Alaouite du Maroc****, ,traduite par Eugene , londre Fumey, publication de-là Mission ,vol9,Ernest Leroux ,paris 1906.*

2- blantet Eugene : ***Correspondances des deys d Alger avec la cour de France 1579-1833****,T1, Paris 1889.*

3-Chantal de la veronne : ***les sources inédites du histoire du Maroc****, Archives et bibliothèques d Espagne, T III, Paris 1956.*

*4- Charrière Ernest :****Négociations de la France dans levant****, imprimerie impériale t3, S.D. Paris.*

*5- De Castries henry:****Sources inédites Lhistoire duMaroc ,deuxieme série ,Dynastie Félalienne*** *,Archives et Bibliotéques de France ,T II, Paris 1924.*

6- De Castries henry ***: les sources inédites de L histoire du Maroc ,1serie, 6 dynaste saadienne*** *, Archives bibliothèques D'Angleterre , T2 , Paul geuthner et Luzace, Paris*

*7- de card Rouard:****Traités de la France avec les pays de L Afrique du Nord –Algerie ,Tunisie ,tripolitaine ,Maroc-*** *librairie de la cour Dappel , Paris 1906.*

8- de genival Pierre: ***les sources inédites de lhistoire du Maroc ,deuxieme série ,deynastie filalienne*** *,Archives et Bibliotéques de France ,T IV,Mai 1693,Novembre1698.*

*9- Ricard Robert et de la Véronne Chantal: **les sources inédites du histoire du Maroc**, Archives et bibliothèques d Espagne, T II, Paris 1956.*

***10**-Robert Ricard et Chantal de laveronne et autres**: sources inédites de l histoire du Maroc**,1 sérié dynastie saadienne Archive et bibliothèque de Portugal , t6 ,1552-1580.Paris, 1953.*

ت -المصادر العربية والمعرّبة:

1-بن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي:**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**،تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين،16ج ،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت 1992م، ج5.

2-التمجروتي علي بن محمد:**النّفحة المسكية في السفارة التركية 1589**، تحقيق وتقديم محمد الصالحي،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي الإمارات 2007.

3- الجنابي مصطفى:**البحر الزخار والعلم الطيار**،ترجمه للفرنسية فانيان،تحت عنوان Fagnan :**Extraits inédits relatifs au Maroc**, alger1924.

4-الحجري أحمد بن قاسم أفوقاي:**رحلة أفوقاي (مختصر رحلة الشهابإلى لقاء الأحباب) 1611م/1613م**، تحقيق محمد رزوق،ط1، السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، د ت.

5-دي صالدانيا أنطونيو:**أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب**،تقديم وترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب وآخرون،مكتبة الرباط نت،المغرب2011.

6- دي طوريس دييكو:**تاريخ الشرفاء**،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،الحي الصناعي لتاربريكت،الدار البيضاء 1988.

7-أبو راس الناصري محمد بن أحمد:**عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق محمد غا لم،مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية،وهران 2005.

8- الريفي عبد الكريم بن موسى:**زهر الأكم**،دراسة وتحقيق آسيةبنعدادة،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1992.

9-الزياني أبو القاسم أحمد:**تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1429هـ/2008م.

-**الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**،ترجمه للفرنسية هوداس،المطبعة الوطنية،باريس 1882م.

- **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ المولى سليمان**،تقديم وتحقيق عبد المجيد حيالي،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان2003 م.

- **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**،دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، ط1، مركز الدراسات والبحوث العلوية، مطبعة المعارف الجديدة،الرباط.

10- السّعدي عبد الرحمن بن عبد الله:**تاريخ السودان**،طبعه هوداس، المكتبة الأمريكية والشرق، باريس 1981.

11-الضّعيف محمد الرباطي:**تاريخ الضّعيف(تاريخ الدولة السعيدة)**،تحقيق أحمد العماري،ط1،دار المأثورات الرباط 1986.

12-ابن عيشون أبو عبد الله محمد الشراط:**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس،** تحقيق زهراء النظام،ط1،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء، المغرب 1997 .

13-الغساني محمد الأندلسي:**رحلة الوزير في إفتكاك الأسير**، تحقيق نوري الجراح، ط 1،دار السويدي، أبو ظبي 2002.

14-الفشتالي أبو فارس عبد العزيز: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1972 .

15-القادري محمد بن الطيب:**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثان**، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق (موسوعة أعلام المغرب)،ط1،دار الغرب الإسلامي، ج 3،بيروت 1996.

- **إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبرمن أخباروأعيان المائة الحاديةوالثانيةعشر،دراسة** وتحقيق هاشم العلوي القاسمي،ط1،منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت1983.

16-بن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد:**درة الحجال في أسماءالرجال(960هـ/1025م)**،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط1، دار التراث، ج1،القاهرة 1970.

– **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**،دراسة وتحقيق محمد رزوق، 2ج، دت، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ج1،الرباط،1986.

– **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1973.

17– الكردودي محمد بن عبد القادر:**الدر المنضد الفاخر لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر**،مخطوط،مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز،الدار البيضاء،المغرب،قيد رقم 1/200.

18– الكنسوسي أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**،تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، ج1،الرباط **1994**.

19–مجهول:**تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**،ترجمه للفرنسية هوداس،باريس 1901.

20–مجهول: **تأريخ الدولة السعدية الدرعية التّكمدارتية** ، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة ، ط**1**،دار تينمل للطباعة والنشر ، مراكش **1994**م.

21–المشرفي عبد القادر بن عبد الله: **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عام**، تحقيق محمد بن عبد الكريم ،دار مكتبة الحياة،بيروت،د ت.

22–بن المفتي حسين بن رجب شاوش: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**،جمع واعتناء فارس كعوان،ط1،بيت الحكمة،الجزائر 2009 م.

23–المقري أحمد بن محمد:**روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام،مراكش وفاس**،ط2، المطبعة الملكية الرباط 1983.

24–**المنجور أحمد**:**فهرسةالمنجور**،تحقيق محمد حجي،دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط 1976.

25–مويط جرمان:**رحلة الأسير مويط**،تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر،وزارة الثقافة المغربية،دار المناهل للطباعة والنشر،المغرب 1990م .

26–بن ميمون محمد الجزائري:**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم،ط 2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1981.

27– الوزان الحسن بن محمد :**وصف إفريقيا** ،2ج ، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر،ط 2، دار الغرب الإسلامي، د ت، بيروت، ج2 .

28–اليفرني محمدبن عبد الله الصغير:**روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشّريف**،ط2، المطبعة الملكية، الرباط 1995.

– **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**،تحقيق هوداس، مطبعة أنجي،باريس 1888.

– **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**،تحقيق عبد اللّطيف الشاذلي،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب 1998.

– **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**،تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي،ص1، مركز التراث الثقافي المغرب، الدار البيضاء المغرب 2004.

ج-**المراجع العربية والمعربة**:

1–الأزمي أحمد:**العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السلطان مولاي إسماعيل** (**1672م/1727م**)،منشورات ما بعد الحداثة،فاس،2008.

2–أملي حسن:**الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر**،ط1،دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الرباط،2006.

3–أندري جوليان شارل:**تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ج2، أوت 1985.

4–براون جفري:**تاريخ أوروبا الحديث**، تعريب علي المرزوقي،الأهلية للنشر والتوزيع،الأردن،د ت.

5–البوريني الحسن بن محمد: **تراجم الأعيان من أبناء الزمان**،تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ج1، دمشق 1959.

6 – التازي عبد الهادي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،مج 8 و9،مطابع فضالة المحمدية،المغرب 1988.

-**الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ**،مطبعة المعارف الجديدة،نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي،الرباط 1983م.

-**الوسيط في التاريخ الدولي**، ط3،دار شركة المعرفة 3ج ،الرباط2011 ،ج3.

7– جادور محمد:**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**،مؤسسة الملك عبد العزيز،الدار البيضاء المغرب، 2011.

– **الدبلوماسية السّعدية والدبلوماسية العلوية استمرارية أم قطيعة أحمد المنصور والمولى إسماعيل نموذجا**،ضمن ندوة التاريخ والدبلوماسية ،قضايا المصطلح والمنهج ،تنسيق عبد المجيد القدوري،منشورات كلية الآداب بالرباط،2003.

8-الجمل شوقي عطاالله:**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية،1977.

09-جون ولف بابتيست:**الجزائر وأروبا (1500–1830)**،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله،طبعة خاصة،دار عالم المعرفة،الجزائر 2011.

10-جيفري براون:**تاريخ أوروبا الحديث**،ترجمة علي المرزوقي،ط1،الأهلية للنشر والتوزيع،عمان الأردن،2006.

11-الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، ط2، شركة دار الأمة ،ج3،الجزائر 2007.

12-حاطوم نور دين:**القرن السابع عشر في أروبة**،ط1،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،دمشق،1986م .

13-حافظي علوي حسن:**سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي**،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1997م

14-حجي محمد:**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**،ط2،مطبعة النجاح الجديدة،المغرب 1988.

15-حركات إبراهيم:**المغرب عبر التاريخ**،ط1،دار الرشاد الحديثة،ج 2،الدار البيضاء، المغرب1978.

- **السّياسة والمجتمع في العصر السّعدي**،دار الرشاد الحديثة،الدارالبيضاء المغرب1985.

16- حوتية محمد الصالح :**توات والأزواد**،2ج،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القبة الجزائر 2004،ج1.

17-بن خروف عمار:**العلاقات السّياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشرالميلادي**، ط1،دار الأمل للنشر والتوزيع،ج1،الجزائر 2006.

- **العلاقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م**،دار الأمل للطباعة والنشر،ج2،الجزائر 2008.

18-خير فارس محمد:**تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**،ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت 1969.

19-داهش محمد علي:**الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف**،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان 2011.

20-داود محمد:**تاريخ تطوان** ،تقديم محمد بنونة،مج 1،معهد مولاي الحسن،المغرب1959.

21-الداودي كيسر:**الدولة العلوية في عهد المولى إسماعيل**،جامعة الحسن الثاني،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،عين الشق، الدار البيضاء، 1986م.

22-روجرز .ف.ج :**تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900**،ترجمة يونان لبيب رزق،ط1، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب1981.

23-زباديةعبد القادر:**الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية وجنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989.

24-الزبيري محمد العربي:**مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، مطابع المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1975.

25-زيادة نقولا:**صفحات مغربية**،ط، منشورات دار الطليعة،بيروت 1966.

26-بن زيدان عبد الرحمان:**الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**،المطبعة الاقتصادية، الرباط1937.

-**المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**،تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي،ط1،مطبعة إديال،الدار البيضاء،المغرب1993.

- **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**،تحقيق علي عمر،ط1،مكتبة الثقافة الدينية، ج2،القاهرة 2008.

-**العز والصولة في معالم نظم الدولة**،المطبعة الملكية، ج1،الرباط1961.

- **العلائق السياسية للدولة العلوية**،تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي،المطبعة الملكية،الرباط1999.

27-سامح إلتر عزيز:**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**،ط1،تعريب محمود علي عامر،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت 1989.

28-سعيدوني ناصر الدين:**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

29-سيار جميل:**تكوين العرب الحديث**،ط1،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان 1997.

30-السوسي محمد المختار:**ايليغ قديما وحديثا** ،تعليق محمد بن عبد الله الروداني،المطبعة الملكية،الرباط 1966.

31-السّويكت فهد بن محمد:**سفارة عبد الله بن عائشةإلى بلاط لويس الرابع عشر1110هـ-1698م،أسبابها ونتائجها**،الجمعية التاريخية السّعودية،مارس 2004.

32-شاكر محمود:**التاريخ الإسلامي(العهد المملوكي)**،ط05،المكتب الإسلامي، ج7،بيروت2000.

33- شحاتة إبراهيم حسن:**وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب**،ط1،دارالثقافة،الدار البيضاء1979.

34-شلبي أحمد:**موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارةالإسلامية**،ط1،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1972.

35-الشقراني أحمد بن عبد الرحمان:**القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط**،تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني،دار الغرب الجزائري،ط1،1991.

36-الطيبي أمين توفيق:**دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**،شركة أوربيش للطباعة، طرابلس، ليبيا1997.

37-بن عبدالله عبد العزيز:**تاريخ المغرب(العصر الحديث والفترة المعاصر)**،نشر وتوزيع مكتبة السلام،مكتبة المعارف، الدار البيضاء،الرباط .

38- العربي إسماعيل:**الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1983.

39- علي عامر محمود و خير فارس محمد: **تاريخ المغرب العربي الحديث**، منشورات جامعة دمشق، 1999- 2000.

40-أبوعليه عبد الفتاح وحسن ياغي إسماعيل:**تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**،دارالمري للنشر،الرياض1985م.

41-العمراني عبد الله:**مولاي إسماعيل بن الشريف حياته،سياسته،مآثره**،ط1،مطابع دسبريس،تطوان1978.

42-بن العياشي محمد المكناسي:**زهر البستان في نسب أخوال سيدنا ومولانا زيدان**،تحقيق ودراسة أحمد قدور،مطابع الرباط نت ،2013.

43- شوقي عطاالله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية،1977.

44-الغربي محمد:**بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر،الكويت.

45-فالح حنظل:**العرب والبرتغال في التاريخ**،ط1،منشورات المجمع الثقافي،أبو ظبي1997.

46-الفكيكي حسن:**سبتة المحتلة ذروة وعينا الوطني(1415 م-1912 م)**،المطبعة الملكية،الرباط2003.

47-الفيلالي عبد الكريم:**التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**،ط1،شركة ناس للطباعة،ج 3،القاهرة 2006.

48- القبلي محمد:**تاريخ المغرب تحيين وتركيب**،ط1،منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب،مطبعة عكاظ الجديدة،الرباط 2011.

49- القدوري عبد المجيد:**المغرب وأوربا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)**،ط1،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب،2000.

50-القرطبي أبو عبد الله:**الجامع لأحكام القرآن**،تحقيق عبد الرزاق المهدي،ط 1،دار الكتاب العربي، ج 5،بيروت 1434 هـ-2013م.

51-كريم عبد الكريم:**المغرب في عهد الدولة السّعديّة**،جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب 1978.

52-كينيث براون:**موجز تاريخ سلا (1100-1800م)**،ترجمة محمد حبيدة وأناس لعلو،ط1منشورات مجلة أمل،دار البيضاء،المغرب 2001.

53-ليفي بروفنصال:**مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي،دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط.

54-المحامي محمد فريد بك:**تاريخ الدولة العلية العثمانية**،ط3،مكتبة الآداب،القاهرة،مصر 2009.

55-محمد سيد أشرف صالح:**أصول التاريخ الأوروبي**،ط1،دار واتا للنشر الرقمي،قطر 2009.

56-محمد موسى فيصل:**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،مراجعة ميلاد أ.المقرحي،منشورات الجامعة المفتوحة ،1997

57-مخلوف محمد بن محمد:**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**،المطبعة السلفية، القاهرة 1349هـ.

58-المدني توفيق أحمد:**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792** م،ط 3،دار البصائر،الجزائر 2009.

59-المزاري يحي:**طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**،تحقيق يحي بوعزيز،دارالغرب الإسلامي، ج1،الجزائر1990.

60-مقلد الغنيمي عبد الفتاح:**موسوعة المغرب العربي**،ط1،مكتبة مدبولي،مج 3، ج5،مصر 1994.

61-معنينو الحاج أحمد:**عائلة معنينو السّلاوية**،دط، 1996.

62-مؤنس حسين:**تاريخ المغرب وحضارته من الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**،العصر الحديث للنشر والتوزيع، مج 3، ج2 و 3، بيروت 1992.

63-الناصري أحمد بن خالد:**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،9ج،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب، ج5،الدار البيضاء 1955.

64-هربرت فيشر:**أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية**،ط 3،تع زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى،دار المعارف مصر.

الوزاني أبو عبد الله سيدي محمد المهدي بن محمد بن محمد بن الخضر الشريف العمراني الحسني: **النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية**،4مج،مطبعة فضالة المحمدية المغرب 1992،مج1.

65-ياغي إسماعيل أحمد: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**،ط1،مكتبة العبيكان،الرياض 1996.

66-يحي جلال:**التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى**،المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة،الإسكندرية، مصر.

ج- المراجع الأجنبية:

1-*Alexandre-louis joseph :* ***Itinéraire descriptif de L Espagne,*** *imprimerie de Firmin dido ,S, D.*

2-Braudel. F: La Méditerranée ,Léspace et l histoire ,Editeur flammarion 1985,T1

3-*Caillé Jacques:* ***La représentation Diplomatique De la France Au Maroc****,Edition A.pedone,paris 1951.*

4-*de castries Henry* ***: Moulay ismail et Jacques II, Une Apologie de Lislam par Sultan du maroc****, Ernest leroux, Paris.*

5-*degrammant H .D :* ***Histoire D àlger sous la domination Turc ,1515-1830****, Ernest leroux, Paris 1887.*

6- *De Voux Albert:****Tachrifat recueil de Notes Historiques sur Làdministration de Lancienne Régence d alger****, impremerie dugouvernement Alger 1852.*

7-*Diego Fray de Haédo :* ***Histoire des Rois d'Alger****, traduite H, D Grammont, Alger1881.*

8- *Ernest Fallot :* ***la solution française de la question du Maroc****, Librairie Ch Delagrave, Paris.*

*9-G.Faure – Biquet : **Histoire de L'Afrique Septentrionale sous la Domination Musulman**, Henri Charles –la Vauzelle, Paris, S-D.*

*10-Guérin Léon: **Histoire Maritime de France, Paris1851**.*

*11-Jadour Mohamed **: Les usages du Temps Historique dans la diplomatique ,le cas du Moulay Ismail** ,Faculté des lettres et des sciences Humaines ,Ben msik ,Casablanc,Maroc.*

*12-Jules Thiery **:L Espagne et L'Angleterre en 1588 Campagne de L'Armada Documents nouveaux, librairies** de la société des bibliophiles français, Paris, S.D.*

*13-L éon Galibert : **Histoire de L'Algérie Ancienne et Moderne**, Paris 1843.*

*14-Le Bonéd de Septenville : **Expédition de Ceuta en 1415: fastes Militaires et Maritimes du Portugal**, librairie générale, Paris 1879.*

15-Luiz Augusto Rebello Silva*,: **invasion et occupation du royaume de Portugal en 1580**, librairie Auguste Durand,T1 , Paris 1864.*

*16-Magali Morsy et Thomas Pellow : **Une lecture du maroc du 18 siecle**, Paris 1983.*

*17-M.Watson **:PhillipeII Roi d éspagne** ,vol1,Mesterdam.*

*18-Nékrouf younés: **Une Amitie Orageuse, Moulay ismail et Louis XIV**, éditions Albin Michel, Paris 1987.*

*19-R.Tomassy : **le Maroc et ses caravanes ou relation de la France avec cet Empire**, librairie de Firmin didot frères, Paris 1845.*

ح- الدوريات العربية:

- مجلة دعوة الحق المغربية:

1-أعراب سعيد:"**موقعة وادي المخازن واندحار الصليبية بالمغرب**"، الإسلامية،عدد 96،المغرب 1978.

2-التازي عبد الهادي:"**السّياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين**"، عدد 264، أفريل،ماي،1987م

3-حركات إبراهيم:"**مساهمة المغرب في حركة الجهاد البحري**" ،العددان 6-7، جوان،جويلية،المغرب 1979م .

– "**ابن عائشة أمير البحر في عهد مولاي إسماعيل**"،عدد 4،السنة 12،ماي 1969.

– "**أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة**"، عدد خاص بمناسبة الذكرة الأربعائة لمعركة وادي المخازن،السنة 19،العدد 8، رمضان 1398هـ/غشت 1978.

4-بن خضرة عثمان:**في سجل المولى إسماعيل**،عدد1،السنة الخامسة عشر،مارس 1972 م.

5-السّايح حسن:"**السّفير عبد الله بن عائشة**،عدد 4،السنة الخامسة عشر،جويلية 1972.

– "**الدبلوماسية الإسماعيلية**"،عدد خاص،مارس 1974 م .

6-الفاسي محمد:"**إحتلال البرتغاليين للثغور المغربية الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن**"،في عدد خاص بمناسبة الذكرة الأربعائة لمعركة وادي المخازن،السنة 19،العدد 8، رمضان 1398هـ/غشت 1978.

7- العافية عبد القادر: "**أحمد المنصور الذهبي" قول على قول**"، عدد178.

08-كريم عبد الكريم:"**من الوثائق النادرة لمعركة وادي المخازن**"، عدد خاص بمناسبة الذكرة الأربعائة لمعركة وادي المخازن،السنة 19،العدد 8، رمضان 1398هـ/غشت 1978.

09-محمد الشّاوش:**الدولة العلوية المغربية،النشأة والإستقرار والإستمرار**،عدد خاص 273،1989.

10-المنوني محمد:"**وثيقتان جديدتان عن ذيول موقعة وادي المخازن**"، عدد خاص بمناسبة الذكرة الأربعائة لمعركة وادي المخازن،السنة 19،العدد 8، رمضان 1398هـ/غشت 1978.

– **مجلة البحث العلمي:**

11-بنيس عبد الحي:"**البعثات الدينية الإسبانية إلى المغرب ومسألة الأسرى خلال النصف الثاني من القرن 17** م" ،جامعة محمد الخامس،المعهد الجامعي للبحث العلمي،الرباط،عدد 45، 1998.

12- التازي عبد الهادي:"**الثغور المغربية بين المواجهة المسلحة والتدخل الأجنبي**"،عدد 25،الرباط، 1976.

13-العمراني عبد الله:**"سياسة مولاي إسماعيل الخارجية"**،،العدد 4-5،السنة الثانية،جانفي،أوت 1965م .

- **مجلة تطوان:**

14-بن تاويت محمد:**"من زوايا التاريخ المغربي"** ،عدد،1963.

15-الفاسي محمد:**"حياة المولى إسماعيل"** ،عدد خاص،1970.

- **مجلة البينة:**

16-الفاسي محمد:**"الرحلات السّفارية المغربية"**، السنة الأولى،عدد 05،سبتمبر 1962.

- **مجلة دار النيابة:**

17-المنصور محمد:**"الضغوط العثمانية وأثرها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من خلال حالة طنجة"** ،السنة الثانية،عدد 5، طنجة المغرب 1985م.

- **مجلة مكناسة:**

18-بوزيان قدور:**"البعد الحدودي في علاقة المغرب بأتراك الجزائر خلال القرن 16م والقرن 17م"** ،جامعة مولاي إسماعيل،المغرب، عدد8، 1994.

- **مجلة المغرب:**

19-بلافريج أحمد:**"أسرى المسلمين في أوروبا"**، ،الرباط،السنة الثالثة،عدد نوفمبر 1934م.

20-الصبيحي محمد:**"بعض شهيرات النّساء"** ،الرباط،السنة الرابعة،عدد نوفمبر 1935م.

21-بن عثمان محمد:**"المنصور الذهبي"** ، السنة الخامسة سبتمبر، أكتوبر 1936.

- **مجلة كلية الآداب بتطوان:**

22-بنيس عبد الحي:**"موقف ملوك الدولة العلوية من رجال البعثات الدينية الإسبانية إلى المغرب من خلال الوثائق المخزنية"** ،جامعة عبد الملك السعدي، العدد 9،1999م.

- **مجلة كان التاريخية:**

23-ساسيوي الفيلالي الحاج:**"ثورات المدن في المغرب الأقصى الحديث مدينة فاس في عهد السلطان المولى إسماعيل (1672م-1727م)"** ،عدد 17،سبتمبر 2012م.

24-طحطح فؤاد خاليد:**"العلاقات العثمانية المغربية خلال العصرالحديث"** ،عدد 14سبتمبر،2011.

25-علي سالم أحمد:"**العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر**" ،عدد 13سبتمبر،2011.

- مجلة التاريخ العربي:

26-بوزينب حسين:"**من العرايش إلى فضالة أربعة عقود ونصف من الإستراتيجية الإسبانية في احتلال مراسي مغربية 1578م/1624م**" ،عدد 13،المغرب شتاء 2000.

27-النظام زهرة:"**العلاقات المغربية التركية وتطورها عبر التاريخ**" ،عدد48، 2009.

28-يحيى جلال:"**المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب**" ،عدد 2،بغداد العراق،1977م.

- مجلة المؤرخ والتقارب الثقافي:

29-جادور محمد:"**ديبلوماسية أحمد المنصور السعدي من خلال تقاييد أسير برتغالي**" ،عدد 4،جوان،جويلية،أوت،الرباط2009م.

- مجلة معهد المخطوطات العربية:

30-عبد البديع لطفي:"**وثيقة مراكشية بالإسبانية**" ،مج 3،ج1، ماي 1957م.

31- الفاسي محمد:"**الكاتب الوزير محمد بن عثمان المكناسي**" ،مج 07، ج2،نوفمبر 1961 م.

- المجلة التاريخية المغاربية:

32- بن خروف عمار:"**إخفاق العثمانيين في إحتواء وعثمنة المغرب الأقصى:الأسباب والنتائج**"عدد 114،تونس ،جانفي2004.

34-رزوق محمد:"**قضية الرق في تاريخ المغرب**" ،عدد 41-42، جوان،تونس 1986م.

- مجلة المناهل:

35-التازي عبد الهادي:"**سفارة إنطوني تشيرلي إلى المغرب وعلاقاتها بالتدخل الأوروبي في منطقة الخليج**"، المغرب،عدد 9،الرباط1977م .

- مجلةجامعة الملك سعود:

36-السّويكت فهد بن محمد:"**موقف الأشراف السّعديين من مسألة الخلافة**"، عدد19،الرياض2006.

- مجلة المجمع العلمي:

37-التازي عبد الهادي:"**لغةالوثيقة الدبلوماسية في مغرب الأمس بين التأثير والتأثر بالنسبة للغات الأخرى**" ،ج 62، القاهرة 1988.

- **مجلة مجمع اللغة العربية:**

38-التازي عبد الهادي:"**تقديم مخطوطة مغربية حول المراسلات بواسطة الأرقام العربية**"، بحوث مؤتمر الدورة التاسعةوالأربعون،القاهرة 1983.

- **مجلةالوعي الإسلامي:**

39-عسر عسران أحمد طه:"**وادي المخازن**"، عدد 224،الكويت 1983.

- **مجلةالإجتهاد:**

40-الغاشي مصطفى:"**صورة مغربية للإمبراطورية العثمانية خلال القرن السادس عشر،نموذج التمكروتي**"،في مجلة الاجتهاد،دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر،عدد44،بيروت 1999م.

- **مجلة أمل.التاريخ.الثقافة.المجتمع:**

41-أبو إدريس إدريس:"**علاقة الدولة المركزية بالزوايا (دولة أحمد المنصور السعدي والمولى إسماعيل العلوي نموذجا)**" ، عدد19-20،الدارالبيضاء، المغرب،2000.

- **مجلة العرب:**

42-ضياء الحق محمد:" **نظام السّفارة عند العرب في الجاهلية**" ،ج1،عدد نوفمبر،ديسمبر،1998م .

- **مجلة الآن الأسبوعية:**

43-آيت فرحي محمد:"**دبلوماسية السّلاطين**"، عدد 111،الدار البيضاء، 2014.

- **مجلة تطوان للأبحاث المغربية الأندلسية:**

44-كيلي جاك:"**السّفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا**"، تطوان المغرب،عدد6،1961 م.

45-مجلة الواحات للبحوث والدراسات :

بن قومار جلول:**المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السّعدي 1578-1603م**،،عدد20،جوان 2014.

الدوريات باللّغة الأجنبية:

- Révue l'Occident Musulman et de la Méditerranée:

1**-Boyer Pierre **: Espagne et kouko,les négociations de 1598et 1610
N° 8,1970.

2-*de la vaironne Chantal:****Relations entre le Maroc et la Turquie dans la seconde Moitie du 16 siècle et le début du17 siècle 1554/1616***, Vol 15, N° 15-16,Année1973.*

3-*De la verrone Chantal:* ***Séjour en Andalousie de deux princes Sadiens après la bataille del-qsarel-kebir 1589,1595***, *, Vol 7, N° 1, Année1970.*

4-*Jehanne Marie gandin* ***: La remise de Larache aux Espagnols en 1610***, *Vol 7, N° 1,1970.*

5- *Le Roger Fourneau et Grillon Pierre:* ***Un charge d affaire au Maroc la correspondance du consul louis Chénier***,

,N°9,1917.

- ***Révue France - Maroc :***

6-*Augustin Bernard et Ch-Al-Joly :* ***le tafilelt et sidjilmassa***, *,deuxieme Année N°7, 15 Juillet, Paris, 1918.*

7-*Bekkhoucha :* ***Epitaphes des Sultans Saadiens***, *,7Année, N°80, Juillet,Casablanca,Maroc, 1923.*

8-*J.Oelerier:* ***le Maroc,pays du Sucre,de L'Or***, *7Année, N°79 Juin, Casablanca,Maroc,1923.*

9- *M.L.chantelain :* ***Une Ambassadeur Anglais auprès de Moulay ismail en 1721***, *,Organe du des foires du Maroc comité, N° 4, 15Mars 1917.*

10-*Reynold L Adreit :* ***Moulay Ismail et la princesse de Conti in France*** *Revue Mensuelles N⁰ 15, Octobre, Maroc, 1917.*

11-*Rabanit Henri :* ***Moulay ismail, Louis XIV et la princesse deconti***, *, 6 Année, No 62,Janvier, Paris, 1922.*

- Revue du Monde Musulman:

12- *Ep Michaux bellaire et p.Aubin :* ***le régime immobilier Au Maroc*** *février – Mars, T18, Paris, 1912.*

13 - *Ep Michaux bellaire :* ***L'Organisme Marocain***, *,Septembre, Paris 1909.*

- Revue Annales économies, sociétés, civilisation:

14-*Jean Malthis :* ***Trafic et prix de Lhomme en Méditerranée aux XVII et XVIII siècle***, *9ᵉᵐᵉ année,N⁰ 2,1954.*

15-*Lucette valensi :* ***Silence, dénégation, affabulation: la souvenir d un grande défaite dans la culture portugaise***, *Vol 46, N° 1 Année 1991.*

- ***Revue bulletin Hispanique:***

16-*Koehler P.Henry :* ***les exécutions sanglantes de Moulay Ismail et les captifs chrétiens d àprés un Manuscrit inédit de son temps****, T35,N°4 ,1933.*

17- *Ricard Robert :* ***Lieutenant colonel H. de Castries ,les sources inédites de histoire de Maroc, 2série, Dynastie Filalienne,Archives et bibliothèques de France****,T III, Paris, ,V30, N° 4, Année 1928.*

18-*Vovard André :****En Espagne au XVIII siècle****, ,T48,N°4,France 1946.*

-***Revue cahiers de la Méditerranée:***

19-*Meziane Leila: l****és Captifs Européens en terre Marocaine au XVII etXVIII siècle****,Vol 65, Année 2002.*

-Revue d'histoire Moderne:

20-*Lopes(D) :****Les portugais au Maroc****, janvier ,Mai, N°36-37,1930.*

-Revue bibliothèque de L'école des chantes:

21-*Ponc Olivie :* ***L'état Royale XVII, XVIII, une anthologie****, V164,N° 164,Année 2006.*

-Revue Archives Marocaines:

22-*, vol IX,Décembre 1906.*

23-*Justinard :****Carnet d él Mansour*** *, vol 29,Paris 1933.*

- Revue Germer, BallienneHistorique:

24-*Degrammont .H****: la course L'esclavage la Rédemption A Alger****,T26,Ancienne librairie,Paris 1884.*

- Revue Zamane:

25-*el Aoufir Saloua:* ***Al Ghassani dans l Espagne duXVII ,*** *Juin 2011.*

- Revue Philologique Annuaire:

26-*de la Véronne Chantal:****Sources Européenne du L histoire du Maghreb****, Annuaire ,1967-1968 , Année 1968.*

- Revue Hespéris Tamuda:

27-*Norman Cigar:* ***Une lettre inédites du Mulay ismail aux gens de Fes*** *Vol15,Maroc 1974.*

الأبحاث في المؤتمرات والملتقيات:

1-أبو إدريس إدريس:**رفع الالتباس عن وضع الأسرى المسيحيين بمدينة مكناس أواخر القرن 17م وبداية القرن 18م**،أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية،جامعة سيدي محمد بن عبد الله،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس،1988.

2-الأزمي أحمد:**بعض جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل مؤسس الدولة العلوية**،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،أعمال الدورة الأولى ،وزارة الثقافة،المملكة المغربية.

اليوميات العربية :

1-الزعلي عبد الصمد:"**هكذا كان المخزن يحل أزماته مع أروبا**"،في جريدة المساء المغربية، عدد 2371، ليوم 2014/05/11.

2-لكنبوري إدريس:"**سفير لويس الرابع عشر يكشف أسرار أقوى السّلاطين العلويين**"،في جريدة المساء المغربية،عدد 2347، ليوم13 / 04/ 2014.

الرسائل الجامعية باللغة العربية :

1– إستيتو محمد: **الفقر والفقراء في المغرب خلال القرن السادس عشر والسابع عشر**، دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة 2002.

–**الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن السادس عشر**، ديبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، ظهر المهراس، فاس 1988.

2– البزاز محمد الأمين: **الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، أكدال الرباط 1992.

3– حيمر محمد: **الجيش الدخيل في الدول الإسلامية، جيش العبيد والإنكشارية العثمانية محاولة في المقارنة**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 2001.

4-بن سعيدان محمد: **علاقات الجزائر مع فرنسا 1659-1756م**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية،المركز الجامعي غرداية 2011-2012.

5-سهيل جمال:**البعثات الدبلوماسية المغربية للبلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م**،مذكرةماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة،المركز الجامعي غرداية2011.

6-غطاس عائشة:**العلاقات الجزائرية الفرنسية**،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة،معهد التاريخ،جامعة الجزائر1985/1984م.

7- العسري محمد: **مولاي محمد بن الشريف ومنطقة المغرب الشرقي 1640–1664**، ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة وجدة 1987.

8-بن قايد عمر:**علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية 1659-1727م**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة،قسم التاريخ،المركز الجامعي غرداية 2010-2011.

9-بن قومار جلول:**معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أروبا**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة،المركز الجامعي غرداية 2011/2010.

10-كليل صالح:**سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،قسم التاريخ،جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة 2006-2007.

الرسائل الجامعية باللغة الفرنسية :

*1-Rabih Said:**Deux Ambassadeures Marocaines en France au 17 siecle** ,Université de picadie jules Verne , France 1998-1999.*

القواميس والمعاجم العربية :

1-الزركلي خير الدين:**الأعلام**،ط15،دار الملايين،بيروت 2002م .

2-الصباغ سهيل:**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**،مراجعة عبد الرزاق ومحمد حسن بركات، مطبوعات الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة، الرياض 2000 .

3-الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير:**فهرسة الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**،اعتناء إحسان عباس،ط2،،ج1،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1982م.

4-مصطفى عبد الكريم:**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**،ط1، مؤسسة الرسالة،بيروت 1996.

5-ابن منظور محمد بن مكرم:**لسان العرب**،دار صادر،مج 1،بيروت 2003.

6 - نجم زين العابدين بن شمس الدين:**معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية**،ط1،2006.

–**المنجد في الأعلام** ،ط14،دار المشرق بيروت،1986.

الفهارس

1-فهرس الأعلام:ملاحظة تسقط كلمة ابن و أبو وأل من ترتيب الأعلام.

(أ)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

2-فهرس القبائل والجماعات:

(أ)

(ب)

(ث)

(ح)

(د)

(س)

(ص)

(ف)

(ك)

(م)

3-فهرس الأماكن والمدن:

(ث)

(ج)

(د)

(ر)

(س)

(ش)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(ن)

(و)

4-فهرس السفراء والقناصل والمبعوثين:

5– فهرس الرسائل الدبلوماسية:

فِهْرِسُ المُحْتَوَيَاتِ

الفصل الأول:

مكانة السّلطان أحمد المنصور السعدي والمولى إسماعيل العلوي في تاريخ المغرب الأقصى

(1549م–1603م)/ (1654م–1727م)

المبحث الأول:

السّلطان أحمد المنصور الذهبي1549/1603م

المبحث الثاني:

السّلطان مولاي إسماعيل العلوي (1654م-1727م)

الفصل الثاني:

الإرهاصات الأولى للعلاقات السّياسية و الدبلوماسية مع دول غرب المتوسط قبيل عهدي أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي.

المبحث الأول:

البدايات الأولى للعلاقات السّياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط في عهد أوائل السّعديين.

المبحث الثاني:

البدايات الأولى للعلاقات السياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط في عهد أوائل العلويين.

الفصل الثالث:

علاقات المغرب السّياسية والدبلوماسية مع دول غرب المتوسط في عهد أحمد المنصور السّعدي(1578م-1603م)

المبحث الأول:

العلاقات السّياسية والدبلوماسية للمغرب مع إسبانيا في عهد أحمد المنصور (1578م–1603م)

المبحث الثاني:

العلاقات السّياسية والدبلوماسية للمغرب مع الجزائر والدولةالعثمانية في عهد أحمد المنصور(1578م–1603م).

المبحث الثالث:

مظاهر العلاقات السّياسية والدبلوماسية للمغرب مع فرنسا في عهد أحمد المنصور(1578م/1603م).

الفصل الرابع:

مظاهرعلاقات المغرب السّياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط في عهد مولاي إسماعيل1672م–1727م

المبحث الأول:

مظاهر العلاقات السّياسيةوالدبلوماسية المغربية في عهد مولاي إسماعيل العلوي مع إسبانيا 1672م-1727م.

المبحث الثاني:

مظاهر العلاقات السّياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا في عهد السّلطان المولى إسماعيل1672م-1727 م

المبحث الثالث:

مظاهر العلاقات السّياسيةوالدبلوماسية بين المغرب و الجزائر في عهد السّلطان المولى إسماعيل 1672م/1727.

المبحث الثاني:

بنية رسائلهما الدبلوماسية

1727-1672/1603-1578

- رسائل أحمد المنصور والمولى إسماعيل الدبلوماسية:

المبحث الثالث:

أوجه الاختلاف في علاقتهما السّياسية والدبلوماسية مع إسبانيا.

1727-1672/1603-1578

-علاقات أحمد المنصورو المولى إسماعيل مع إسبانيا:

الفصل السّادس:

جوانب التّشابه في سياستهما ودبلوماسيتهما مع دول ضفتي الحوض الغربي للبحرالأبيض المتوسط.

1727-1672/1603-1578

Résumé

Jai expliqué les relations du Maroc politiques et diplomatiques

Entre les pays de la Méditerranée Occidentale et a montré dans cette étude les aspect comparatifs de défference et les Similitudes entre eux dans l étude de la Thése de doctorat intitulée

***La relation du Maroc politiques et diplomatiques avec les pays de la Méditerranée Occidentale dans les régnes d’Ahmed* Almansour a saadi et Moulay ismail Alaoui**

1578-1603/1672-1727.

Etude Comparative

الملخص

ارتبط السلطان أحمد المنصور السعدي والمولى إسماعيل العلوي بعلاقات سياسية ودبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط تبلورت خلال هذه العلاقات الملامح الأولى لتأسيس دبلوماسية جديدة وتكوين منظومة دبلوماسية مغربية قائمة بذاتها على غرار السياسةوالدبلوماسية التي مارستها الدول الأروبية في عهدي هذين السلطانين،هذه الدبلوماسية التي كانت متفوقة على العالم الإسلامي عامة والمغرب خاصة بسبب التجاوز الذي عرفته أروبا في عصور التنوير واتضح لي ذلك من خلال هذه الدراسة الموسومة بـــ علاقات المغرب الأقصى السّياسية و الدبلوماسية مع دوّل غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي.

﴿986 هـ - 1012هـ-1082هـ-1139هـ﴾ / (1578م - 1603م- 1672م - 1727م)

(دراسة مقارنة)